مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية
تحت أضواء
الشريعَة الإسْلاميَّة

عبد الرحمن واصل

مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية

تحت أضواء

الشريعة الإسلاميّة

دار الشروق جدة

الطبعة الثانية
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

للنشر والتوزيع والطباعة
الادارة - كيلو ثلاثة - طريق مكة - هاتف ٦٨٧٣٠٧٧
ص.ب. ٤١٤٦ جدة - الرمز البريدي ٢١٤٩١
برقيا - مشكاتنا - تلكس SHORCO, SJ ٤٠١٢٠٩
المكتبة - شارع البغدادية - هاتف ٦٤٤٣٥١٨ - ٦٤٢٦٦١٠
المكتبة - كيلو ثلاثة - طريق مكة - هاتف ٦٨٧٢٨٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى كل فتى مؤمن . . .

إلى الذى لم يغش عينيه بريق الحضارة الغربية الجوفاء، فلم تبهره بألوانها الفاقعة، وأشكالها الصارخة كما تبهر الطفل الصغير! ! إلى الذى أبى عليه عقله أن يكون فرداً فى قطيع، أو نغمًا فى لحن فاجر تعزفه أنامل الشيطان، فاعتز بدينه، واستمسك بعقيدته، ووقف شامخاً أمام جيوش الفتن، ليذود عن دينه فى إيمان ويقين، وعزم لايلين! !

وأيضاً إلى من ضلَّلته وسائل الإفساد فوقف تائهاً فى الظلام يريد أن يتعرف معالم الطريق . .

وإلى كل فتاة مؤمنة . .

إلى التى نظرت إلى حضارة «الجنس والأزياء» نظرة المتعجب على ضياع العقول! !

وأيضاً إلى التى تبحث عن زورق النجاة فى بحار الفتن العمياء . . وإلى كل مربٍّ . .

ينشد تربية طلائع من الأجيال المسلمة، تستطيع ـ بروح أخلاقها ـ أن تنتزع راية الحضارة حتى تعود الأمة القائدة ﴿**خير أمة أخرجت للناس**﴾ (١)

إلى هؤلاء جميعاً أهدى هذا الكتاب.

عبدالرحمن واصل

---

(١) آل عمران: آية ١١٠

مقدمة

شبابنا ـ الآن ـ على مفترق الطرق، وفى مهب ريح السموم التى تهب عليه قوية عاتية من الغرب المنحل . .

ومسئولية رعاية الشباب، لابد أن تكون بالنسبة لنا فى المقام الأول حكاماً، ودعاة ومصلحين. فالأمم التى لاتعرف كيف تستفيد من فورات شبابها، وتعجز عن استثمار طاقاتهم وشغل أوقات فراغهم ـ إنما هى أمم تدخر لمستقبلها رصيداً منكراً من الهزائم والانكسارات.

وهذا الكتاب الذي أقدمه اليوم لشبابنا ومستقبل إسلامنا لم يأت من فراغ، وإنما كان من ورائه عاملان:

العامل الأول : هو واقع معاشرتي للشباب من الجنسين كمرشد وداعية فى المسجد، ومعلم وموجه فى قاعات الدرس، ومن ثم فإنه إلى البحث الميدانى أقرب منه إلى البحث النظرى . .

والعامل الثانى : هو ـ كما لايخفى على أحد ـ هذا الطوفان الرهيب من صور الجنس، ومجلات الجنس وكتاب الجنس ، وقصص الجنس التى تغمر الأسواق، والتي تعاد طباعتها بصورة خرافية . . تجد الشباب يتهافتون عليها تهافت الفَراشِ على النار يحسبها سبيلاً إلى النجاة فتكون سبيله إلى الهلاك!

وجلُّ هذه الكتب التى يصدرها تجار الجنس ورواد الفاحشة، تجدها ركاكة فى الأسلوب، وتفاهة فى الأفكار، وإثارة وضيعة للغرائز. .

فكل من أراد من هؤلاء الثروة السريعة السهلة ـ فبدلاً من أن تمتد يده إلى مال الدولة ، فيقع تحت طائلة القانون. فإنه يلجأ إلى السرقة عن طريق مهذب: بضع

وريقات عن الحب، أو عن القبلات أو عرض للجهاز التناسلي عند الرجل والمرأة، ثم بعض النماذج العارية، وصورة على الغلاف لفتاة من ذوات الجمال المصنوع وتحتها كلمة حب، أو جنس، فإذا هو ـ في توهمه ـ قد ضمن تجارة لن تبور، وسيلاً من المال الحرام لا ينقطع . .

ومن ثم فإننا كدعاة إلى الله لن نسمح للعملة الرديئة أن تطرد العملة الجيدة من السوق . .

وإننا نحتاج إلى مزيد من الكتب الإسلامية في هذا المجال كمًا وكيفاً حتى نحقق ـ على الأقل ـ نوعاً من التعادل بين الثقافة الإسلامية في هذا المجال، وبين السيل الطامي من الكتب التي تحمل الأفكار المسمومة، والتي تنذر بالبوار وخراب الديار!!

نريد أن نتيح الفرصة لشبابنا كي يتعرفوا تراثهم وعقيدتهم التي تعالج مشكلاتهم وتلبي كل احتياجاتهم من الغذاء الفكري في شتى جوانب حياتهم . .

فنحن إذا لم نقدم للشباب الحلول الإسلامية، فإننا بذلك ندفعه دفعاً إلى أن يلتمسها عند الملحدين، وسدنة الجنس، وفي نفس الوقت نعطي الفرصة للحكام الجاهليين في تنفيذ تخطيطهم وبرامجهم، وإظهار الإسلام بمظهر العاجز عن معالجة مشكلات الحياة، ويكون ذلك عوناً لهم في إقصاء الدين كلية عن واقع الحياة في المجتمعات الإسلامية . .

وإننا نعتقد أن هذه الفترة من الزمن هي أنسب الفترات لتقديم الإسلام وعرضه على جماهير شبابنا، بعد أن فشلت حضارة الغرب المادية فشلاً ذريعاً في تحقيق الأمن النفسي، وملء الفراغ الروحي عند الشباب، وبعد أن تحول الشباب هناك إلى قطعان ضالة ضائعة هائمة شاردة: قطعان الخنافس والهيبز والتافهين . . عصابات إرهابية منظمة للابتزاز والسرقة الجماعية . . فرق الألوية الحمراء والجيش الأحمر . . جماعة معبد الشعب . . نواد لتبادل الزوجات . . إرهاب، وخطف، وقتل، وإبتزاز، وعنف، وأزمات طاحنة، وأرق، وقلق، وجنون، وانتحار . . بركات الحضارة الجاهلية . . حضارة المال والجنس . .

فالفرصة أمامنا مواتية والرياح فى صالح سفينة الإسلام، والحدّاد الماهر من يطرق والحديد ساخن. .

ولقد أخذنا نموذجاً من الحضارات المادية الوثنية متمثلة فى الحضارة اليونانية والرومانية والتى ساهم الجنس فى وأدها وهى فى قمة روائها، وتحدثنا عن أسباب الإنفجار الجنسى فى أوروبا فى العصر الحديث، ومعالم هذا الانفجار لنحذر وننذر السائرين وراء الغرب شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى يتعرفوا مواقع أقدامهم التى تسير بخطى حثيثة نحو الهاوية!

وبينّا منهج الإسلام فى بناء المجتمع المثالى الفاضل. . وسيرى قارىء هذا الكتاب كيف عالج الإسلام مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية، وكيف وضع الغريزة على طريقها الصحيح، وكيف استثمر طاقات الشباب وجنّدها فى إقامة مجتمع قوى تسرى فى أوصاله دماء الشباب. .

وعرضنا فيه للعوامل المؤثرة فى الشباب هدماً وبناء، لنعلم جميعاً شعوباً وحكومات. . أين موقعنا من العقيدة. . من الاسلام؟ الذي لايوجد له - وللأسف - وجود حقيقي إلا فى مقدمة الدساتير، وداخل أماكن العبادة، وبعض باهت منه على شاشات الاعلام وموجات الأثير. .

ولسنا ندعى أننا بهذا الكتاب سنصنع ما لم تستطعه الأوائل، أو أننا سنحل مشكلات الشباب حلا جذرياً. . كلا . . وذلك لأنه لن تجتث مشكلاتنا من أصولها - بما فيها مشكلات الشباب - الا بالتزام المجتمعات المسلمة بمنهج الإسلام عقيدة وشريعة، ومنهاجاً وسلوكاً، وهيمنة على جميع شئون الحياة، وبسريان روح الإسلام فى جسد الأمة كسريان الدم فى شرايين الجسم. .

وإنه لمن الصعب علينا بل من المستحيل أن نحاول ترقيع المجتمعات التى انسلخت من آيات الله بنسيج لايمت بنوع ولا لون إلى النسيج الذى تكفنت به هذه المجتمعات حاجبة بذلك عن نفسها هواء الإيمان وشمس الحق. . ولكن حسبنا أن نضىء مصابيح فى الظلام حتى تطلع شمس الإسلام، وتشرق الأرض بنور ربها، ويتحقق وعد الله - عز وجل - للمؤمنين:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(١)

«إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً. وَنَرَاهُ قَرِيباً»(٢)

عبدالرحمن عبدالسلام حسن واصل

(١) الأنبياء : ١٠٥

(٢) المعارج : ٦ ، ٧.

الفصل الأول

الجنس وسقوط الحضارات

- الجنس وسقوط الحضارة اليونانية.
- الجنس وسقوط الحضارة الرومانية.
- النصرانية والعلاج الأخرق.
- الجنس وهزيمة فرنسا فى الحرب العالمية الثانية.
- أسباب الانفجار الجنسى فى أوربا.
- نافذة على الإنحلال الجنسي فى دول الغرب.
- الحصاد المر.
- الصحوة والمنهج الحق.

الجنس وسقوط الحضارة اليونانية

أصحبك أخى الشاب فى رحلة عبر التاريخ، لنقرأ معاً صفحات عن الدعارة التى كانت بمثابة السم البطىء الذى يسري فى دم العملاق حتى يشيِّعه إلى مقره الأخير، ولنتعرف معاً كيف تقضي روح الخلاعة على روح الرجولة، فتنهار الأمم، وتسقط الحضارات الشاهقة إلى الأبد.. ولنبدأ بحضارة اليونان..

أرقى الأمم القديمة حضارة، وأزهرها تمدناً فى التاريخ هم أهل اليونان، وفى عصرهم البدائى كانت المرأة فى غاية من الإنحطاط وسوء الحال من حيث نظرية الأخلاق والحقوق القانونية والسلوك الاجتماعى جميعاً..

وبقي هذا السلوك قبل المرأة فى أول عهدهم بالنهضة المدنية ثابتاً على حاله، ربما تخللته تعديلات قليلة.. فإنه كان من تأثير ذيوع العلم، وانتشار أنوار الحضارة أن ارتفعت مكانة المرأة فى المجتمع، وأصبحت أحسن حالاً وأرفع منزلة من ذى قبل، وإن بقيت منزلتها القانونية على حالها لم تتبدل(١)..

وظل اليونانيون على هذا الحال، وبنوا حضاراتهم المادية راسخة شامخة، حتى نصب الشيطان لهم أشراكه، وشهر لهم أمضى أسلحته ألا وهو المرأة.. ورويداً رويداً أقبل اليونانيون على الشرب من كأس الجنس حتى سكروا..

فكانوا فى احتفلاتهم الدينية يندفع فيهم الذكور لاحتضان الاناث مستميتين فى الوصول إلى لذاتهم الجنسية.

---

(١) الحجاب ـ لأبى الأعلى المودودى ص ١٢، ١٣.

وذكر بلوخ «Bloch» أن مدينة كورنيثوس وحدها كان بها أكثر من ألف كاهنة لخدمة شهوات الرجال بالقرب من معبد أفروديت يورن وأحياناً داخل المعبد نفسه؟(١)

وكان رجال الدين يكرسون طبقات من النسوة فى درجة كهنوتية للقيام بحاجة الرجال وخدمتهم، ومن هذه الطبقات هيئة كاهنات الزهرة، وهيئة نساء المعبد «هيروديوس» وغيرها من الهيئات التي كانت تضم جيشاً من الكاهنات فى خدمة الآلهة أفروديت ، وهى إلهة البغاء والملذات والشهوات والعهارة، وكان يعتبرها اليونانيون آلهة الحب والجمال. .

وكان يسمح للعذاري أن تتصارع علانية مع الرجال، وكانت البنات ترتدي رداء مفتوحاً من خصورهن إلى أكتافهن، وكان هذا الرداء شفافاً لايحجب البصر عن رؤية ما وراءه، ولذا كانت تدعى المرأة «الاسبرتية» باسم «فاينو ماريدس» وهو غير لائق. .

وكان يسمح للرجل الاسبرتي أن يعير امرأته لأي رجل معتدل القوام حسن الطلعة لتحسين النسل ونشاطه(٢).

ثم جعلت الشهوات النفسية تتغلب على أهل اليونان ويجرفهم تيار الغرائز البهيمية والأهواء الجامحة، فتبوأت العاهرات والمومسات مكانة عالية فى المجتمع لانظير لها فى تاريخ البشرية كله، وأصبحت بيوت العاهرات مركزاً يؤمه سائر طبقات المجتمع، ومرجعاً يلجأ إليه الأدباء والشعراء والفلاسفة، فكُنَّ شموساً فى سماء العلم والأدب يدور حولها كواكب الفلسفة والأدب والشعر والتاريخ وماعداها من الفنون. .

ثم ظهرت الغريزة البهيمية فى أهل اليونان بمظهر آخر هو أن إنتشرت فيهم سوءة قوم لوط انتشاراً كاد يأتى على الأخضر واليابس ورحبت بها الديانة والأخلاق أيضاً(٣). .

---

(١) الزنا ومكافحته ـ لعمر رضا كحالة ص ٣٢ نقلاً عن المرأة وفلسفة التناسليات للدكتور فخرى.

(٢) المرجع السابق ص ٣٢ ، ٣٤.

(٣) الحجاب ص ١٤ ، ١٦.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ (١)

وابتلع الجنس حضارة اليونان إلى الأبد.

***

(١) الاسراء : ١٦.

الجنس وسقوط الحضارة الرومانية

وإذا انتقلنا إلى الحضارة الرومانية التي ورثت حضارة اليونان، رأيناها تحلق فى آفاق المجد إلى أن دب فيها الداء الدويّ للحضارة التى سبقتها . . فظهر فيها من دعا الشباب إلى الفسق والفجور كما دعا فرويد فيما بعد . .

فهذا كاتو «Cato» الذي أسندت إليه الحسبة(١) الخلقية سنة ٨٤ قبل الميلاد، يجهر بجواز اقتراف الفحشاء فى عصر الشباب . .

وذاك شيشرون «Cisro» المصلح الشهير يرى عدم تقييد الشبان بأغلال الأخلاق المثقلة ويشير باطلاق العنان لهم فى هذا الشأن . .

ولايقتصر الأمر عليهما، بل يأتى ايبكتيتس «Epictetus» الذى يعد من «المتصلبين» فى باب الأخلاق من فلاسفة الرواقيين «Stoics» فيقول لتلاميذه مرشداً ومعلمًا: «تجنبوا معاشرة النساء قبل الزواج إن استطعتم، ولكنه لاينبغى أن تلوموا أحداً أو تؤنبوه إذا لم يتمكن من كبح جماح شهوته»(٢).

وقد كانت حفلاتهم صورة للحيوانية المجسدة فى لباس آدمى فكان من حفلاتهم حفلة الزهرة «Flor» حيث كانت البغايا يسرحن ويمرحن فى المدينة عاريات الأجسام، ويرتكبن الفاحشة على قارعة الطريق. ولم تبطل هذه العادة إلا فى أيام كاتو مع أنها كانت شائعة قبل عصره بمدة طويلة(٣).

وقيل عن يوليوس قيصر، أنه كان يغشى كل امرأة متزوجة، وأغسطس الذى كانت حياته فى شبابه مملوءة بممارسة البغاء، حتى فى أيام شيخوخته، فقد عين أناساً ليجلبوا له الأمهات والعذارى بعد فحصهن والتأكد من جمالهن وتمام صحتهن، وقيل عن غرام تيبيريوس بعد انكساره فى كابري، حوادث فى الفحش حتى لم تسلم من شره غالباً أى فتاة صغيرة توفرت فيها مسحة من الجمال . . وكان يقابل كل معارضة من هذا القبيل بالقتل.

---

(١) المحتسب : موظف يتولى مراقبة الأسعار، ورعاية الآداب.

(٢) الحجاب: ص ١٩ ، ٢٠ (٣) الزنا ومكافحته ص ٣٩.

وكان نيرون يزور بيوت المومسات دائماً ويأكل الطعام علناً فى المحلات العمومية بين جماعة من الزانيات، وبنى بيوتاً، وملأها بالاناث من ربات الخلاعة والتهتك وفضلهن على غيرهن من النساء(١). .

ولما تراخت عرى الأخلاق وصيانة الآداب فى المجتمع الروماني إلى هذا الحد، انـدفـع تيار العـرى والفـواحش وجمـوح الشهـوات، فأصبحت المسارح مظاهر للخلاعة والتبرج الممقوت والعري المشين. وزينت بصور ورسوم كلها دعوة سافرة إلى الفجور والدعارة والفحشاء.

ومن جراء هذا كله راجت مهنة المومسات والداعرات، وانجذبت إليها نساء البيوتات وتمادى الأمر في ذلك إلى أن أضطر القوم إلى وضع قانون خاص فى عصر القيصر تائي بيريس (٤ - ٢٧ م) لمنع نساء البيوتات من احتراف مهنة المومسات وصناعتهن النافقة(٢) . . ونالت مسرحية فلورا «Flora» حظوة عظيمة لدى الروم لكونها تحتوي على سباق النساء العاريات. وكذلك انتشر استحمام الرجال والنساء فى مكان واحد بمرأى من الناس ومشهد. أما سرد المقالات الخليعة والقصص الماجنة العارية فكان شغلاً مرضياً مقبولاً لا يتحرج منه أحد، بل الأدب الذي كان يتلقاه الناس بالقبول والرضا هو الذي يعبر عنه اليوم بالأدب المكشوف، وهو الذي تبين فيه أحوال الحب والعناق والتقبيل سافرة غير مقنعة بحجب من المجاز والكنايات(٣). .

وذهبت حضارة الرومان أدراج الرياح.

«سُنَّةَ الله فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبلُ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّة الله تَبْدِيلًا»(٤)

(١) الزنا ومكافحته ص ٤٥.

(٢) النافقة : الرائجة.

(٣) الحجاب ص ٢٠

(٤) الأحزاب : ٦٢

النصرانيّة والعلاج الأخرق

وَكرد فعلٍ للوحل الذى غاصت فيه الأخلاق جاء رجال النصرانية ليشخصوا الداء ويصفوا الدواء فزادوا الطين بلة والمريض علة . . ذلك لأنهم جاءوا بنظريات تجعل العلاقة بين الرجل والمرأة ـ ولو كانت شرعية ـ اثمًا ودناءة . .

فمن نظريتهم الأولية الأساسية فى هذا الشأن : أن المرأة ينبوع المعاصي، وأصل السيئة والفجور . . وهي للرجل باب من أبواب جهنم من حيث هى مصدر تحريكه وحمله على الآثام،ومنها انبجست عيون المصائب الانسانية جمعاء،فبحسبها ندامة وخجلاً أنها امرأة، وينبغي أن تستحي من حسنها وجمالها، لأنه سلاح ابليس الذى لايوازيه سلاح من أسلحته المتنوعة، وعليها أن تكفر ولاتنقطع عن أداء الكفارة أبداً، لأنها هى التى قد أتت بها أتت به من الرزء والشقاء للأرض وأهلها . .

ودونك ما قاله ترتوليان «Tertullion» أحد أقطاب المسيحية الأولى وأئمتها مبيناً نظرية المسيحية فى المرأة يقول: «إنها مدخل الشيطان إلى نفس الانسان، وأنها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة(١) ، ناقضة لقانون الله، ومشوهة لصورة الله ـ أى الرجل ـ» .

وكذلك يقول كراى سوستام «Chrysostem» الذى يعد من كبار أولياء الديانة المسيحية في شأن المرأة:

«هي شر لابد منه، ووسوسة جبلية، وآفة مرغوب فيها، وخطر على الأسرة والبيت، ومحبوبة فتاكة، ورزء مطلي مموه» .

أما نظريتهم الثانية في باب النساء، فخلاصتها أن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة هي نَجَسٌ فى نفسها يجب أن تتجنب، ولو كانت عن طريق نكاح وعقد رسمي مشروع(٢) . .

---

(١) ليس صحيحاً أن حواء هى التى دفعت آدم إلى الأكل من الشجرة، وإنما كانت ذلك بإغواء الشيطان كما نص على ذلك القرآن . .

(٢) الحجاب ص ٢١ ، ٢٢ .

وقد روى «ليكى» مؤلف كتاب تاريخ الأخلاق فى أوروبا عن الرهبان ما لايتسع المجال لذكره، وأنهم كانوا يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قربهن والإجتماع بهن، وكانوا يعتقدون أن مصادفتهن فى الطريق والتحدث اليهن ولو كن أمهات وأزواجاً أو شقيقات تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية(١). .

وقد بلغ من تأثير هذا التصور الرهبني أن تكدر صفو مابين أفراد الأسرة والعائلة من الأواصر، وحتى مابين الأم والولد منها، اذ أمسى كل قرابة وكل سبب ناتج عن عقد الزواج يعد اثمًا وشيئاً نجساً(٢). .

وكان الكبت الذي ولد الانفجار الجنسي المروع. . ورويداً رويداً جرف رجال الكنيسة وحراس الرهبانية فى تياره الهادر نتيجة طبيعية لقهر غرائز الانسان وفطرته التى فطره الله عليها. .

يقول «ليكى»:

«ان المدن التى ظهر فيها أكثر الزهاد كانت أسبق المدن فى الخلاعة والفجور»(٣).

وقال «Mezeray»: «كان يقتنى معظم المطارنه والآباء فى فرنسا خلال القرن الثامن للميلاد حواجب أو سرارى(٤) يمارسون معهن الحياة الجنسية، وذلك بسبب عدم زواجهم. . وظل هؤلاء الكهنة على هذا الحال فى القرن السادس عشر حتى قامت الحركة الاصلاحية الدينية فى ذلك القرن، فشنت حملة عظيمة على عزوبة الكهنة وعدم زواجهم واتخاذهم الأخذان. .

«بسبب عزوبة الكهنة ونقصان عدد الرجال الذين تركوا زوجاتهم للالتحاق بالحروب الصليبية كل ذلك كان من الدواعي التي دعت عدداً كبيراً من النساء لأن يبقين بعيدات عن أزواجهن لايمارس الحياة الزوجية، مما دعا كثيراً من رجال الاكليروس بأن يمارسوا الحياة الجنسية مع تلك النسوة التعيسات، حتى ان بعض

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبى الحسن الندوى ص ١٨٨.

(٢) الحجاب ص ٢٣.

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٨٨.

(٤) السرية: بالجارية المملوكة وجمعها: سرارى.

سكان «Murybourg » فى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد رفضوا بأن يلتحقوا بالحروب لأنهم لايأمنون على نسائهم من زيارة الكهنة . .

وأصيب كثير من رجال الكنيسة بمرض الزهري، وقد انتشر هذا المرض العضال فى أوروبا بوساطة نوتية كريستوف كلومبس»(١).

وصدق الله العظيم إذ يقول :

«وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوا مَاكَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ، وكَثِيرٌ مِنْهُم فَاسِقُونَ»(٢).

---

(١) الزنا ص : ٦٥ ، ٦٦.

(٢) الحديد : ٢٧.

الجنس وهزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية

ننتقل الآن إلى فرنسا لنقرأ صفحة أخرى من تاريخ الإنحلال الذي يسقط الأمم والحضارات.

فى عام ١٧٩٩ ألغيت فى فرنسا جميع القوانين التي تتعلق بالبغاء، وحل محلها قانون أصدرته الجمهورية الفرنسية، وصار سارى المفعول في جميع بلدان الجمهورية وقد أطلق الحرية لممارسة الاتصال الجنسي طوعاً لاكرهاً.

وعندما أصبحت ممارسة الحياة الجنسية تجارة علنية وحرة.. وكان من جراء ذلك أن انتشرت الرذائل انتشاراً عظيمًا فى ربوع الجمهورية، وأصبحت باريس مسرحاً لتعاطي الفحشاء وشوارعها تعج بالمومسات حتى أصبح من الصعب المحافظة على الحشمة والعفة أن يعيشا فى ذلك الجو المشحون بالفحش والرذيلة..

وكان عدد مومسات باريس فى أوائل القرن التاسع عشر نحو ٤٥٠٠ مومسة، وهؤلاء كن على الغالب من سكان باريس والمناطق المجاورة لها(١)..

ومن العوائد والأصول المتبعة فى فرنسا حتى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، أن الحكومة كانت تأخذ رسمًا من المومسات، فكل صاحبة ماخور عليها أن تدفع اثنى عشر فرنكاً شهرياً، وجزاء نقدياً فرنكان على كل مومسة تتأخر عن المدة المعينة لزيارة الصيدلية، وجميع هذه الواردات تختلف من ٧٥ ألف فرنك إلى ٩٠ ألف فرنك وقد ألغيت..

ولقد كان عدد النساء اللاتى يحترفن البغاء قبل الحرب العالمية الأولى نصف مليون حسبما أعلنه مسيو بيولو «M.Bulo» محامى فرنسا العام فى تقريره(٢)..

ثم لم يقف أمر هذه الفاحشة على دور البغاء ومكامن الدعارة المعروفة، بل هو قد جاوزها إلى الفنادق والمقاهى والمراقص فيجري فيها البغاء علنا وعلى مشهد من العالم وربما تبلغ البهيمية فى القائمين بها أقصى حدود الظلم والقساوة، فيقال: إن

(١) الزنا ص ١٩٠، ١٩١ (٢) الحجاب ص ٨٠.

محافظ بلدية فى شرقي فرنسا اضطر إلى التدخل فى الأمر سنة ١٩١٢ لانجاء فتاة كانت قد فرغت فى يومها من سبعة وأربعين وارداً كان عدد منهم بعد بالباب يترتبون!!(١).

ونتيجة حتمية لهذا الإنحلال المروع كان الجنود يهربون من المعسكرات التي أعدت للقتال فى الحرب العالمية الأولى ، وكان رؤساء الفرق ينفذون فى الهاربين أحكام الاعدام فرادى وجماعات، ولسوء حظ الألمان أنهم لم يكونوا يعلمون بهذه الحقيقة فوافقوا على شروط الحلفاء..

ومرت أزمة الفرنسيين فى هذه المرة بسلام، ولكن الدرس بعد ذلك كان قاسياً..

والمقام هنا لايتسع لكل مانريد أن نقوله أو نعرضه، ولكننا نقدم لك صوراً تستطيع من خلالها أن نتبين إلى أين المصير؟ مصير الغرب المنحل والشرق المفتون..

فى ٣ مايو سنة ١٩١٩ نشر قائد لبعض الفرق العسكرية إعلاناً للجنود التابعين له، فيه:

«قد بلغنا أن عامة الرجالة والخيالة يشتكون من تزاحم رجال البنادق على دور البغاء الجندية، فيقولون: إنهم قد كانوا يستبدون بها لايدعون غيرهم يتمتعون بها وان مكتب القيادة لايزال يسعى لزيادة عدد النساء، حتى يكفين لجميع الجنود. ولكن قبل أن يتم ذلك نوصي رجال البنادق ألا يطيلوا مكثهم داخل الدور، ويتعجلوا بقضاء شهواتهم ماستطاعوا..».

وظلت فرنسا فى هذا الجو المشحون بالجنون الجنسي ـ تستعد للحرب العالمية الثانية عشرين عاماً متواصلة تجييش الجيوش، وتعد العتاد، وتجهز أحدث مايمكن أن يصل إليه العقل البشرى فى عالم الدمار. وبنت الخط الشهير خط «ماجينو» وهو من الخطوط الدفاعية الحصينة..

---

(١) المرجع السابق ص ٧٨

أتدرون ـ ياشباب ـ كم أخذ هذا الإعداد والإستعداد من جيوش هتلر؟ سبعة عشر يوماً ورفعت فرنسا يديها مسلمة للألمان وغاصت كرامتها فى الوحل كما غاص مجتمعها فى بحار الجنس. .

وارتفعت الأصوات بعد ذلك تصرخ وتولول. . ولكن. . بعد أن سبق السيف العدل(١). .

وقام المارشال «بيتان» رئيس فرنسا فى ذلك الوقت يلقي على الأمة الفرنسية بياناً عقب الهزيمة المنكرة يقول فيه «لقد جاءت الهزيمة من الأنحلال، فدمرت روح الشهوات ماشيدته روح التضحية، وإني أدعوكم أول كل شىء إلى بناء أخلاقي»!!

وجاء فى كتاب أسباب انهيار فرنسا فى الحرب العالمية الثانية لأندريه موروا قوله:

«إن من أهم أسباب إنهيار فرنسا هو تفسخ الشعب الفرنسى نتيجة لانتشار الرذيلة بين أفراده».

ويقول الشيخ أبوالأعلى المودودي:

«إن أول ما قد جر على الفرنسيين تمكن الشهوات منهم واضمحلال قواهم الجسدية، وتدرجها إلى الضعف يوماً فيوماً. . فإن الهياج الدائم قد أوهن أعصابهم وتعبد الشهوات يكاد يأتى على قوة صبرهم وجلدهم، وطغيان الأمراض السرية قد أجحف بصحتهم»(٢).

وشربت فرنسا من نفس الكأس الذى شربت منه الأمم المنحلة قبلها.

﴿وَمَاكَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾(٣)

---

(١) مثل يضرب لفوات الأمر الذى لايمكن تداركه.

(٢) المرجع السابق ص ٩١.

(٣) هود: ١١٧

أسباب الانفجار الجنسي في أوربا

هناك عدة عوامل مشتركة أدت إلى هذا التسيب الجنسي المروع الذى نراه اليوم فى دول الغرب والذي سيبتلع الحضارة الشاهقة لتلحق بالحضارات الوثنية التي سبقتها على نفس الطريق، ومن هذه العوامل:

أولا: قهر الكنيسة للغرائز الطبيعية فى الانسان ودعوتها إلى استقذار العمل الجنسي وأنه يحبط الجهود الروحية، واعتبار المرأة ينبوع المعاصى وأصل السيئة والفجور. .

وهذا القهر ـ كما بينا ـ قد أتى برد فعل مباشر جرف معه رجال الكنيسة حتى صار الباباوات فى مكانة من الترف وإرضاء الشهوات يحسدهم عليها الملوك والأمراء كما اعترف بذلك الراهب جروم. .

ثانياً: اصطدام العلم بالكنيسة وخرافاتها حيث كانت وهى فى قمة هيمنتها على الحياة تستذل الجماهير وتعمل على تسخيرهم مادياً وقهرهم فكرياً، وتفرض على المجتمع المسيحي أفكاراً معينة يجب على الجميع أن يؤمن بها وهو مغمض العينين، ثم ظهور مهزلة صكوك الغفران. .

فلما نشر الشرق الإسلامى أنوار علمه على أوروبا واستيقظت أوروبا من سباتها وتحرر العقل الأوروبى من قيوده، قام ليفكر ويستعمل المنهج التجريبى الذي تعلمه من العلماء المسلمين ليكتشف الكون من حوله. . عندئذ قامت الكنيسة وأعلنت الحرب الضروس على العلماء والمفكرين وأنشأت لهم محاكم التفتيش(١) التى قتلت وحرقت بالآلاف. . ولكن نهاية الجولة كانت فى صالح العلم والعلماء، وكان رد الفعل الرهيب على الكنيسة بتنحيتها إلى الأبد عن ميدان الحياة، وفصل الدين عن الدولة، وظهور الشيوعية والعلمانية، واندفاع الجماهير الغفيرة إلى الكفر بجميع الأديان جملة وتفصيلاً حيث اعتبروا أن المسيحية تمثل كل الأديان. .

---

(١) قدر المؤرخون عدد الذين حكمت عليهم هذه المحاكم بالاعدام بنحو ثلثمائة ألف، أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفاً أحياء. . وكان من بين هؤلاء الضحايا عالما الطبيعة (برونو) و (جاليليو) لأنه قال بدوران الأرض حول الشمس. .

وانفجرت أوروبا كالقنبلة لاتلوى على شيء من فضيلة أو شرف أو خلق أو دين . .
وكان من الشعارات التى رفعتها الثورة الفرنسية فى هذا المجال: «اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس».

ثالثاً ـ ظهور «سيجموند فرويد» اليهودى الذى وجد الجو مناسباً والظروف مواتية، فوضع على النار حطباً لتأتي على كل شيء . . وإليك معالم بارزة عن أفكاره التى بني عليها نظريته الجنسية . .

(أ) ان كبت الطاقة الجنسية يؤدى إلى الأمراض النفسية ، وان الكبت راجع إلى استقذار الدافع الغريزي . .

(ب) لا يحقق الفرد ذاته بغير الاشباع الجنسي ، وكل قيد من دين أو خلق أو مجتمع أو تقاليد هو قيد باطل ومدمر لطاقات الانسان وهو كبت غير مشروع . .

(جـ) ليست الغيرة الا عادة حيوانية وحشية، وخير للمرأة أن تتزوج رجلا خائناً عربيداً من أن تتزوج رجلا غيوراً . .

(د) إن الطفل يتبول بلذة جنسية، ويرضع ثدى أمه أيضاً بلذة جنسبة . .

(هـ) الأولاد الذكور يحبون أمهاتهم بدافع جنسي (عقدة أوديب) . .

(و) والاناث يحببن آباءهن بدافع جنسي (عقدة اليكترا) .

(ز) الأنثى تحقد على أخيها الذكر لأنها لاتملك مثل أعضائه (عقدة الذكورية) . .

(ح) وأخيراً فإن الذي يحرك البشر جميعاً في هذه الحياة هو غريزة الجنس. وهكذا الانسان فى نظريات فرويد حيوان خالص الحيوانية، وهو بنظريته هذه يشارك في عملية هدم القيم الانسانية التي شارك فيها دارون وماركس وسارتر وغيرهم من أصحاب النظريات التى روج لها اليهود فى العالم، رغم أنها فروض خيالية، وشطحات فكرية . .

فالبيت فى نظر عميد مدرسة التحليل النفسي ماهو الا غابة تصطرع فيها الحيوانات . . شغلها الشاغل هو الجنس ! !

فالطفل الصغير يلتذ بأمه جنسياً والأولاد الذكور عاطفتهم نحو أمهم عاطفة

جنسية، وكذلك الاناث يعشقن آباءهن بنفس الدافع. . والفتاة تحقد على أخيها لأنها لاتملك مثل أعضائه.

وكل البشر من لدن آدم أنبياء وصديقين وشهداء وصالحين. . كل همهم ومبلغ علمهم فى الحياة : هو الجنس. .

والغيرة فى نظر العالم الكبير (موضة) قديمة وأنها ليس لها مايبررها وأنها دائمًا فى كل حالة حماقة ووحشية موروثة، والمفروض فى الانسان السوي على مذهب (الخواجة) ألا يفزع ولايرتاع إذا وجد زوجته مثلا فى أحضان رجل ما، والا فهو جامد ورجعى وحيوان وحشى.

ولـلأسف فإنـه حتى هذه اللحظة نجد كثيراً من أساتذة علم النفس عندنا يعولون فى كتبهم وأبحاثهم على أساطير فرويد وعقده، رغم أن نظريته فى الغرب نفسه أصبحت فى متحف الأفكار الأثرية بل أنها تعرضت للنقد والهجوم من أتباع فرويد نفسه ومن هؤلاء أدلر ويونج وهما من الأعضاء المؤسسين فى مدرسة التحليل النفسى، وذلك فضلاً عن قيام مجموعة من علماء أوروبا المحدثين، جندوا أنفسهم لمهاجمة أعمال فرويد ونظرياته الجنسية.

يقول الدكتور «الكسيس كاريل» فى كتابة «الانسان ذلك المجهول»:

ولقد أكد «فرويد» على حق الأهمية القصوى للدوافع الجنسية فى وجوه نشاط الشعور. ومع ذلك فان ملاحظاته تتعلق بالمرضى على الأخص. ومن ثم يجب ألا تعمم استنتاجاته بحيث تشمل الأشخاص العاديين وبخاصة أولئك الذين وهبوا جهازاً عصبياً قوياً وسيطرة على أنفسهم. . وفى حين يصبح الضعفاء، والمعتلو الأعصاب غير المتزنين، أكثر شذوذاً حينما تكبت شهواتهم الجنسية، فإن الأقوياء يصيرون أكثر قوة بممارسة هذا الشكل من الزهد».

ويدعـو الـدكتـور ناتـان كلابـين إلى نبـذ نظرية فرويد فى العـلاج النفسى والعقـلى. . فيقول: «ان هذه النظرية، ليست الا معاول هدم لعقول الشباب ومخدر مميت لنفوس أبناء الشعب».

رابعـاً ـ قيام اليهود بنشاط منظم على مستوى العالم يروج للمذاهب الهدامة

والنظريات الزائفة تحقيقاً للبروتوكولات الصهيونية التى تخطط للسيطرة الشاملة على العالم، حتى يصير اليهود فى النهاية هم الملوك المتوجين على قارات الدنيا الست . .

ولابد لناقبل أن نعرض بعض مخططاتهم فى هذا المجال أن نحذر من الخطر اليهودي الذى يوشك على المدى القريب أو البعيد أن يترجم مخططاته عملياً فى قلب العالم الاسلامى كما نفذها من قبل فى بعض دول أوروبا وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية . .

فكل المعانى السافلة من غدر وخسة ولؤم ومكر وخداع ونقض للعهود، كل ذلك مرادف لكلمة يهود، ولاتحسبن أن هذا افتراء عليهم، بل هى حقيقة سجلتها كل الكتب السماوية المحرفة وغير المحرفة وجميع كتب التاريخ القديم منها والحديث.

واننى أرفع راية الخطر وأطلق صفارات الانذار فالخطر اليهودي اليوم أشد وأعتى على الاسلام والمسلمين منه فى أي وقت مضى، حيث أصبحوا فى منطقة الخطر التي يستطيعون منها تسديد أهدافهم وتحقيق آمالهم دون أن يشعر بهم أحد!!

واليهود ليسوا بهذه السذاجة التي يتخيلها بعض الطيبين من المسلمين . . إننا جميعاً نذكر ما درسناه فى كتب التاريخ عن «هرتزل» وعن أول مؤتمر عقده اليهود في مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ ، حيث وضعوا البرامج والمخططات التي بمقتضاها تصير فلسطين الإسلامية دولة يهودية . .

ولقد مات «تيودور هرتزل» فى عام ١٩٠٤ ، ولعل الجيل اليهودى الذي حضر المؤتمر لم يشهد قيام دولة اسرائيل فى عام ١٩٤٨ . .

ألم أقل لكم أنهم يخططون ويرتبون لمئات السنين فى حين أن بعضنا ـ وللأسف ـ **لايرون ماتحت أقدامهم!!**

● العن رؤساء الأديان سوى اليهود ثلاث مرات كل يوم . .

● سأل اسرائيل الهه قائلاً : لماذا خلقت خلقاً سوى شعبك المختار فأجابه قائلاً :

لتركبوا ظهورهم، وتمتصوا دماءهم، وتحرقوا أخضرهم وتلوثوا طاهرهم وتهدموا عامرهم . .

● تتميز أرواح اليهود عن باقى الأرواح، بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده . .

● ان الله ليس معصــومـاً من الـطيش ولا من الغضب وانـه محتـاج دائـماً إلى حاخامـاتهم، وإنه يبكى ويندم وأحياناً يلطم خديه، ويسمع له زئير من أجل الشعب المختار اسرائيل . .

● ان الله لايغفر ذنباً ليهودي ، يرد للأممي ماله المفقود . .

● ان الزنا بغير اليهود ذكوراً أو أناثاً لا عقاب عليه لأن الأجانب غير اليهود من نسل الحيوانات .

هذا دينهم :

وساذج من يظن أن هذه الأفكار غير قابلة للتنفيذ، فاليهود عصابة لاتجمعها إلا العقيدة اليهودية، العقيدة التي لم ينفكوا لحظة عن العمل بما جاء فيها، ولو تحدوا بذلك العالمين ونالوا سخط الناس أجمعين . .

وهذه فقرات من بروتوكولاتهم التى وضعها رؤوس اليهود ليحققوا ماجاء فى كتبهم من ركوب الظهور امتصاص الدماء . .

جاء فى البروتوكول الثانى :

«ولاتـظنـوا أن أقـوالنـا هذه ثرثـرة جوفاء . . تفكروا واذكروا نجاح داروين وماركس، ونيتشة، فنحن الذين أوجدناهم، وتعلموا ماكان لسموم هذه المذاهب من أثر في أخلاق الجوييم(١) وعقولهم . .

وجاء فى البروتوكول التاسع :

«لقد أفسدنا شباب الجوييم وآدابه بما لقناه اياه من المبادىء الهدامة والنظريات الزائفة، وحصلنا على نتائج باهرة من غير أن نمس القانون السائد نفسه» .

---

(١) الجوييم : غير اليهود

وفى البروتوكول الثالث عشر:

«سنعمـل للحيلولة دون قيام الأغيار بأى تفكير حقيقي نابع عن ذاتهم على توجيه اهتـامهم إلى مجالات اللهو والألعاب والتسلية والإثارة الجنسية والقصور الشعبية، ومثل هذا الاهتمام سيصرف عقولهم تماماً عن القضايا التي نجد أنفسنا مضطرين إلى مكافحتهم فيها». .

وجاء البروتوكول الرابع عشر:

«وقد نشرنا فى بلدان تدعى الرقيّ أدباً منحلاً دنساً تغثى منه النفس، وسنوالى بعد قيام مملكتنا لزمن يسير تشجيعه رجاء أن نجلي مابينه وبين آدبنا من فوارق من المضمـون النقى المحمـود، وسيعد شيوخنا المهيئون قيادة الجوييم خطباً وبرامج ومذكرات ومقالات تؤثر فى عقول الجوييم وتقودهم إلى معارف وآداب تصوغهم الصياغة التى نريدها»(٢).

وهـذه صور فاضحة لاخلاص اليهود لتحقيق هذه المخططات التى وضعها رؤوس الأفاعى:

فى أعقاب هزيمة اليهود فى حرب رمضان، وقفت الممثلة الصهيونية «اليزابيث تايلور» فى «هيلتون امستردام» بهولندا خلال مزاد خيري لصالح ضحايا اسرائيل في حرب رمضان، وعرضت عقداً صغيراً من عقودها للمزايدة، فلم يأت بربع ثمنه فتصرخ فى المزايدين وتتهمهم بالجبن. . ثم تعرض شفتيها لقبلة ثمنها ألف وخمسمائة دولار. . من أجل من؟ من أجل اسرائيل. .

وقبل ذلك بقليل قام الهر «يواخيم دريش» وهو يهودي ألماني، عمره ستة وثلاثون عاماً يصدر مجلة «سانكت باولى تسايتونج» فى هامبورج قام بإنشاء حزب سياسى جديد أسـماه «حـزب الجنس» وشعـار هذا الحـزب هو المطالبة بالحرية الجنسية للجميع. . وتدريس العملية الجنسية للأولاد والبنات عملياً وعلى الطبيعة فى سن التاسعة، وإباحة الزواج المشاعى ـ وهو أن يتزوج جماعة من الرجال بجماعة من

---

(٢) راجع بروتوكولات صهيون ترجمة الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار، واليهودى العالمى هنرى فورد.

النساء، ويتبادلون الزوجات فيما بينهم ـ وإباحة زواج الرجل الشاذ بالرجل الشاذ وزواج المرأة الشاذة بالمرأة الشاذة، والنظر إلى الخيانة الزوجية على أنها الأمر العادي والطبيعي والمأمون. . ودستور الحزب يهدف إلى جعل حبوب منع الحمل والاجهاض حقوقاً مشروعة، والحل السياسى لأزمة العالم فى نظر الحزب هو «الحب بدل الحرب» أى الحب الجنسى على طريقة الحيوانات.

ومجلة الهر «يواخيم» تبيع مليون نسخة، وهناك ثلاثة آلاف ألماني وألمانية يدفع كل واحد منهم عشرة ماركات اشتراكاً شهرياً رسم ولاء وإنضمام لهذا الحزب. .

وسكرتيرة الهر «يواخيم» فتاة جميلة تجلس فى المكتب عارية وتستقبل الزوار عارية على الدوام.

وعندما رفعت على المجلة قضية دعارة. . ذهب الهر «يواخيم» إلى المحكمة على أكتاف ست فتيات عاريات الصدور(١).

من أجل من هذا؟ من أجل تحقيق مخططات اليهود بإغراق العالم فى الاثارة والوحل الجنسى حتى يتمكنوا من تحقيق ماخططوا له من قبل.

والمقام هنا لايتسع لما نريد أن نحيط به، ولكننا ندعوك إلى قراءة كتاب «اليهودي العالمي» تعريب الأستاذ خيري حماد. . هذا الكتاب أعده المليونير «هنرى فورد» ملك السيارات الذي أحس وهو فى بداية طريقه بالنفوذ اليهودي يسعى إلى تحطيمه، ويحاول أن يسد عليه الطريق، فقرر أن يحارب خصومه بسلاحهم، فاستقدم لفيفاً من خيرة رجال البحث العلمى من الأمريكيين، ليقوموا بدراسات دقيقة وشاملة عن نفوذ اليهودية العالمية. .فكان هذا الكتاب الذى أثار رد فعل عنيف عند اليهود، فقاموا بجمعه من الأسواق فور صدوره ، وتعرض بسببه المليونير وزوجته وأسرته للتهديد والارهاب والوعيد مما اضطره إلى وقف نشره وتوزيعه، وأصبحت النسخ التى بيعت من الكتاب فور صدورها نادرة للغاية، حتى ان النسخة الواحدة منه قد بيعت ـ كما قيل بثمانمائة دولار.

---

(١) أنظر الشيطان يحكم ـ للدكتور مصطفى محمود.

وقد عرى هذا الكتاب الأساليب التى يتبعها اليهودي العالمي فى تنفيذ البروتوكولات حرفياً وقد قال «المستر فورد» نفسه: «ان البيان الوحيد الذي يهمني الافضاء به فيما يتعلق بهذه التعاليم هو أنها تتفق مع ما وقع.. انها تتفق مع أوضاع العالم حتى اليوم بل وتتفق مع الوضع اليوم».

وقال أيضاً: «على الشعب الأمريكى أن يدرك ولو مرة واحدة أن الإنحلال الطبيعى ليس هو الشيء الذى أصابه بل التهديم المدروس والمخطط، وإذا ما أدرك هذه الحقيقة نجا واطمأن».

وقد أظهر الكتاب بوضوح كيف تولى اليهود نشر الإلحاد والإباحية والدعارة فى العالم، وكيف سيطر اليهود على المسرح والسينما والصحف والاذاعة والتليفزيون ودور النشر وجميع وسائل الاعلام، وكيف احتكروا تجارة الخمور فى العالم، وكيف أفسدوا الرياضة وحولوها إلى نوع من أنواع القمار.. ويخلص الكتاب إلى القول بأن معرفة حقيقة اليهود هى الطريق الوحيد لتحرير العالم من هذا الكابوس المخيف..

هؤلاء هم اليهود، وفى اليوم الذي يتخلون فيه عن إفسادهم فى الأرض يختل نظام الكون، ويقف الفلك الدوار، وتفقد الأرض جاذبيتها.

وهكذا كان اليهود وسيكونون من أبرز العوامل التى تسعر نار الجنس لتلتهم العالم بأسره، وليس الغرب وحده، وذلك ان لم تتنبه دول العالم إلى هذا السرطان الذى يعمل فى الخفاء بتخطيط مدروس...

وفى نهاية حديثنا عن أولاد الأفاعى نسوق (للحالمين) آيات من كتاب الله ـ عز وجل ـ:

قال تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا﴾ (١)

﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه﴾(٢)

---

(١) النساء: ١٥٥.　　(٢) المائدة: ١٣

﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لايتقون﴾(١)
﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾(٢)

* * *

(١) الأنفال : ٥٦

(٢) النساء : ٨٧.

نافذة على الإنحلال الجنسي في دول الغرب

لاأستطيع فى هذا المجال المحدود أن أعرض عليك الصور الحيوانية للجنس فى دول الغرب لأن ذلك يحتاج إلى مجلدات ، ولكنني سأجترىء بعرض الأحداث والأخبار والاحصاءات التى يؤكدها الواقع المشاهد، ذلك حتى نستيقظ من سباتنا، وننتبه من غفلتنا لنقطع الطريق على الذين يعبدون الغرب فى ديار الإسلام والـذين يصلُّون ووجوهم شطر أوروبا من أصحاب الدعوات الضالة والمسالك المشبوهة والذين سقطوا في بداية حياتهم، فانتابتهم مركبات النقص فهم دائمًا يجتهدون فى تبرير سقوطهم بدعواتهم إلى الأنحلال وتعرية السوءات والتمرغ فى تراب الغرب المقدس . .

● **الشذوذ الجنسى جريمة مشروعة :**

نشرت جريدة الجمهورية المصرية فى ٢٤ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٧ هـ تحت عنوان «الشذوذ الجنسي عمل مشروع يوافق عليه مجلس الكنائس الانجليزية» .

قالت الصحيفة «وافق مجلس الكنائس الانجليزية بعد مناقشات حامية على التوصية التى كانت تقدمت بها احدي اللجان الحكومية باعتبار الشذوذ الجنسي الذي يحدث بين البالغين وبرضاهم عملاً مشروعاً لايعاقب عليه القانون، وكان كبير أساقفة «كانتربرى» «**جوفرى نيشر**» هو الذي قاد الحملة لتأييد هذه التوصية التى تمت الموافقة عليها فى مجلس الكنائس بأغلبية ١٥٥ صوتاً ضد ١٣٨ صوتاً .

«وقال كبير الأساقفة : «انه كان يشعر بالقلق لما يصيب الشخص المصاب بالشذوذ الجنسي من ظلم القانون في حين يستطيع أي شخص آخر أن يدمر أسرة يشردها دون أي عقاب» . !!

المعاشرة الجنسية قبل الزواج

ونشرت صحيفة هيرالد تريبيون تحت عنوان «حمل غير المتزوجات يتزايد فى الولايات المتحدة الأمريكية .

«إن حمل البنات غير المتزوجات، وفى غير أمل لهن فى الزواج بمن حملن منه

يتـزايد فى الـولايات المتحـدة الأمـريكية . . وأن متـوسط السن للأمهـات غير المتزوجات هو السادسة عشرة من العمر»(*) . .

وتحدثت الدكتورة «Bermiceg Sachs» فى ندوة طبية فذكرت أن ستين فى المائة من البنات اللاتى يعقدن قرانهن الآن فى سن السابعة عشرة فأقل . . حوامل يوم زفافهن(١) .

وكتبت فتاة إلى جريدة الديلى نيوز التى تصدر فى نيويورك تسأل :

«صديقى الشاب يريد الزواج فوراً وأنا مترددة لأنى لم أصاحب غيره» .

وترد محررة باب شئون المرأة «دوريس بلاك» قائلة : معك حق . . يجب أن تتأكدي أولاً من مشاعرك ، خطأ أن تتزوجى أول رجل تلتقين به فى حياتك ، فربما تندمين ، أو ربما تظلين طول حياتك تتسائلين عما فقدته من سوء حظك . . ان هذا الشاب لايفهم الحياة وهذا يدل على أن عقليته جامدة ومن الصعب التعامل معه بعد الزواج . . أنظرى إلى مابدا منه حتى الآن»(٢) . .

* * *

● **آخر صيحة فى عالم الطب النفسى فى أمريكا :**

فى أحـد أعـداد مجلة «علم النفس» قام اثنـان من أساتذة جامعة كاليفورنيا بدراسة عن ٤٦٠ طبيباً نفسياً . . قال البحث : إن واحداً من ٢٠ من هؤلاء الأطباء لهم علاقات جنسية بمريضاتهم ، وقال البحث : ان هذه العلاقة تعتبر جزءاً من العلاج . . وأن المرأة هى التي تقوم بالخطوة الأولى(٣) .

* * *

(*) عدد ١٦ مارس ١٩٦٦ .

(١) عن الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر للدكتور محمد البهى .

(٢) دفاع عن الزوجات للصحافى محسن محمد ص ٣٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٥ ، ٣٦

● ونواد لتبادل الزوجات:

نشرت صحيفة «News of the world» تحت عنوان « Raid » « wife swop club»
« كبسة لنادى مبادلة الزوجات» لمراسلها الخاص بنيويورك:

ننقل منها مايلى:

«يذكر أحد رجال الشرطة: بأن تبادل الزوجات فى أمريكا يتزايد يوماً بعد يوم. ولكن ما وجد فى هذا النادى يكشف لأول مرة عن مدى انتشاره على مستوى الولايات كلها، ومستوى الأمة الأمريكية في أي مكان على أراضيها..

«وكثير من الأزواج والزوجات في أمريكا.. تغلب على العلاقة بينهما نوع من السآمة والملل، يفضي إلى الرغبة فى تغيير كل منهما لصاحبه فترة من الزمن: مدة ليلة.. أو لمدة نهاية الأسبوع.. أو لمدة الأجازة السنوية كلها..

«والنادى فى «أتلانتا» يقدم لأعضائه كل شيء، والرسم السنوي للعضوية مايقرب من خمسة جنيهات استرلينى. ومن بين أعضائه شخصيات عديدة مرموقة فى المجتمع الأمريكى سواء فى الأوساط السياسة، أو بين نجوم المسرح والسينما في هوليود..

«وتحدث شخص آخر من رجال الشرطة الرسميين، فقال: ان هذا النادي مستوف لجميع الامكانات، كناد.. وان سجلاته تظهر أن عدداً من الأزواج والزوجات يستخدم «فلوريدا» كمكان للالتقاء وتمضية اجازة تسطع فى أيامها الشمس الدافئة، مع زوجة (طازة)!

«وقد وقفنا على اللعبة التى يمارسها أعضاء النادي في اجتماعات آخر الأسبوع لتحقيق تبادل الزوجات وهي لعبة (الغماية).

ويعصب الرجل عينيه، ومن تصطادها يده من النساء تصير حظيته فى هذه الليلة..

«ومـاتقوم به الشرطة من مثل هذه المفاجآت لايوقف العلاقات الجنسية غير المشروعة.. مثل مايوقف شرب الخمر عن طريق منعها»(١).

---

(١) انظر الفكر الاسلامى ـ مشكلات الأسرة والتكافل ص ١٦٧ ومابعدها.

التلقيح الصناعى:

ونشرت جريدة «نيوز أوف ذى وورلد» تحت عنوان: «رجل أنبوبة اختبار يندد بالأطباء».. ذكر مايلى:

«ان أحد الأطباء ـ وهو مسئول عن ولادة اثني عشر طفلاً كل عام بواسطة التلقيح الصناعي عن طريق المتطوعين ـ يدعي: أن هناك أطباء يرون استخدام طريقة التلقيح الصناعي بدون تمييز.

«وهؤلاء ـ يقول الدكتور «برنارد ساندلر» ـ هم المسئولون عن سوء سمعة التلقيح الصناعي عن طريق المتطوعين..

وقد كشف عن أن بعض الحالات نجحت إلى درجة أن سيدات فى بريطانيا أنجبن ثلاثة أطفال من متطوع واحد بعينه..

وتنقل المجلة الألمانية «Constanze» فى عددها رقم ٢٨ فى ٦ يوليو سنة ١٩٦٥ ص ٤٦: أنه فى مدينة صغيرة قام أحد الأطباء بعملية نقل السائل المنوي من رجل واحد إلى ثماني سيدات فحملن وأنجبن جميعاً أولاداً على قيد الحياة(١).

● وأرقام قياسية فى الزنا:

قال شاب إيطالى اسمه «ماريو نيلاكس»: أنه يعتقد أنه حقق الرقم القياسي العالمي فى الخيانة الزوجية..

«وقال ماريو (٣٠ عاماً) وهو يدلى بتصريح بهذا المعنى إلى احدى الصحف الايطالية: هذا شيء جديد عليكم، ولكنه حقيقة ـ أنا خنت زوجتي حتى الآن أكثر من ٤٨٠ خلال ستة أشهر فقط وهى تعرف ذلك..

وأشار إلى أنه بعث برسائل إلى مكاتب تسجيل الأرقام القياسية فى العالم لتدوين اسمه وتجربته(٢).

(١) المرجع السابق ص ١٦٠، ١٦١

(٢) الشرق الأوسط عدد الجمعة ٢٣ من شوال سنة ١٣٩٩ هـ، رقم ٣٦٧.

● ومجلس العموم أيضاً :

قالت نقيبة المومسات البريطانيات (السيدة) هيلين باكنجهام : ان الضغط الذي تمارسه نقابتها على مجلس العموم لاتستطيع ممارسته أية نقابة أخرى، فهي تستطيع الكشف ـ فى أي وقت ـ عن أسماء الوزراء وأعضاء مجلس العموم وحتى رجال الدين (المسيحي) الذين يتعاملون مع زميلاتها فى النقابة والذي يؤكد كلام النقيبة أن المومسات طالبن بتنظيم مهنتهن، وبتعديل قانون كان معمولاً به منذ أكثر من عشرين عاماً، فأقر مجلس العموم التعديلات المطلوبة بأكثرية ١٣٠ صوتاً فى أقل من ساعتين»(١) .

● الجنس أربح أنواع التجارة:

وفي أمريكا بلغ عدد الشركات الجنسية التى تتخذ من المرأة بضاعة رائجة مايقرب من مائتين وخمسين شركة جنسية . .

وقد أعلن الرئيس الأسبق نيكسون بنفسه أن أرباح التجارة بالمرأة قد عادت على أصحابها بأكثر من ملياري دولار فى عام ١٩٧٢ م . .

وفى مدينة نيويورك وحدها بلغ عدد البغايا ٢٥ ألف بغية تستهلك الواحدة منهن ٥٠ دولاراً من المخدرات يومياً . .

وفى نيويورك أيضاً يوجد أغرب مجمع فى العالم يضم أعضاء من مختلف الولايات المتحدة يقدر عددهم بحوالى ١٥ مليوناً هم المنحرفون جنسياً بين منتسبين ومنتظمين(٢) . .

* * *

(١) المجتمع الكويتية العدد رقم ٤٣٩ فى ٦ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ.

(٢) تعدد الزوجات لاتعدد العشيقات للدكتور عبدالحليم عويس والمهندس مصطفى مشهور ص ٣٧ ، ٣٨.

الحصاد المر

أخى القارىء، أختى القارئة . . تعالوا بنا حتى نرى بداية النهاية فى حضارة «المال والجنس»، ولندع الحقائق تتكلم لتبين لنا هل حقق هذا الانطلاق الحيواني، ولأنعتاق البهيمى الراحة والطمأنينة والرفاهية للغرب؟ وهل ذهب الكبت الفرويدى ليحل محله الشعور بالسعادة والحبور.

تحت «عنوان «طبيب العائلة يحذر» «إن الصحافة والتليفزيون حولت اليوم (الجنس) إلى تجارة استغلالية وصلت إلى القمة» . . نشر ملخص لما دار فى ندوة جاء فيها مايلى:

«كثير من الشباب أصبح ضحايا للأمراض السرية . .

«وفى ندوة عقدتها الرابطة الطبية البريطانية لبحث الأمراض السرية والشباب ـ تحدث الدكتور «C. Luton» صاحب عيادة فى اسكتلندا يتردد عليها أكثر من عشرة آلاف شخص كل عام وكان مدعواً للحديث فى هذه الندوة لاذاعتها فى التليفزيون البريطانى.

«فبعد أن ابتدأ يذكر أن بيع الصيدليات لمواد منع الحمل للشباب تضاعف عن ذي قبل، منذ ثمانية عشر شهراً، وأن البنات فى المدارس يستعملن فى بعض الأحيان مواد منع الحمل المخصصة للذكور عملاً بالحكمة القائلة: الوقاية أولاً: نادى بضرورة الاشراف على تلك القوة التى يملكها هؤلاء لجمع المال من الجنس عن طريق التليفزيون والصحافة . . هؤلاء كما يقول مستغلون . . وليسوا شيئاً آخر سوى أنهم جاعلون من التليفزيون والصحافة مصادر للدعارة . .

«ورأى أن مايقدمه التليفزيون البريطانى اليوم من أمثال «الناس معاً فى سرير» و «القسوة مع البنات واغتصابهن» كان يصدم العالم ويزعجة قبل عشر سنوات وأن استغلال الجنس فى بريطانيا الآن يدر من المال أكثر من أى شىء آخر(١) . .

---

(١) نشرة الصنداى تايمس فى ٨ مز. نوفمبر سنة ١٩٦٤ ص ٢ ـ الفكر الاسلامى.

«وضرب مثلاً بما صار إليه الاختلاط الجنسي بابنة شابة اعترفت بأنها باشرت العملية الجنسية مع شاب أجنبي عنها لاتعرفه اطلاقاً من قبل، فى أثناء انتظارها للفحص فى عيادة طبيب لم يشغل عنها الا لمدة عشرة دقائق فى الكشف على مريض آخر..

ثم تحدث الدكتور امبروز كنج «Ambrose King» الطبيب الاستشاري فى مستشفى لندن لبحوث الأمراض السرية ومستشار وزير الصحة فى شئون هذه الأمراض فقال:

«ان أكثرية الشعب فى بريطانيا لاتؤمن بدين وان السبب فى المشكلة الاجتماعية الحاضرة هو رفض الأوضاع والمستويات التى تفكر الهيئات الدينية فى الاحتفاظ بها..

«والأمر الآن إلى أولئكم الذين نصبوا أنفسهم من أنفسهم رواداً للفكر العلماني، كي يعنوا بعوض وبديل عن تلك المستويات فى الماضى.. ذلك العوض والبديل الذى من شأنه أن يرضى النفس ويريحها، بحيث يمكننا من التغلب والرقابة على الغرائز الحيوانية.

«فإذا نحن أخفقنا فى ذلك، واستمرت الأخلاق الجنسية. فى الانحدار والأنحطاط فانا لا محالة يجب علينا أن نعد أنفسنا لمواجهة الواقع، وهو أنه بالرغم من الإزدهار المادي فان أعداداً من أوساطنا أولئكم **مهتزّي الشخصية**، ستزيد المنحرفين والذين لايحبون ولايحبون، وأصحاب السلوك المضاد فى المجتمع..

وفيما عدا الأمراض التناسلية والصلات الجنسية غير المشروعة فالنتائج نشاهدها:

- في السلوك الهجومى والمضاد للمجتمع.
- وفي العمليات الاجرامية للاجهاض.

ـ وفي العلاقات الزوجية المتداعية للانهيار.

ـ وفي اهمال الأطفال.

ـ وفي تعاطى المخدرات.

ـ وفي الادمان على المسكرات.

ان الأمر موجه إلى كل مواطن ليكون مثلاً فى حياته الخاصة، حتى يمكن للشباب أن يحتذي به ويجني فائدته».

* * *

١ ـ تخريب الجسم :

تشير الاحصاءات الدولية أن مايزيد عن ١٠٠٠ شخص ينتحرون يومياً فى العالم أجمع، وأن عدد الذين يحاولون الانتحار يبلغ حوالي ١٠ آلاف شخص فى اليوم الواحد، ويعد الانتحار من أعقد وأخطر المشاكل التى يعاني منها الناس وتحتل الولايات المتحدة رأس القائمة بين الدول التي تسجل فيها نسبة الانتحار أعلى معدلاتها. ففى عام ١٩٧٧ بلغ عدد الذين انتحروا فى مختلف أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية ٢٧,٠٦٣ شخصاً، وتحتل اليابان المركز الثانى بمعدل ١٩,٩٧٦ شخصاً، وألمانيا الغربية ١٢,٩٠٠ شخص، وفرنسا ٨,١٩٩ شخصاً، والمجر ٤,٣٠٧ أشخاص(١).

وجاء فى الموسوعة الطبية الحديثة: أن في الولايات المتحدة يحاول شخص قتل نفسه كل دقيقة. وتنجح ٥٠ ـ ٦٠ من هذه المحاولات يومياً. ويبلغ مجموع عدد الوفيات من الانتحار أكثر من عشرين ألفاً فى العام أى نصف ماتسببه حوادث السيارات تقريباً. ولاتشمل هذه الاحصاءات آلافاً من الناس يموتون كل عام من مضاعفات حوادث الانتحار أو حوادث الانتحار التى تعد موتاً عارضاً لعدم كفاية الأدلة..

---

(١) مجلة «الدعوة» المصرية العدد الحادى والأربعون فى غرة ذى القعدة سنة ١٣٩٩هـ.

وتقول الموسوعة: وحوادث الانتحار بين الرجال أربعة أمثالها بين النساء، وهى أكثر بنفس النسبة فى حقبة العمر بعد سن الخامسة والخمسين منها فيما بين ٢٥ - ٣٤ كما أنها كثيرة جداً بين المراهقين، وفى كل عام تحدث عدة مئات من الحالات فى حقبة العمر بين ١٥ - ١٩ وأقل من ذلك بين الصغار. وتزيد نسبة الانتحار فى الكليات أيضاً، وبينت دراسة بجامعة «ييل» أن حوادث الانتحار تبلغ ١٣ بين كل مائة ألف طالب(١).

وفى تعليق على انتحار أحد كبار عمداء الدراسات الإجتماعية والنفسية فى الولايات المتحدة الأمريكية يقول الدكتور رشدى فكار:

«ولكن الغريب هو انتقال العدوى والوباء من الناس إلى العلماء المعالجين لهم، بمعنى انتحار العلماء المتخصصين فى دراسة الانتحار، وأحدث مثال لذلك انتحار أحد كبار عمداء الدراسات الاجتماعية والنفسية فى الولايات المتحدة. .

«والسر هو أن المعرفة العلمية الحديثة رغم عمقها واتساعها وتنوعها لم تستطع حتى الآن أن تعطي النفس البشرية الثقة فى الحياة، أو الأمن والطمأنينة وسكينة النفس، بقدر ماعمقت لديه عوامل الشك فيها وفى قيمتها.

ويقول الدكتور رشدى: إن الانسان الذى اتخذ من ارضاء رغباته وإشباع غرائزه المادية هدفاً لاشك سينتهى بانتهائه. . أما الانسان الذى يرى أنه يعيش لما هو أسمى، وأن معرفته مهما تعمقت وفاضت فهي قطرة فى محيط المعرفة الغائبة، هو الانسان المتوازن الذي استطاع أن يوازن بين رغباته وقيمه ويعادل بين غرائزه ومثله. .

ويقول: ان انتحار عالم الانتحار «جاكوب مورينو» هو شبيه بوفاة أحد علماء طب القلب بالقلب «لونجرا» ووفاة الداعى إلى أن عسل النحل يطيل الحياة، لأن الإنسان ليس بالمسائل المادية وحدها ولكنه بشىء آخر يضاف إلى ذلك ويسبقه، هو أن تكون وجهة الحياة الله وحده وأن يكون الإنسان فى عمله وحياته ومماته لله. .

---

(١) الموسوعة الطبية الحديثة ص ١٧٠ ، ١٧١.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ (١)

وجاء في دائرة المعارف البريطانية: أنه يعالج فى المستشفيات الرسمية هناك مائتا ألف مريض بالزهري، ومائة وستون ألف مصاب بالسيلان البني «Sonorrhea» فى كل سنة بالمعدل، وقد اختص بهذه الأمراض الجنسية وحدها ستمائة وخمسون مستشفى على أنه يفوق هذه المستشفيات الرسمية نتائج الأطباء الرسميين الذين راجعهم ٦١٪ من مرضى الزهري، ٨٩٪ من مرضى السيلان(٢).

وجاء فى كتاب القوانين الجنسية «Laws of Sex» أنه في أمريكا يموت بين ثلاثين وأربعين ألف طفل بمرضى الزهري الموروث وحده كل سنة، وأن الوفيات التى تقع بسبب جميع الأمراض - عدا السل - يربو عليها جملة عدد الوفيات الواقعة من مرض الزهرى وحده. . وأقل مايقدره المسئولون في مرض السيلان أنه قد أصيب به ٦٠٪ من النفوس فى سن الشباب فيهم العزاب والمتأهلون. . وقد أجمع الماهرون فى أمراض الشباب على أنه ٧٥٪ من اللاتي تجرى العملية الجراحية على أعضائهن الجنسية يوجدن متأثرات بمرض السيلان(٣).

* * *

٢ - تخريب النفس:

يقول «ديل كارنيجى» في كتابه «دع القلق وابدأ الحياة»: «ولقد عشت فى نيويورك أكثر من سبع وثلاثين سنة، فلم يحدث أن طرق بابي أحد ليحذرني من مرض يدعى القلق(٤)، هذا المرض الذى سبب فى خلال الأعوام السبعة والثلاثين الماضية من الخسائر في الأنفس أكثر مما سببه الجدري بعشرة آلاف ضعف. .

(١) صفحات مضيئة من تراث الاسلام - لأنور الجندى - والآية من سورة الأنعام: ١٦٢، ١٦٣.

(٢،٣) الحجاب ص ١٠٩.

(٤) يشير بذلك إلى أن المتطوعين فى نيويورك كانوا يطرقون الأبواب للحث على التطعيم ضد الجدرى.

ويقرر الأطباء أن واحداً من كل عشرين أمريكياً سوف يقضي جانباًمن حياته فى مصح الأمراض العقلية. ومن الحقائق المريرة أن واحداً من كل ستة شبان، تقدموا للالتحاق بالخدمة العسكرية فى خلال الحرب العالمية الأخيرة، رد على أعقابه لأنه مريض أو ناقص عقلياً . .

ثم يقول فى موضع آخر: لقد أثبتت الاحصاءات أن القلق هو القاتل رقم (١) فى أمريكا، ففى خلال سني الحرب العالمية الأخيرة ، قتل من أبنائنا نحو ثلث مليون مقاتل، وفى خلال الفترة نفسها قضى داء القلب على مليوني نسمة ـ ومن هؤلاء الآخرين مليون نسمة كان مرضهم ناشئاً عن القلق، وتوتر الأعصاب(١) . .

ويقول الدكتور عمر شاهين رئيس قسم الطب النفسى فى جامعة القاهرة:

«إن الدول المتقدمة تعانى من أمراض الحضارة كما يطلقون عليها مثل الانحرافات الجنسية والادمان على المخدرات والكحوليات والأمراض النفسية والعصبية وكان من المتوقع ـ مع الاستقرار المادي ـ أن تختفى مظاهر القلق المختلفة، ولكن الذي حدث هو العكس فقد ازدادت الأمراض النفسية والعصبية مع تقدم الحضارة . .

«والظاهرة اللافتة للنظر فى هذا الصدد هو ازدياد نسبة الانتحار بشكل مفزع ففى المؤتمر الذي عقد في هلنسكى عاصمة فنلندا سنة ١٩٧٧ تبين أن نسبة الانتحار بين الشباب قبل سن الخامسة والعشرين قد قفزت فى دول أوروبا وأمريكا إلى ٣٠٠٪ فى خمس سنوات . .

ويستطرد الدكتور فيقول: وتظهر عظمة الإسلام فى تحريمه للخمور عندما نرى مضارها على أبناء أوروبا على النحو التالى . .

(أ) ٦٠٪ من حوادث السيارات فى أوروبا سببها الأول هو تعاطى الخمور . .

(ب) ٢٠٪ من مرضى فرنسا يعانون من مضاعفات الكحول . .

---

(١) دع القلق وابدأ الحياة ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٥ . . .

(جـ) ثبت طبياً أن إدمان الخمور يؤدي إلى الاصابة بعدة أمراض خطيرة مثل قرحـة المعـدة، والاثنى عشر وتليف الكبد وتضخم عضلة القلب وضمور المخ والتهاب أطراف الأعصاب، وأعراض عقلية تصل إلى الجنون . .

ولاخـلاف بين دول أوروبـا الغـربية أو الشيوعية فى أن الأمـراض العصبية والنفسية التي تنتاب شعوبها هي نتيجة لابتعادها عن الايمان أو محاولة إبعاد الايمان عنها . .

ويقول رئيس قسم الطب النفسى فى جامعة عين شمس: إن الصحة النفسية للشعـوب الخاضعة للحكم الشيوعى، بالغة السوء، حيث توجد بها أعلى نسبة انتحار فى العالم وقد ثبت بالأرقام الرسمية أن المجر يوجد بها أعلى نسبة انتحار فى العالم وهي دولة شيوعية، تليها ألمانيا الشرقية وهى دولة شيوعية أيضاً، ويأتي فى المرتبة الثالثة دول شمال أوروبا: السويد والنرويج . . أما الاتحاد السوفييتي فهو يعمل على اخفاء نسبة الانتحار فيه ولايظهرها أبداً، ولاشك أنها عالية(١) . .

* * *

تخريب النسل :

فى «لوس أنجلوس» كشف معهد أبحاث أمريكي عن فضيحة أخلاقية مفزعة، وهى أن عشرة آلاف فى كاليفورنيا وحدها قد أنجبن أطفالاً غير شرعيين وأن عدد البنات اللائي ولدن ولادات غير شرعية فى الولايات المتحدة يزيد عن ٣٠٠ ألف فتاة، وأنه فى مدرسة ثانوية واحدة فى مدينة لوس أنجلوس ظهرت أعراض الحمل على ٢٥٠ طالبة . . ومايحدث فى أمريكا يحدث مثله فى بريطانيا وألمانيا والسويد وغيرها من دول أوروبا(٢) .

---

(١) مجلة «الدعوة» المصرية العدد الثالث والثلاثون فى غرة ربيع الأول سنة ١٣٩٩ هـ.

(٢) تعدد الزوجات لاتعدد العشيقات ص ٣٧ .

وفى سنة ١٩٦٢ صرح كيندى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق: أنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين، لأن الشهوات التى غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية . .

* * *

العلاج الأعرج :

ولتفاقم مشكلة الأمهات غير المتزوجات والأطفال غير الشرعيين فى المجتمعات الصناعية فى البلاد الغربية، وفى البلاد الشيوعية أيضاً، يقترح بعض علماء الاجتماع أن ينسب الأولاد إلى أمهاتهم طالما لايعرف آباؤهم على وجه التحديد، منعاً لمركب النقص من أن يسود شعور الأطفال فيجنحون الى الجريمة والانتقام من المجتمع، على أن تزيد الدولة فى رعايتها لهم وتوجيههم توجيهاً يبعدهم عن تذكر الماضى . .

ومايقدمه علماء الاجتماع هنا لايمكن أن يكون بديلاً للطفل عن نسبه إلى أبيه فى العلاقة الزوجية المشروعة، فليست النسبة اعلاناً يعرف الطفل بأبيه وأصله، وإنما هي جو نفسي انساني ينمو فيه الطفل، ويباشر استعداداته الفطرية دون عائق معنوي، ودون (لوم) يلاحقه فى فترات هذا النمو. . هو جو يدفع إلى إرتياد المجتمع وريادته، كما يخلق فيه التفاؤل بالحياة والإسهام فيها اسهاماً إيجابياً عوضاً عن شعور المذلة، والتشاؤم والسلبية والنزعة الهدامة(١) . . . .

* * *

٤ ـ العنف :

تحت عنوان : معركة بالرشاشات والقنابل فى عملية سطو على بنك قالت صحيفة «الرياض» نقلاً عن أنباء كاليفورنيا :

(١) الفكر الاسلامى ص ١٣٤ .

هاجم لصـوص مسلحـون بالمـدافع الرشاشة والمتفجرات أحد البنوك أمس وأشعلوا معركة على امتداد ٤٠ ميلاً في جنوب كاليفورنيا وكانوا يلقون بالقنابل. أمام رجال البوليس الذين يطاردونهم ونتج عن ذلك مقتل ثلاثة أشخاص على الأقل.

وقـد قتل إثنان من رجال البوليس وذكرت الأنباء أن حوالي سبعة من رجال البوليس قد أصيبوا بجروح ـ وقد قتل أحد المسلحين أثناء تبادل اطلاق النار مع البوليس. .

وقد استولى اللصوص على عربة نقل في الطريق واستخدموها لمواصلة الهرب نحو منطقة جبلية تغطيها غابات كثيفة. .

وقال البوليس انه لم يعرف على الفور ما إذا كان اللصوص قد سرقوا أموالاً من البنك أم لا (١).

وتحت أيدينا الآن عشرات من هذه الصور. . .

* * *

العنف بالأرقام :

نشر أخيراً «رمزى كلارك» النائب العام الاتحادي في الولايات المتحدة الأمريكية احصائية عن جرائم بلاده في عام جاء فيها عن متوسط الجرائم :

إنـه تقع جريمة قتل كل ٤٣ دقيقة، وجريمة اغتصاب امرأة كل ١٩ دقيقة وجريمة سرقة كل دقيقتين وجريمة سطو على المنازل كل ٢٠ ثانية، وسطو على السيارات كل ٤٨ ثانية، واختطاف رجل كل ٢٠ ثانية. .

٣ جرائم سطو كل دقيقة على المنازل	٦ كل دقيقتين
٢ جريمتى سطو كل دقيقة على السيارات	٤ كل دقيقتين
١ جريمة سرقة كل دقيقتين	١ كل دقيقتين
	١١ كل دقيقتين

(١) الرياض السعودية فى ٢٦ من جمادى الثانية سنة ١٤٠٠ هـ.

وحاصل ذلك :

تقع كل ساعة :	٣٣٠ جريمة سرقة صغرى وكبرى
تبلغ فى اليوم :	٧٩٢٠ سرقة
وتبلغ فى الشهر :	٢٣٧,٦٠٠ سرقة
وتبلغ فى السنة :	٢٨,٥١٢,٠٠٠ سرقة

أى ٢٨,٥ مليون سرقة في السنة بين صغرىوكبرى. وفى الحملات الانتخابية يثير المرشحون للرئاسة اضطراد ازدياد الجرائم سنة بعد أخرى كوسيلة لمهاجمة المرشح المتولي الرياسة ويرشح نفسه للمرة الثانية (١). .

وجاء فى تقرير آخر من أمريكا أن نسبة الجريمة فيها قد زادت خلال النصف الأول من عام ١٩٧٩ بمعدل ١٣٪ بالمقارنة مع نفس الفترة من العام الماضى، وأضاف التقرير أن أشهر هذه الجرائم هي جرائم القتل واغتصاب النساء. أما السرقات فقد زادت نسبتها بمعدل ١٥٪ وترتفع نسبتها فى المناطق المزدحمة (٢) .

---

(١) نظام التجريم والعقاب فى الاسلام مقارناً بالقوانين الوضعية ـ المستشار على منصور ص ٣٢٠.

(٢) الرياض فى ٢٠ من ذى سنة ١٣٩٩ هـ ـ ١١ من أكتوبر سنة ١٩٧٩ م.

هذا هو الغـرب، وهذا بعض حصاد حضارته، قدمت نماذج منه للمفتونين والمفتونات والعاشقين لمنهجه والعاشقات . .

وسأعرض أيضاً بعضاً من الأصوات التى ارتفعت هناك فى وسط هذا الركام الرهيب من الحياة الجاهلية، لتهيب بالقوم أن يفيئوا إلى عقولهم قبل أن يبتلعهم الطوفان . .

ولكن كيف السبيل إلى النجاة؟

يقول بعض باحثيهم :

«ان هذه الحضـارة لم تعـرف الطريق الا بعد أن حطمت قيود الكنيسة التي فرضتها على الناس وتخلصت من رجال الدين الذين حبسوا العقلية الغربية داخل نطاق التعاليم المسيحية الروحية التي تخالف اتجاهات الغرب التي تميل إلى المادية . وان أوروبـا لم تتقـدم فكراً وثقافة وعلمًا إلا بعد أن قضت على سلطان الكنيسة وتحررت منه تحرراً تاماً

وبعد . . .

وبعد أن رفضت أوروبا المسيحية، فإننا ندعوها إلى الإسلام .

الإسلام الذي لاتتعارض فيه الحقائق العلمية مع الحقائق الدينية .

الإسلام الذي هو دين ودولة . .

الإسلام الذي يضع لأتباعه الحلول المثلى لمعضلات الحياة . .

الإسلام الذي ليس فيه كهنة ولاكهنوت . .

الإسلام الذي ليس فيه رجال دين بل كل أتباعه مكلفون بحمله وتبليغه .

الإسلام الذي يمنح المؤمنين به الأمن والأمان والهدوء والأطمئنان .

﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب﴾(١) .

---

(١) من سورة الرعد رقـم ٢٨

ولكن هل تستجيب أوروبا لهذا النداء؟

ابداً . . إنها لن تستجيب . .

ولن تؤمن الدنيا بهذا الدين إلا إذا كان النموذج الرفيع الأمثل من هنا . .

من دول الإسلام حين تعرض هذا الدين فى صورته الرائعة التي أرادها الله منهج حياة، وأسلوب معاملة وسلوكاً حياً للحاكم والمحكوم . .

وإنى على يقين بأن هذه الأصوات التي ترتفع فى أوروبا الآن لتنادى بالاصلاح والعودة الى الدين ما هي الا أصوات الفطرة الأولى التى فطر الله الناس عليها حين أخذ العهد والميثاق على بني آدم بألا يعبدوا سواه وبالاّ يتبعوا الا هداه.

﴿واذ أخـذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم، قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين. أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم، أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾(١).

يقول «أرنولد توينبى»:

«لاغنى للإنسان عن الدين، ولن تستطيع الأيديولوجيات أن تحل محل الدين، لأنها تمنحنا التعصب والتباغض، بدلاً من المجد والتعاون.

«انها قد تمنحنا لقمة الخبز ولكنها تسلبنا الطمأنينة النفسية والتحرر الروحي».

ويقول «سومرست موم»:

«إن أوروبا قد نبذت اليوم إلهها، وآمنت بإلهٰ جديد هو العلم ولكن العلم كائن متقلب، فهو ينفي اليوم ما أثبته بالأمس، ويثبت غداً مانفاه اليوم، ولذلك تجد عباده فى قلق دائم لايستقرون».

ويقول «كريس موريسون» رئيس أكاديمية العلوم فى نيويورك:

«ان الاحتشـام، والاحـترام، والسخاء، وعظمة الأخلاق، والقيم والمشاعر السامية، وكل مايمكن اعتباره نفحات إلهية لايمكن الحصول عليه من طريق الإلحاد . .

---

(١) الاعراف : ١٧٢ ، ١٧٣.

فالإلحاد نوع من الأنانية، حيث يجلس الإنسان على كرسى الله لسوف تقضى هذه الحضارة بدون العقيدة والدين.

سوف يتحول النظام إلى فوضى . .

سوف يتفشى الشر في كل مكان . .

انها لحاجة ملحة أن نقوي من صلتنا وعلاقتنا بالله».

نعم سوف تقضى هذه الحضارة بدون العقيدة والدين.

ولكن هذا الدين هو الإسلام . . نقول ذلك ليس تعصباً منا لديننا . . ولكنه الحق الذي ليس بعده الا الضلال . . استمعوا إلى محمد أسد الذي كان «ليوبولد فايس» والذي هداه الله إلى الإسلام وأصبح من أكبر دعاته بعد أن لفظ اليهودية . . استمعوا إلى خبرة مجرب وهو يعبر عن عظمة الدين الحق . .

يقول محمد أسد :

«نجد الإسلام وحده من بين الأديان يتيح للانسان أن يتمتع بحياته الدنيا إلى أقصى حد من غير تضييع اتجاهه الروحي دقيقة واحدة، ذلك أنه ليس فى الإسلام خطيئة أصلية موروثة وليس من أجل ذلك ثمة غفران شامل للانسانية . . إن كل مسلم رهين بما يكسب . . والإسلام ينظر إلى الحياة فى هدوء واحترام، ولكنه لايعبدها . . إن النجاح المادي مرغوب فيه، ولكنه ليس غاية فى نفسه، بل يقود الانسان نحو الشعور بالتبعة الأدبية فى كل مايعمل، والغاية من جميع نشاطنا العلمي أن يكون خلقياً.

الفصل الثاني

منهج الإسلام في بناء المجتمع النظيف

- الجنس فى التصور الإسلامى.
- منهج الإسلام فى تجفيف منابع الفتن.
- حرمة العرض.
- فتنة النظر.
- فتنة الخلوة بالأجنبية.
- فتنة الجوار
- فتنة سفر المرأة وحدها.
- فتنة القرابة.
- فتنة اللمس.
- فتنة التبرج.

فتنة الاختلاط.

الجنس في التصوّر الإسلامي

ليس ديناً مجنحاً فى آفاق عالم الخيال . . ولكنه الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لايعلمون . .

والله الذي خلق الإنسان وركب فيه الغرائز والعواطف ، لم يكن ليتركه هملاً ليحقق اشباعها على طريق الحيوان . .

وكيف ذلك؟ وهو الذي يقول :

﴿انا كل شىء خلقناه بقدر﴾(١)

﴿وكل شىء عنده بمقدار﴾(٢)

﴿وخلق كل شىء فقدره تقديراً﴾(٣)

الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى﴾(٤)

﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون﴾(٥)

﴿وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم﴾(٦)

هذه الدقة الحكيمة فى الصنع ، وهذا التوازن الحساس فى المخلوقات ، ينسحب على الإنسان كما ينسحب على جميع المخلوقات ، وكيف لا؟ والكون كله سماؤه وأرضه مسخر لهذا الإنسان ليحقق خلافة الله في هذه الأرض . .

فالإنسان صنعة الله . كونه قبضة من الطين ونفخة من الروح ، وسرى عليه هذا التوازن الدقيق ، فأعطي لجانب الجسد المجال الذي يتحقق اشباعه فيه ، وأعطي لجانب الروح المجال الذي يتحقق انطلاقها فيه . .

---

(١) القمر : ٤٩ — (٣) الفرقان : ٢ — (٥) الحجر : ١٩

(٢) الرعد : ٨ — (٤) طه : ٥٠ — (٦) الحجر : ٢١

وأى خلل فى هذا التوازن يفسد صنعة الله ويصيبها بالآفات الجسمية والروحية، وبذلك تكون قد حكمت على نفسها بالفناء . .

ومن أقوى الغرائز التي ركبها الله فى جسد الانسان غريزة الجنس، وقد جعلها الله هكذا لأهداف سامية وحقائق عالية تستهدف عمارة الكون، وعبادة الخالق .

﴿يأأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء . واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام، ان الله عليكم رقيباً﴾(١)

والجنس هو نقطة الضعف التى يمكن للشيطان أن يتسلل من خلالها ليخرب الكون، ويقلب نظام الحياة رأساً على عقب، ويعطل رسالة الإنسان فى الحياة . . يقول الله ـ عز وجل ـ

﴿والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيمًا . يريد الله أن يخفف عنكم، وخلق الانسان ضعيفاً﴾(٢) .

قال سفيان الثورى تعليقاً على ضعف الانسان الوارد فى الآية : «المرأة تمر بالرجل فلا يملك نفسه عن النظر إليها ولاينتفع بها، فأى شىء أضعف من هذا؟» .

وقال ـ ﷺ ـ «ماتركت بعدي فتنة هى أضر على الرجال من النساء»(٣)

وقال «اتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء» (٤) .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال : «ان المرأة تقبل فى صورة شيطان، وتدبر فى صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم من امرأة مايعجبه فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما فى نفسه» (٥) .

---

(١) النساء : ١

(٢) النساء ٢٧ ، ٢٨

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه مسلم وأبو داوود والترمذى .

ولما كان لغريزة الجنس هذا السلطان الطاغي على النفس البشرية، فإننا نجد أن الإسلام وضع لها الضوابط، وقنن لها القوانين، وعبد لها الطريق، وأقام عليه الاشارات التى تضبط حركتها فى الحياة حتى لاتصطدم بسنة الله فى الخلق، وبدون الالتزام بهذا التنظيم . . فانظر ماذا يحدث لسائق مجنون لايلقى للإشارات حمراء أو صفراء؟

يقول «جيمس رستون» مشيراً إلى خطورة هذه الغريزة:

«ان خطر الطاقة الجنسية قد يكون فى نهاية الأمر أكبر من خطر الطاقة الذرية».

* * *

والآن نسوق إليك معالم عن موقع هذه الغريزة فى التصور الإسلامى:

● حارب الإسلام الرهبانية التى تجعل الإنسان متفرغاً للعبادة، عازفاً عن الدنيا، منقطعاً عن اشباع عواطفه وغرائزه . . فالله - عز وجل - الذي ركب الإنسان وسواه طيناً وروحاً كره هذه الرهبانية التي تعطل عمارة الكون، وتؤدي إلى اختلال وظائف الجسم، وإلى ظهور الكبت والعقد النفسية التي قد تنفجر فتهوي بالإنسان إلى أسفل سافلين من حيث أمل الإرتقاء إلى الملأ الأعلى - كما رأينا فيما مضي . .

وقد نعى الله على الذين ابتدعوا الرهبانية فلا هم تركوها، ولاهم قاموا بحقوقها قال تعالى:

﴿ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها، فآتينا الذين آمنوا أجرهم، وكثير منهم فاسقون﴾ (١).

وروى البخارى ومسلم عن أنس - رضى الله عنه - قال:

جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى - ﷺ - يسألون عن عبادة النبى - ﷺ - فلما أخبروا كأنهم تَقَالُّوها: وقالوا : وأين نحن من النبى - ﷺ - وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر؟

(١) الحديد : ٢٧.

قال أحدهم : أما أنا فانى أصلي الليل أبداً .

وقال آخر : وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر.

وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاء رسول الله ـ ﷺ ـ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ . . أما والله إنى لأخشاكم وأتقاكم له. لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني».

● لم يصم الإسلام هذه الغريزة بالقذارة ولا بالدنس طالما كان اشباعها على النحو الذي رسمه الإسلام لها، ولذلك فلا مجال عندنا للقول بالعقد النفسية المتولدة عن استقذار العمل الجنسي الحلال. والقائلون بهذا جديرون بالبحث عن الخلل النفسي ، أو الممارسات الخاطئة التى تركت فى نفوس أصحابها هذا الأثر. .

يقول الله ـ عز وجل :

﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا، والله عنده حسن المآب﴾ (١)

فجعل الله ـ عز وجل ـ شهوة حب النساء على قمة شهوات النفس حقيقة واقعة غير أن هذا الحب للنساء والبنين والذهب والفضة ومرفهات الحياة ينبغى ألا تملك على الإنسان نفسه، وتستولى على عقله، فينسي ماعند الله من نعيم لاينفد وقرة عين لاتنقطع . .

وقال ـ ﷺ ـ « . . ولك فى جماع زوجتك أجر» قالوا: يارسول الله ، أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر»(٢).

وقال أيضاً: «كل شيء يلهو به ابن آدم، فهو باطل إلا ثلاثاً: رميه عن قوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله . . فإنهن من الحق» (٣) .

(١) آل عمران : ١٤

(٢) رواه مسلم والترمذى.

(٣) رواه أحمد وأصحاب السنن.

● لم يجامل الإسلام الرجل أو المرأة فى هذا المطلب الفطري، فجعل لكل من الزوجين الحق فى الحصول على إشباع حاجته الجسدية، ولقد قرر ذلك بصورة لايمكن أن ترى إلا في هذا الدين الذي أحاط بدقائق النفس البشرية وتتبعها في كل خفقة قلب ولمحة فكر، فمن المقرر فى أحكام هذه الشريعة الغراء: أنه من العيوب التي يثبت بها فسخ النكاح قيام علة جسدية بالزوج أو الزوجة تمنع تحقيق الاشباع الجنسي لأحد الطرفين، وكذلك إذا حلف الزوج ألا يجامع زوجته وهو مايسمى فى عرف اللغويين والفقهاء بالإيلاء - هذا الزوج - يعتبره الإسلام مضاراً لزوجته، ومسيئاً فى استعمال حقه فى القوامة، ومن ثم فإنه إما أن يحنث فى يمينه قبل مضى أربعة أشهر وعليه كفارة يمين، وإلا فإن مضت هذه المدة قبل أن يعود إلى معاشرة زوجته جنسياً، فإنه يطالب بالطلاق، فإن امتنع طلق الحاكم عليه، ويعتبر هذا الطلاق بائناً حتى يقطع الإسلام على هذا الزوج المضار سبل الاساءة إلى زوجته بمراجعتها والعودة إلى الاضرار بها من جديد. . قال تعالى:

﴿للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر، فان فاءوا فإن الله غفور رحيم، وان عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم﴾ (١).

يقرر الإسلام ذلك حتى يتحقق المجتمع الرباني الطاهر الذي ليس فيه نظرة متلصصة، أو خيانة زوجية، أو فراش مدنس، ولينصرف المجتمع المسلم إلى الانتاج صافي النفس، خفيف الروح، لاينغص حمل الغريزة عليه حياته، أو يكون عقبة كؤوداً فى سبيل تحقيق رسالته فى الحياة. .

ويعبر رسول الله - ﷺ - عن منهج الإسلام فى ذلك، فيلفت أنظار الأزواج إلى حقوق زوجاتهم فى هذا السبيل، لأن المرأة هي الجانب الذي يغلب عليه الحياء في هذا المجال - وذلك قبل أن يقوم الباحثون في الغرب بعمل الاحصاءات التى تثبت أن لهذا الجانب تأثيراً خطيراً في الحياة الزوجية، وربما أدى إلى هدمها من الأساس. . يقول الدكتور هاملتون: «ان عدم التوافق الجنسي يجثم دائماً فى قرارة

---

(١) البقرة: ٢٢٦، ٢٢٧.

كل زواج فاشل، فإن المشكلات التي تلابس الزواج يمكن أن يغضي عنها الزوجان لو أن التوافق الجنسي استتب بينهما».

فعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها، فان سبقها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها» (١).

وفى رواية أخرى «إذا جامع أحدكم أهله، فلا يأتهن كما يأتي الطير ليمكث وليلبث» (٢).

وهذا موقف للفاروق عمر مع امرأة عفيفة الخلق، أرقها غياب زوجها، وشفها الوجد إليه. فتنكر على نفسها أن تفكر فى رجل يأخذ مكان زوجها خوفاً من الله وحياء منه، وإكراماً لبعلها أن ينال أحد مكانته فى قلبها. ولنمض مع سعيد بن جبير ليروي لنا هذه القصة ذات الشأن.. فيقول: كان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إذا أمسى أخذ درّته ثم طاف بالمدينة، فإذا رأى شيئاً ينكره أنكره..

فبينما هو ذات ليلة يعس اذ مر بامرأة على سطح وهى تقول:

تطاول هذا الليل واسودّ جانبه ... وأرقني أن لاخليل ألا عبه
فوالله لولا الله لارب غيره ... لحرك من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياء يصدني ... وأكرم بعلى أن تنال مراتبه

ثم تنفست الصعداء وقالت: لهان على عمر بن الخطاب مالقيت الليلة. فضرب باب الدار.. فقالت: من هذا الذي يأتي امرأة مغيبة هذه الساعة؟ فقال؛ افتحي، فأبت فأكثر عليها. قالت: أما والله لو بلغ أمير المؤمنين لعاقبك، فلما رأى عفافها قال: أفتحي فأنا أمير المؤمنين، قالت: كذبت، ما أنت أمير المؤمنين. فرفع بها صوته وجهر لها فعرفت أنه هو، ففتحت له فقال: هيه.. كيف قلت؟ فأعادت عليه ماقالت، فقال: أين زوجك؟ قالت: فى بعث كذا وكذا، فبعث إلى عامل

(١) رواه أبو يعلى.
(٢) رواه الطوسى.

ذلك الجند أن سرح فلان ابن فلان، فلما قدم عليه قال: اذهب إلى أهلك، ثم دخل على حفصة ابنته فقال: أي بنية، كم تصبر المرأة على زوجها؟ فقالت: سبحان الله! مثلك يسأل مثلي عن هذا؟ فقال: لولا أنى أريد النظر للمسلمين ماسألتك. قالت: شهر واثنين وثلاثة، وفى الرابع ينفد الصبر. فجعل ذلك أجلا للبعث..

هذا في جانب المرأة، أما في الجانب المقابل، فإننا نرى رسول الله - ﷺ - ينبه الزوجات لحقوق أزواجهن في هذا المجال فيقول: «اذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته، وان كانت على التنور» (١).

ويقول أيضاً: «اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح» (٢).

وهكذا يحرص الإسلام كل الحرص على إقامة المجتمع الإسلامي النظيف من خلال ضغط الغريزة، وايجاد المتنفس الصحي لها، وحتى لا تنحرف يميناً أو يساراً فيكون الهلاك الشامل والدمار الكامل كما رأينا ذلك من خلال النافذة التي أطللنا منها على الغرب المنحل..

● جعل الإسلام هذا الإشباع الجنسي يتم فى اطار من الانسانية بعيداً عن روح الحيوانية الجائعة، وراعى فى ذلك مشاعر المرأة، لأنها- كما قلنا - الجانب الذي يغلب عليه الحياء فى هذا السبيل، فنهي عن إتيان المرأة فى دبرها.. قال تعالى:

﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم، وقدموا لأنفسكم﴾ (٣).

وقال - ﷺ - «ملعون من أتي امرأة فى دبرها» (٤).

وقال أيضاً: «من أتي حائضاً أو امرأة في دبرها، أو كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد - ﷺ -»(٥).

---

(١) الترمذى والنسائى.
(٢) رواه الشيخان وأبو داوود.
(٣) البقرة: ٢٢٣.
(٤) أخرجه أحمد وأبو داوود والنسائى.
(٥) رواه أحمد والترمذى

كما حث على اجتناب المرأة فى الحيض حيث يتدنى الاحساس الجنسى عند المرأة فى هذه الفترة، ويسبب الأضرار الصحية للرجل . .

قال تعالى : ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولاتقربوهن حتى يطهرن﴾ (١) .

ومن الأدب الرفيع الذى وضعه الإسلام في هذا المجال أنه يريد ألا يكون هذا الأمر مجرد أداء واجب بين الرجل وزوجته، بل يريد أن يجعله تتويجاً للمحبة والمودة والرحمة بين قلبيهما . .

تأمل معى هذا الأدب الرفيع فى توجيهات المعلم ـ صلوات الله وسلامه عليه :

«نهى رسول الله ـ ﷺ ـ عن المواقعة قبل الملاعبة» .

خطب النبى ـ ﷺ ـ ثم ذكـر النسـاء فوعظهم فيهن. ثم قال: «إلآم يجلد أحدكم امرأته جلد الأمة، ولعله أن يضاجعها من آخر يومه؟» (٢)

«لـو أن أحـدكم إذا أتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضى بينهما ولد لم يضره» (٣) .

ما أجمله من خلق، وما أروعه من دين، وما أحرانا أن نتأدب بهذا الأدب الرفيع!

● جعل الإسلام هذا العمل محاطاً بالكتمان بين الرجل وزوجته، مرهوناً بوقته فقط دون أن يستحوذ على تفكير المسلم وطاقته، فيتفرغ لنفسه وشئونه ورسالته في الحياة، وليست مناسبة تستحق أن يجترها الإنسان المسلم فى كل مجال لتكون على لسانه كلاماً، وفى عقله شغلاً، وفى مجتمعاته نكاتاً سخيفة.

وعندما يصير الجنس هكذا، فإن الاسلام يرفع راية الخطر، لأن الجنس قد تحول من كونـه وسيلة إلى غاية، وإلى هم مقعد مقيم يسيطر على أفكار الناس ويعطل حركتهم فى الحياة . . وهذا ـ لعمر الحق ـ شأن التافهين الذين يقفون عند

---

(١) البقرة : ٢٢٢ .

(٢) رواه ابن ماجة .

(٣) متفق عليه .

لذات الحس تاركين تحقيق الفضائل والمثل العليا التى تجعل الانسان يشعر بإنسانيته ويحس بأن له رسالة فى الحياة غير رسالة الحيوانات . .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ صلى ، فلما سلم أقبل عليهم بوجه . . فقال : «مجالسكم . . هل منكم الرجل الذى أتى أهله أغلق بابه ، وأرخى ستره ، ثم يخرج فيحدث فيقول : فعلت بأهلى كذا وفعلت بأهلى كذا؟ فسكتوا . . فأقبل على النساء فقال : هل منكن من تحدث؟ فجثت فتاة كعاب(٢٧) على احدى ركبتيها ، وتطاولت ليراها الرسول ـ ﷺ ـ وليسمع كلامها ، فقالت : أى والله؟ مثل شيطان وشيطانة لقى أحدهما صاحبة بالسكة ، فقضى حاجته منها . والناس ينظرون إليه» (١) .

وجاء فى حديث آخر : «ان من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها» (٢) .

وهذا القرآن المربى الأول عندما يتحدث عن الجنس ، يتحدث بالأسلوب الذى يؤدى الغرض ولايخدش الحياء ، وإذا صادف المسلم حديثاً عن العورة فى القرآن أو السنة ، فإنما يكون ذلك حيث لايغنى عن اللفظ غيره فى مكانه ، ولايقوم لفظ آخر بمعناه الذى يفهم منه الأمر أو النهى أو التوجيه .

تأمل روعة التعبير وروعة الكنايات فى أدب القرآن : قال تعالى :

﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب علليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم ، وكلوا وأشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ، ولاتباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد﴾ (٣) .

---

(١) الفتاة الكعاب : التى نهد ثديها .

(٢) رواه أحمد وأبو داوود .

(٣) رواه مسلم .

(٤) البقرة : ١٨٧ .

﴿ولاتقربوهن حتى يطهرن ، فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ، وقدموا لأنفسكم﴾(١) .

﴿أو لامستم النساء﴾(٢) .

﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾(٣) .

وعن المكان الذى يخرج منه الولد يقول ـ تبارك وتعالى :

﴿من نطفة خلقه فقدره. ثم السبيل يسره. ثم أماته فأقبره﴾(٤) .

ويعبر عن المنى فى بعض المواطن بأسلوب التلميح لا التصريح فيقول :

﴿كلا انا خلقناكم مما يعلمون﴾(٥) .

فأي تأديب هذا؟! وأي رفق بالمشاعر؟! وأية بلاغة سجد لها البلغاء؟!.

ولقد تأدب صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ بهذا الأدب القرآني الرفيع . . استمع إلى السيدة عائشة رضى الله عنها ـ عندما تعبر بهذا التعبير الذى يفيض رقة وأدباً وبلاغة، تقول أم المؤمنين: « لم ير مني ولم أر منه» أى العورة . . ايجاز بالحذف وهو غرض بلاغي . . بلاغة فى الذوق والاحساس قبل أن يكون بلاغة فى اللغة!!

وهذا عمر ـ رضى الله عنه ـ يأتي إلى النبي ـ ﷺ ـ فيقول له : يارسول الله ، هلكت. قال : وماأهلكك؟ قال : حولت رحلي البارحة . .

فياليت اللاغين فى الحديث من أصحاب المجالس الجنسية ـ وما أكثرها ـ ليتهم يعون هذه الدروس ، ويتأدبون بأدب القرآن . . !!

---

(١) البقرة : ٢٢٢ ، ٢٢٣ .
(٢) المائدة : ٦
(٣) البقرة : ٢٣٧ .
(٤) عبس : ١٩ ـ ٢١
(٥) المعارج : ٣٩ .

منهج الإسلام في تجفيف منابع الفتن

منهج الإسلام فى بناء الأسرة لايقوم على مبدأ الشيوعية الجنسية، فليست المرأة الواحدة لكل الرجال، ولا الرجل الواحد لكل النساء.

والإسلام فى هذا التصور الرائع يكرم الإنسان أيما تكريم، وينظم المجتمع ويحدد المسئوليات : مسئولية الرجل نحو أسرته، ونحو زوجته ونحو أولاده. وكذلك مسئولية المرأة نحو زوجها ونحو أولادها..

وذلك حتى لايصبح المجتمع كمجتمعات الكلاب يقتتلون على كلبة، أو يتصارعون على جيفة، يأكلونها لحمًا طرياً، ويتركونها عظاماً نخرة، كما رأينا فى الصور الحيوانية الخالصة التي عرضناها للغرب المنهار..

ولذلك أيضاً نجد أن الإسلام عالج بالغذاء قبل أن يعالج بالدواء وعالج بالحمية قبل أن يستعمل مشرط الجراح.. فوضع القواعد التى تسد باب الغواية، وتجفف منابع الفتنة ليكون الجنس مصدر تشييد وبناء بدلاً من أن يصير مصدر هدم وشقاء..

والإسلام عندما يشرع فإنه لايتطوع بترقيع نظم اجتماعية مختلة أو نظم اقتصادية فاسدة..

كلا.. لأنه يرسم ويشرع لمجتمعات ربانية تخضع في كل حركاتها وسكناتها لمنهج الله ـ عز وجل ـ..

هذا المنهج وحده هو القادر على تكوين مجتمع نظيف بكل ماتعني هذه الكلمة من معان.. نظافة فى الضمير.. نظافة فى السلوك.. نظافة فى الظاهر.. نظافة فى الباطن.. مجتمع يتمتع بطهر الملائكة وبنقاء الملأ الأعلى.

وعلى طريق بناء هذا المجتمع، يقول الله ـ تبارك وتعالى:

﴿ولاتقربوا الزنا، انه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾(١).

---

(١) الاسراء: ٣٢.

﴿ولاتقربوا﴾ تعبير دقيق يؤكد على إيصاد كل باب يمكن أن يوصل فى نهايته إلى إشاعة الفاحشة فى المجتمع المسلم. . سواء أكان ذلك نظرة متطفلة، أو لمسة فاجرة، أو لفظة متكسرة، أو أغنية عاهرة، أو فيلمًا ينفخ فيه الشيطان من روحه فيعصف بقلوب الشباب ويدفعهم الى السقوط. .

وهكذا فالإسلام ـ كما قررنا ـ يعمل على تجفيف منابع الفتن، وردم المستنقعات التي تبيض وتفرخ فيها جراثيم الفساد. .

والآن الى وسائل الوقاية التى تحفظ على المجتمع المسلم طهره ونقاءه. .

* * *

في سبيل بناء مجتمع رباني . . يضع الله ـ عز وجل ـ الضوابط التي تحمي هذا المجتمع من التفكك والانهيار وذلك حتى يصير كل إنسان في هذا المجتمع المسلم آمناً على نفسه وعرضه وماله، ويصبح المؤمنون فيه بنعمة الله أخوانا . .

ولكي تتحقق هذه الروح فى المجتمع المسلم، فإننا نجد الإسلام يحارب النفوس المختلة التي تثير الحقد في هذا المجتمع، والتي لاهم لها الا الهمز واللمز، والتنابز بالألقاب، وتتبع العورات ، والسخرية من خلق الله .

وهذه كلمات كالقوارع ، ينذر بها رسول الله ـ ﷺ ـ هذه الفئة المريضة التي تجعل من أعراض الناس خبزها اليومي الذي تقتات به . .

يقول رسول الله ـ ﷺ ـ في احدى خطبه «يامعشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الايمان قلبه، لاتغتابوا المسلمين، ولاتتبعوا عوراتهم، فإن من أتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع عورته يفضحه في بيته»(١) .

وللمحافظة على العرض وصيانته نجد أن الإسلام قد أقام حوله سياجاً قوياً متيناً لحمايته، فقعد القواعد، وقنن القوانين، وحد الحدود، ووضع التدابير الرادعة لكل من تسول له نفسه أن يصير بوقاً لترويج الشائعات والطعن فى الأعراض، وتلويث سمعة الأبرياء . .

فمن تورط فى جريمة تلويث عرض مسلم أو مسلمة بالقذف صريحاً كان أو كناية فإنه الردع والزجر بصورة تقطع دابر هذا العبث من المجتمع المسلم . . فيحكم على هذا المروج والوالغ فى الأعراض بنوعين من العقاب : العقاب البدني، بأن يجلد ثمانين جلدة على مرأى من الجماهير المسلمة، والعقاب الأدبي، باسقاط حقوقه، كفرد فى المجتمع المسلم فلا تقبل له شهادة أبداً ، لأنه ـ فى نظر الاسلام ـ فاسق لايؤتمن على شيء . . قال تعالى :

(١) اخرجه أبو داوود.

﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً، وأولئك هم الفاسقون﴾(١).

وفى نفس الوقت الذي وضع فيه الإسلام هذه العقوبة الرادعة الزاجرة، فإنه وضع عقوبة أشد وأنكى لمن تثبت عليه جريمة ارتكاب الزنا. . هذه العقوبة تصل إلى درجة الاعدام رمياً بالحجارة، إذا كان الجاني متزوجاً، أو الجلد مائة وتغريب عام إذا كان الجاني عزباً. .

ولقد اهتزت السماء يوم أن افترى رأس المنافقين عبدالله بن أبيّ على السيدة عائشة حديث الافك. . وصمتت السماء حتى يكون الاختبار والابتلاء. .

وينزل جبريل من السماء بعشر آيات فى سورة النور، وكأنها وقع السهام المرسلة فى صدور الذين تلقفوا الفرية وأذاعوها، وحاولوا أن يجعلوا منها مادة حية للكيد للإسلام والمسلمين. . تأمل معي هذه الطوارق:

﴿ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم، لاتحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم، لكل امرىء منهم ماااكتسب من الاثم، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾.

﴿لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾.

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فى ما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾.

﴿إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون فأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾.

﴿ولولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم. يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً ان كنتم مؤمنين﴾.

﴿أن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنياب والآخرة، والله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾.

---

(١) النور: ٤.

﴿أن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾(١).

ولقد كان من قول السيدة عائشة فى حديث الأفك: «ولكن والله ماكنت أظن أن الله منزل فى شأني وحيا يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلي، ولكن كنت أرجو أن يري رسول الله - ﷺ - فى النوم رؤيا يبرئني الله بها».

ولكن الله - عز وجل - يغار أن يمس شرف امرأة مسلمة فى عرضها فضلاً عن كونها زوجة نبي . . . ﴿وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾.

نعم انه عظيم وجليل ولقد سأل رجل رسول الله - ﷺ - عن الكبائر؟ فقال: «هن تسع؛ الإشراك بالله، وقتل نفس المؤمن بغير حق، وفرار يوم الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وقذف المحصنة، وعقوق الوالدين المسلمين، وعمل السحر، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتاً»(٢).

بل إننا نجد أن حرمة عرض المسلم في الإسلام تفوق حرمة الكعبة عند الله، فلقد نظر النبي - ﷺ - إلى الكعبة ثم قال: «ما أطيبك وأطيب رائحتك! وما أعظمك، وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك. . حرمة دمه وعرضه وماله(٣).

ولقد كان العرض عند العربي فى الجاهلية عرين الأسد الذى لاينال نجد ذلك مسجلاً فى تراثهم يقول أحدهم.

أصون عرضى بمالي لا أدنسه ... لا بارك الله بعد العرض في المال
أحتال للمال ان أودى فأجمعه ... ولست للعرض إن أودى بمحتال

(١) النور: آيات مختارة من ١١ - ٢٤.
(٢) أخرجه البيهقى والحاكم واللفظ له.
(٣) حديث شريف.

ويقول آخر :

فإذا شربت فإنني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم

ومما أثر عنهم في ذلك قولهم : «كل شيء مَهمَهٌ (١) ماخلا النساء وذكرهن» أي كل شيء يمكن احتماله والتغاضي عنه إلا الاعتداء على الحرم فانه لايحتمل.

جاء الإسلام فزكي عندهم هذا الاحساس، وهذه الصفة التي تنبىء عن الشمم والأنفة، حتى أننا نجد سعد بن عبادة ـ رضى الله عنه ـ يقول: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول ﷺ ـ فقال «أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه، والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ماظهر منها ومابطن»(٢).

أين هذا مما يقوله «الخواجة» فرويد من أن الغيرة ليست الا عادة حيوانية وحشية.. وخير للمرأة أن تتزوج رجلاً خائناً عربيداً من أن تتزوج رجلاً غيوراً!!

لقد حرم الله الجنة على كل ديوث لايغار على أهله فقال ـ ﷺ ـ : «ثلاثة لايدخلون الجنة أبداً: الديوث، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر» قالوا: يارسول الله، أما مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الديوث؟ قال «الذي لايبالي من دخل على أهله، قالوا: فما الرجلة من النساء ؟ قال: التي تتشبه بالرجال»(٣).

وفى رواية أحمد: «الديوث الذى يقر أهله فى الخبث».

هذه هى روح الإسلام التي تجعل العرض داخل حصن حصين، ومدرعاً بسياج متين، والتي تجعل الموت فى سبيل العرض شهادة في سبيل الله..

أين هذه الروح الأبية ممن ينتسبون إلى الإسلام وإلى العروبة..

لو نظرت إلى كثير من هؤلاء لصدمتك الحقيقة بين الأمس واليوم.. فهذا شاب «متخنفس» يرسل شعره على أذنيه، ويلبس (الكعب العالي) ويضع سلسلة في عنقه كالـ...، ويتأبط ذراع أخته أو زوجته الكاسية العارية.. لايبالى أن

---

(١) محركة يسير سهل (٢) رواه البخارى ومسلم . (٣) رواه الطبرانى

يعرضها في الشوارع على الأنظار، أو يعرضها لحمًا غضاً على شواطىء البحار . .
تراه يسير إلى جوارها مختالاً فخوراً يتمنى لو اخترق الأرض أو بلغ الجبال طولاً . .
وكأنه بطل عالمي قد حصل على وسام عال لبطولة دولية ، أو مغوار حقق نصراً مؤزراً على الصهيونية . وآسف إذا قلت له :

لاأنت من العروبة فى شيء ، ولا من الاسلام فى شيء . . ولكنك . فقط ـ لقيط فى ديار الإسلام ! !

* * *

فتنة النظر

إن الإسلام عندما يشرع فإنه لايحلق فى أجواء خيالية حالمة، ولكنه يشرع لأرض الواقع التى يعيش عليها الناس. . والله عز وجل عندما يأمرنا بغض البصر، لم يطلب من الإنسان أن يسير فى الشارع مغمض العينين، ليتعثر فى الطريق، أو ليصطدم بجدار، ولذلك فإننا نجد التوجيه الإلهي يأمرنا أن نغض من أبصارنا لا أن نغض أبصارنا بالكلية، حتى يرفع عنا الحرج والمشقة. .

فقال تعالى:

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم، أن الله خبير بما يصنعون﴾(١)

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن الا ماظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾(٢).

والإسلام عندما يأمر بغض البصر، فإنه يحفظ على الإنسان نفسه، فمن سرح ناظره أتعب خاطره، ومن كثرت نظراته ضاعت أوقاته ودامت حسراته.

وتصور معي شاباً كل همه أن يخرج ليتسكع في الشوارع قصداً إلى أن يلاحق بنظره كل رائحة وغادية. .

هل تعتقد أن ذلك سيحقق له الهدوء الجنسى؟

كلا. . . . . .

وإنما سيزيد نار الجنس اشتعالاً، وسيظل ليله ونهاره مسلوب القلب مشتت الفكر. . يتخيل صورة هذه الفاتنة التي من أوصافها كذا وكذا كيف يلقاها؟ وأين؟ ومتى؟ وبالطبع ليس كل من يراها يستطيع أن يلقاها. . ويظل صاحبنا شارداً فى أحلام اليقظة يمني نفسه بالأماني الباطلة ، ويبني قصوراً من الورق على أساس من الرمال، وفي مثل هذا يقول الشاعر :

---

(١) النور : ٣٠ (٢) النور: ٣١

وكنتَ متى أرسلت طرفـك رائـداً   لقـلبـك يومـاً أتعبتـك المنـاظـر
رأيتُ الـذي لاكـله أنـت قادر   عليه ولاعـن بعـضـه أنـت صابـر

ان في استطاعة كل شاب أن يمعن النظر في كل امرأة تقابله، وفي استطاعة كل شاب أن يسقط فى أوحال الجنس بأي أسلوب . . .

ولكن هل تعتقد أن السقوط بطولة؟

هل تعتقد أن فقد السيطرة على النفس رجولة؟

كلا . . وإلا لصار كل الساقطين والتافهين من الأبطال . .

ان الطائرة عندما تريد أن تحلق في طبقات الجو العليا، فإن كافة الأجهزة فيها تعمل بكل قوة، حتى تتمكن من مقاومة معاكسة الهواء لها . . وبذلك ترتفع . . أما عندما يحدث خلل فى أجهزتها فإنك تجدها تهوي إلى الأرض فى ثوان قليلة . . والسقوط دائمًا ينتهى بكارثة . .

وهكذا الشاب القوي عندما يقاوم شهوته، ويتحدى ضعفه، يرتفع ويسمو، ويحلق فى أجواء الفضيلة، ويحقق رجولته، ويثبت بطولته، ، ولذلك فإنه يشعر في أعماقه بلذة عظيمة . . لذة الانتصار على النفس . . لذة الانتصار على الضعف . . لذة النجـاح فى قهر الشهوة التي تستعبد الآخرين فيخرون تحت وطأتها صرعى نتيجة ضعفهم وخورهم ووهن عزيمتهم . .

وهذه اللذة هى التى عبَّر عنها الحديث القدسي «بحلاوة الايمان».

يقول الرسول ـ ﷺ ـ في الحديث القدسى الجليل الذي يرويه عن الله عز وجل ـ: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته فى قلبه»(١).

ويقول الشاعر مشيداً بقوة هذه الارادة وصلابتها:

ليس الشجـاع الـذي يحمى مطيتـه   يوم النزال ونـار الحـرب تشتعـل

(١) رواه أحمد والطبرانى.

لكن فتى غض طرفــاً أو ثنى بصراً عن الحــرام فذاك الفــارس البـطل

وقـد كان النبى ـ ﷺ ـ يؤدب أصحابه بهذا الأدب الرفيع، فيقول «ياعلى، لاتتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الثانية»(١).

ولما سأله جابر بن عبدالله عن نظرة الفجاءة.. قال له: «اصرف بصرك»(٢).

إذا علمنا ذلك فإنه ليس عجيباً أن يكون الشاب الذي ينتصر على هواه، ويقهر شيطانه بغض البصر ـ ليس عجيباً أن يسمو إلى مرتبة المؤمن الذي خشع قلبه، واهتزت نفسه من خشية الله فهطلت الدموع من عينيه، وفي مكانة الجندي المرابط على ثغر من ثغور المسلمين يحرسها، يقول ـ ﷺ ـ :

«ثلاثة لاترى أعينهم النار: عين حرست فى سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين كفت عن محارم الله»(٣).

وكأن رسول الله ـ ﷺ ـ ينظر من رواء الغيب إلى مجتمعات آخر الزمان، فيجد المتسكعين على النواصي، والجالسين على القهوات وهم يجرحون مشاعر الرائحات الغاديات بعيونهم الجريئة وكلماتهم البذيئة فيوجه إليهم هذا التحذير فيقول:

«إياكم والجلوس فى الطرقات».

قالوا: يارسول الله، مالنا من مجالسنا بد، نتحدث فيها.

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «فإذا أبيتم فأعطوا الطريق حقه».

قالوا: وماحق الطريق يارسول الله؟

قال «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر»(٤).

---

(١) أخرجه الترمذى وأبو داوود.

(٢) أخرجه مسلم والترمذى وأبو داوود.

(٣) رواه الطبرانى.

(٤) متفق عليه

فتنة الخلوة بالأجنبية

خلوة الرجل بالمرأة الاجنبية . . أس البلاء ، ومصدر الشقاء ،ومادة حية للشبهات والقيل والقال .

ولقد جر علينا بعدنا عن الله وعن توجيهات رسوله ـ ﷺ ـ فتناً كقطع الليل المظلم . . فكم من أسر تحطمت ، وكم من صروح زوجية قد أنهارت فوق رؤوس **أصحابها** نتيجة مباشرة **لانسياقهم** فى ركاب التحلل والتمدين رغم أنهم يرون حضارة الغرب المادية قد بدأت فى طور الانهيار ، ولم يعد هناك ما يمكن أن يطلق عليه اسم «أسرة» بأي معني من معاني هذه الكلمة !

وحرصاً من الإسلام على بناء المجتمع الاسلامي النظيف ، فإننا نجد أن من جملة التوجيهات الرفيعة التى تساهم فى تشييد صرح هذا المجتمع تحذيره ـ ﷺ ـ من الخلوة بالمرأة الأجنبية فيقول : «لايخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان» (١) .

وعامة الناس عندنا عندهم نوع من التعامي ، أو عمي الألوان ، فهم لايحلون حلالا ولا يحرمون حراماً . . حتى إذا وقعت الواقعة لطموا الخدود وشقوا الجيوب ! !

فهذا رجل يحرص على أن يكون أولاده ذكوراً واناثاً من «الدكاترة» والمهندسين و . . و . . الى آخره ـ وهذا شيء لا ينكر عليه ـ ولذلك فهو يأتي لبناته بالمدرسين (الخصوصيين) . . ويدخل المدرس ، وينفرد بالفتاة لا يعكر صفوها شىء ، اللهم الا سماع وقع أقدام تقبل من بعيد ، لتقدم الشاي أو القهوة للضيف العزيز . . . .

ووالله الذي لا اله غيره اننا نستطيع أن ننقل الى هذه الصفحات من هذا الواقع الأليم ما يندى له الجبين خجلا . . ولله فى خلقه شئون .

واننا هنا لا نتهم كل مدرس بأنه يقلب حصة الـ . . إلى حصة في الحب والغرام . . كلا . . فهناك من المدرسين الأفاضل من هم فى طهارة ماء السماء . .

ولكن الإسلام يرفض رفضاً باتاً وقاطعاً وحازماً أن يخلو رجل بامرأة لاتحل له لأي سبب من الأسباب .

---

(١) رواه أبوداود .

ما المانع أن يجلس مع المدرس أحد محارم الفتاة؟ ليس تخويناً لها، ولاطعناً فى أخلاق المدرس، ولكنه الالتزام بأوامر الله ـ عز وجل:

وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فأنتهوا، واتقوا الله، ان الله شديد العقاب»(١).

وإننا نتساءل لماذا لاتكون المبادرة من المعلم نفسه وهو القدوة والأسوة بأن يطلب أحداً يجلس معه إلى حين انتهاء الدرس؟ لاريب أنه إذافعل ذلك سيزداد في نظر أهل البيت فضلاً على فضله، ويكون قد أعتق نفسه من تبعة الخلوة بامرأة أجنبية عنه..

ولقد نصح «عمر بن عبدالعزيز» ميمون بن مهران فقال له: «ياميمون، لاتخلون بامرأة لاتحل لك وان أقرأتها القرآن، ولاتتبع السلطان وان رأيت أنك تأمره بمعروف أو تنهاه عن منكر، ولاتجالس ذا هوى فيلقي فى نفسك شيئاً يسخط الله به عليك».

هذه صورة..

وصورة ثانية لشاب يخطب فتاة من أسرة متحررة متقدمة، منفلتة من ضوابط الأخلاق.. وتسمح الأسرة العصرية بأن يخلو الخطيب بخطيبته.. وربما ذهب بها الى «السينما» ويسيران معاً وقد تأبط كل منهما ذراع الآخر «أنجشيه».

ويتفرجان معاً على مشاهد الحب والغرام، والعشق والهيام.. وما لهما لا يجريان، وقد أصبحا خطيبين أو عما قريب سيصبحان زوجين؟... وبعد تمنع ورد رفيق ينال الخطيب الحبيب ما ينال.. وتدرك الخطيبة العبقرية ـ بعد فوات الأوان ـ إن المحب المتيم ما تركها الا لأنها سقطت في امتحان الفضيلة الذي عقده لها المحب الولهان.

وصورة ثالثة، وهي في هذه المرة لصديق شهم يأتي الى بيت صديقه فى غيبته، فتبرز له زوجة الصديق الغائب..

---

(١) الحشر: ٧.

ـ مرحباًوأهلا .

ـ أين فلان؟

ـ سيأتي بعد قليل، تفضل حتى يأتي . .

ويدخل الصديق ويجلس مع الزوجة منفردين . . وتتكرر اللقاءات على هذا النمط، وربما كان هناك أطفال صغار لايدركون مما يجرى حولهم شيئاً .

أتدري فيم يكون الحديث؟

الجواب من الغرب المجرب .

تقول الدكتورة «ماريون» في مجلة «ريدرز دايجست» : «واني كطبيبة أعتقد أنه ليس في الامكان قيام علاقة بريئة من الشهوة بين رجل وامرأة ينفرد أحدهما بالآخر أوقاتاً طويلة، وماأكثر ماوقعت الواقعة بينهما، وكنت ـ بحكم عملي ـ أهتم بأولئك الفتيات غير المتزوجات اللاتي يوشكن أن يصبحن أمهات فكنت أسأل بعضهن ممن يتميزن بالذكاء والحس المرهف كيف أمكن أن يحدث ذلك وكانت تجيب قائلة «لم استطع ان أضبط نفسي». وحتى الزوجات اللاتي يرتكبن نفس الخطيئة كن ينتحبن قائلات : «لم نستطع أن نضبط أنفسنا» ومع ذلك فقد كان في مقدورهن أن يتفـادين الكارثة لو لم يتركن أزواجهن، ويصاحبن الأصدقاء في أثناء العودة إلى البيت والذهاب إلى النادي» .

وصـدقت ياسيدي يارسـول الله فقد قلت: «لايخلون رجل بامرأة ليست له بمحرم الا همَّ أو همت به» قيل: يارسول الله، وان كانا صالحين؟ قال: «ولو كانت مريم بنت عمران ويحيى بن زكريا»(١) . .

* * *

(١) ذم الهوى لابن الجوزي .

فتنة الصوت

من سمات الأنوثة البارزة في المرأة، رقة صوتها ورخامة منطقها، ومن المعروف فسيولوجياً أن هناك فرقاً بين الأحبال الصوتية للمرأة، والأحبال الصوتية للرجل «فأحبال المرأة الصوتية قصيرة ورقيقة، أما الأحبال الصوتية للرجل فهي طويلة وغليظة. وكذلك حنجرة المرأة أصغر من حنجرة الرجل، والألياف العضلية لحنجرة الرجل أقوى مما يجعل صوته قوياً خشناً عن صوت المرأة الذي يتميز بالضعف الا في الحالات الشاذة»(١).

ومن ثم فقد تكون الفتنة بالمنطق أشد وأقوى من الفتنة بالنظر، ولاينبئك خبير مثل هذا الشاعر الداعر الذي وجد فى لزته فى سماع صوت المرأة الرقيق عوضاً عن نظره الذي فقده فيقول:

ياقوم أذنى لبعض الحي عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين أحياناً
قالوا بمن لاتري تهذي فقلت لهم ... الأذن كالعين توفي القلب ماكانا

ومن التدابير الوقائية التي اتخذها الإسلام للمحافظة على الفضيلة ـ أنه وجه الخطاب للمرأة المسلمة من خلال زوجات النبى ـ ﷺ ـ وهن القدوة والأسوة والمثل الأعلى ـ بألا يخضعن بالقول حتى لايطمع ذلك مرضى النفوس، ويكفي تعبير القرآن في هؤلاء المتلصصين بأن فى قلوبهم مرضاً قال تعالى:

﴿يانساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً﴾(٢).

والإسلام لايرضى للمرأة أن تنقلب إلى رجل . . معاملة خشنة، وصوت

---

(١) من حديث للدكتور محمد شعلان فى مجلة اكتوبر ـ العدد ٦٧ فى ٢٧ صفر ١٣٩٨ هـ.

(٢) الأحزاب: ٣٢.

أجش، ومنطق غليظ . . كلا . . فإن هذا مناقض لطبيعتها التي فطرها الله عليها، ولايريدها كذلك أن تتكسر في كلامها، وتترقق في صوتها، وتتصنع في لهجتها مداً وغنـاً، فتحرك الشهوات الكامنة ، وتثير الغرائز الساكنة، بل يريدها أن تكون معتـدلـة . . متزنة الشخصية . . جادة في كلامها، وبذلك تحظى بالاحترام من المجتمع، وبالأجر العظيم من الله .

يقول الدكتور محمد شعلان : «ان الصوت يعتبر في بعض الحالات دليلاً بارزاً على الحالة النفسية والاجتماعية للكائن الحي . فالمرأة التي تربط بين الأنوثة وبين مشـاعـر القهـر والضعف، تجدها على سبيل المثال تتشبه بالرجال فيه، وصوتها غليظ، وبصفة خاصة إذا تحدثت في مجتمع من الناس . وهذا يكشف تلك المحاولة التى تبذلها لاخفاء ضعفها بالنسبة للرجال .

أما المرأة التي تعرف أن سلاحها القوي في أنوثتها تجدها مفرطة في استخدام صوتها برقة مفتعلة، وكانت ممثلة الإغراء «مارلين مونرو» تعد أكبر مثل على ذلك لأنها كانت تستخدم صوتها بشكل مفتعل وبه اغراء شديد . أما المرأة العاقلة المتزنة فنجد أن صوتها يأتي طبيعياً ورقيقاً دون افتعال»

ونحن نقول : ان هذا الصوت الطبيعي المعتدل الخالي من التكسر والاغراء هو قوله تعالى : ﴿**وقلن قولاً معروفاً**﴾(١)

* * *

(١) الأحزاب : ٣٢ .

فتـنة الجوار

كلنا يذكر الوصية التى أوصى بها جبريل رسول الله ـ ﷺ ـ : «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»(١).

ونذكر قول الله ـ عز وجل ـ :

﴿واعبـدوا الله ولاتشركـوا به شيئاً، وبالوالدين احساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل﴾(٢)

وفي مجال العرض جعل الإسلام للجار حقاً يضاف إلى حق الإسلام والجوار هو حرمة العرض. . وإذا كانت حرمة العرض تشمل كل مسلم، فإن الإسلام يشدد ويؤكد على حرمة عرض الجار.

وذلك لأن تلاصق الدور قد يؤدي إلى تسهيل المعاكسات واقتحام الحرمات.

ونحن فى هذا الزمان أحوج مانكون إلى التأدب بهذه الآداب العالية، حيث تجاورت فيه الأبنية والعمارات، وتلاصقت الشرفات، وأصبحت الشرفات مناخاً ملائـمًا لإقـامة المراهقين والمراهقات، وأصبحت معاكسة بنت الجيران وربما ابن الجيران تمثل مشكلة إجتماعية فى بعض المجتمعات الإسلامية التقدمية التحررية الاشتراكية. .

ومن ثم فان الإسلام يولي حقوق الجوار بالنسبة للعرض أهمية غير عادية.

فعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه قال: قلت: يارسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو لله ندا وهو خلقك» قال: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك» فأنزل الله تعالى تصديقها:

﴿ والـذين لايدعون مع الله الهاً آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولايزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً . الا من تاب ﴾(٣) .

---

(١) متفق عليه . (٢) النساء : ٣٦ . (٣) متفق عليه والآية من سورة الفرقان : ٦٨ .

وفي حديث آخر أن النبى - ﷺ - قال لأصحابه «ماتقولون في الزنا ؟ » . قالوا : حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة . فقال - ﷺ - «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره » . قال « ماتقولون في السرقة؟ » . قالوا : حرمها الله ورسوله فهي حرام . قال : « لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق جاره »(١) .

ورحم الله هذا الشاعر الذي تخلق بأخلاق الاسلام فقال :

ماضر لي جار أجاوره ألّا يكون لبابه ستر
أعمى إذا ماجارتي خرجت حتى يواري جارتي الخدر
وتصم عما بينهم أذني حتى يصير كأنه وقر(٢)

* * *

(١) رواه أحمد والطبرانى .

(٢) سيلاحظ القارىء الكريم أننا اتتنا فى بحثنا هذا بكثير من أبيات الشعر، ونذكر فى هذا المقام ماقاله الامام محمد عبده . يقول الامام : «لو أنهم سألوا الحقيقة أن تختار لها بيتاً تشرف منه على هذا الكون، لما اختارت غير بيت من الشعر» .

فتنة سفر المرأة وحدها

عن أبي قلابة عن أنس قال: كان النبي - ﷺ - في سفر ومعه بعض نسائه، وكان غلام يحدو بهن - يغني للأبل - يقال له أنجشة، فقال النبى - ﷺ - : «ويحك ياأنجشة رويدك سوقك بالقوارير» . . قال أبو قلابة، فتكلم النبى - ﷺ - بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه، قوله: «سوقك بالقوارير»(١).

أنجشة يغني، فتطرب الإبل لحدائه، فتسرع فى السير، فيقول النبي - ﷺ - : « ويحك ياأنجشة رويدك » خفف وتمهل وأرفق بالقوارير . . والقوارير كناية عن النساء . . شبههن صاحب الأدب العالي والذوق الرفيع بالقوارير، بالزجاج في الرقة والصفاء والنقاء والضعف . .

ويحسن أبو قلابة كعربى بروعة التشبيه ورقته، كأنه نوع من المداعبة والمزاح، فيقول: فتكلم النبي بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه، أي لعددتم ذلك نوعاً من الغزل الصريح بالنساء . .

والإسلام بكل اللطف والذوق والرقة والصيانة يعامل القوارير، ويغار عليها أن تخدش، أو تذهب بصفائها يد تمتد إليها فتلوثها . .

والمرأة هذه القارورة في ضعفها لاتستطيع وحدها أن تكابد مشقات السفر وتبعاته، فهي في حاجة إلي من يعينها ويحميها من سباع الطريق وذئابه(٢).

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - قال: «لايخلون أحدكم بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولاتسافر المرأة الا مع ذي محرم» . . فقام رجل فقال: يارسول الله ، ان امرأتى خرجت حاجة وأني اكتتبت فى غزوة كذا وكذا، فقال الرسول - ﷺ - : « انطلق فحج مع امرأتك »(٣).

---

(١) أخرجه البخارى.

(٢) اختار الامام ابن تيمية القول بجواز سفر المرأة مع رفقة مأمونة وذلك عند عدم وجود المحرم .

(٣) متفق عليه.

أي دين هذا الـذي يقـدم حماية العـرض على الجهاد فى سبيل الله ؟ . . أنه الإسلام . . حجة الله على خلقه إلى أن تقوم الساعة . .

وقـد يعـترض على هذا الأدب بعض التقـدميين والعصريين و . . . و . . . فيقولون ؛ إننا فى عصر المساواة . . فى عصر الأمن والأمان . . فى عصر الطائرات والنفاثات و« الجامبو » و « الكونكورد » .

وسأسمح لنفسى هنا بنقل هذه الواقعة كما هي ، ولعلها تلقم المتنطعين حجراً .

تحت عنـوان «فتـاة وحيدة في المطار . . » كتبت محررة زاوية « أخبار حواء » تقول : جاءتني شابة صغيرة تنتفض من الغضب لتحكي لي ماحدث لها في مطار القاهرة الدولي . . اضطرتها ظروفها القاسية إلى العودة وحدها من الخارج مساء الجمعة ٢٢ من أكتوبر ـ دون أن ينتظرها أحد في المطار . . ولأنها أول مرة تسافر وحدها . . لم تعرف اجراءات السفر من ملء استمارات ، واستلام حقيبتها وغيرها من الاجراءات المعقدة . . أرجو أن يبحث المسئولون تبسيطها . .

وتستطرد المحررة فتقول : ورأى أمين الشرطة حيرتها ووحدتها . . فتقدم لها يساعدها في الاجراءات ، وقبل أن تشكره همس فى أذنها ؛ متى أراك ؟ ومارقم « تليفـونـك » ؟ وانـدهشت الفتاة ، وتركت له قلمها الذي استعاره منها ، ولم تشكره ، وسارت تبتعد عنه ، فما كان منه إلا أن لحق بها وظل يضايقها ويلح عليها فى اللقاء حتى خرجت من باب المطار وهي تحمل حقيبتها . .

ووسط هذه الحـيرة تقدم لها أحد الأشخاص يسألها : هل تريدين تاكسي ؟ فقالت له : نعم أرجوك ، وحمل عنها حقيبتها وسار أمامها ، ولأن الساعة السادسة والنصف مساء فلم تلاحظ الفتاة أن السيارة خاصة وليست تاكسي » ، ووضع الرجل الحقيبة على المعقد الخلفي ، وتقدمت هي لتركب بجوار حقيبتها ، ففتح لها البـاب الأمامي لتركب بجواره . . فلما قالت له : شكراً سوف أركب بجوار الحقيبة قال لها : أنا لست سواق « تاكسي » أنا صاحب هذه السيارة الخاصة ، وتنبهت الفتاة إلى أن السيارة ليست تاكسي ، وإنها سيارة « سوداء » . . وقالت له

والدموع تخنق صوتها : ألم تسألني ان كنت أريد « تاكسي » . . كيف تتصرف هذا التصرف المخجل ؟ وجذبت حقيبتها من السيارة وراحت تتعثر حتى وجدت تاكسي وركبته وهي تبكي . .

وتعلق المحررة على هذه الواقعة ـ كما تعودنا من كتابنا ومفكرينا الأماجد ـ بتعليق سطحي ساذج فتقول « وأنا بدوري أقدم هذه الواقعة المخجلة للمسئولين فى المطار ورجال الأمن »(١) .

ان المشكلة ـ هداني الله واياك ـ فى الإسلام ومنهجه في تربية الناس . . في هذا الدين المفتري عليه . . فى هذا الدين الغريب في وطنه والمطارد من أهله . . ماذا يفعل المسئولون ورجال الأمن فى الضمائر الخربة ، والذمم الميتة؟ . .

﴿ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ﴾(٢) .

ومن أظلم ممن يعطل شرع الله ويجتهد في عزله عن حركة الحياة ؟ . . فحسبنا الله ونعم الوكيل . . !!

* * *

(١) الأخبار فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٧٦ .

(٢) الروم : ٤١ .

فتنة القرابة

هل تكون القرابة فتنة؟

نعم . . قد تكون كذلك إذا لم تراع فيها الحرمات، والوقوف عند الحدود التي حدها الله تعالى ـ الذي خلق الإنسان ، وركب فيه العواطف والغرائز . .

وهل هناك سواه يعلم مداخل النفس ومخارجها ؟ .

﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾(١) .

لقد سأل الصحابة يوماً رسول الله ـ ﷺ ـ عن أقارب الزوج أو الزوجة من الرجال يدخلون على زوجة الرجل في غيبته ـ وعادة الناس التساهل في مثل هذه الأمور ـ ولكن الذي لاينطق عن الهوى يجيبهم إجابة بليغة قاطعة، لتكون درساً للأولين والآخرين ، بحيث لايكون بعدها أي مجال للمناقشة أوالاجتهاد فيقول : « إياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الأنصار ؛ أفرأيت الحمو؟ قال : « الحمو الموت»(٢) .

أسمعت الاجابة . ؟ الموت . .

فدخول أحد الأقارب من غير المحارم على الزوجة دون وجود مايمنع الخلوة، يساوي الموت، وذلك لأن دخوله وخروجه لايثير الشبهات ، فربما كان ذلك سبباً فى تسهيل الحرام . . والإسلام لايريد أن يضع الرجل أو المرأة موضع الاختبار ، بل هو دائمًا يعمل على سد الذرائع التي تؤدى إلى الفساد .

أرأيت معرفة بدقائق النفس البشرية أدق من هذه المعرفة ؟ .

أرأيت بناء للمجتمعات النظيفة أنظف من هذا البناء؟

فلنتأدب بأدب الله رسوله . . وإذا زار أحدنا صديقه أو أخاه أو قريبه، فلم يجده، فليرجع طيب النفس، وليذكر دائمًا توجيه النبوة :

«لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه»(٣) .

---

(١) الملك : ١٤ .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي .

(٣) متفق عليه .

فتنة اللمس

المرأة تلك المخلوقة الناضرة المتألقة التي تسبغ على الحياة جواً من السعادة والمتعة والبهجة والرحمة أما وأختاً وزوجة وابنة . .

هذه الجوهرة المكنونة . . يغار عليها الإسلام من نظرة جائعة أو لفظة جارحة، ويحيطها بسياج من الفضيلة فتبقى بمنأى عن الشبهات . . ليست كلأ لكل راتع ، ولامتعة لكل ناظر ، ولانشوة لكل لامس . . ومن هذا المنطلق حرم الإسلام على الرجل أن يلمس امرأة لاتحل له . .

وهو بهذا لايتهم المجتمع بأنه مكون من أناس يحملون نفوساً مريضة . ولكنه كما قلنا ـ يهتم بالوقاية قبل العلاج ، ويسد كل الطرق التي يمكن أن توصل فى نهايتها إلى الفساد . . .

وهذا الخلق العالي يضرب فيه الرسول ـ ﷺ ـ المثل الأعلى ،فعن أسماء بنت يزيد قالت: بايعت رسول الله ـ ﷺ ـ فى نسوة ، فقال : «فيما استطعتن » . فقلن : يارسول الله ، بايعنا ، فقال « اني لا أصافحكن ، انما آخذ عليكن ماأخذ الله ـ عز وجل ـ »(١) .

وفى حديث آخر عن أسماء قالت: « كان رسول الله ـ ﷺ ـ لايصافح النساء »(٢) .

والأحاديث كثيرة فى هذا الباب .

ولقد كنت أشرح هذا الحديث فى قاعة الدرس فقام طالب مبدياً تعجبه : كيف لايصافح القريبات والبعيدات ؟ . . ـ وقد صارت عادة مصافحة النساء من العادات الجاهلية التي تحكمت في حياة المسلمين ـ فقلت له : هل يمكن أن تسمح لأحد أن يسلم على أختك متلذذاً بالسلام عليها ؟ فأجاب على الفور : لا . فقلت له : اجلس فقد أوسعت نفسك جواباً . . عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به .

---

(١) المطالب العالية للحافظ ابن حجر.

(٢) رواه أبويعلى وفى البخارى أحاديث كثيرة بهذا المعنى .

بل إننا نجد أن النبي - ﷺ - نفّر من هذا السلوك بصورة غير عادية فقال :

« إياك والخلوة بالنســاء ، والذي نفسي بيده ماخلا رجل بامرأة ، إلا ودخل الشيطان بينهما ، ولأن يزحم رجل خنزيراً متلطخاً بطين أو حمأة، خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لاتحل له» (١)

وعن معقـل بن يسار - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - « لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لاتحل له»(٢) .

ولعل الله عز وجل - يرفع الغشاوة من فوق عيوننا لنخصص حافلات للنساء ، بدلا من هذه الفضائح التى تعج بها وسائل المواصلات عندنا على أرض الإسلام وفى دولة العلم والإيمان . . ولله الأمر من قبل ومن بعد .

---

(١) رواه الطبرانى . (٢) رواه الطبرانى والبيهقى .

فتنة التبرّج

التبرج من سمات المجتمعات الجاهلية . . قال الله تعالى :

﴿ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾(١)

والفرق بين التبرج في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام، ومجتمعاتنا اليوم . . هو أن التبرج في المجتمعات الأولى كان فيه نوع من البساطة أو الجهل.

أما التبرج فى مجتمعاتنا الحديثة، فهو تبرج عن علم وبينة . . تبرج لايقاس به تبرج الجاهليات التي ذهبت أدراج الرياح، لأنه في عصرنا قد تدنى إلى مستوى من التبذل والاسفاف، شاركت فى صنعه شياطين الإنس والجن مجتمعين . .

فبيوت الأزياء . . وجدت فى جسد المرأة تجارة رابحة . فـ «مودة» اليوم عند الركبة، وغداً فوقها بخمسة سنتيمتر، وبعد غد تزيد مساحة المعروض من خمسة إلى عشرين، وهكذا دواليك، وما على القطيع إلا أن ينفذ توجيهات وتعليمات بيوت أزياء الشيطان في باريس (كعبة التعري والمودات) . .

ومصانع التجميل، لم تجد أروج من انتاج الشعور والرموش الصناعية والمساحيق والمعاجين والأصباغ . .

فهذا مسحوق للبشرة الشقراء، وهذا للبيضاء، وهذا المعجون يستعمل مساء، وذاك صباحاً ، وذلك عند النوم، وهذا كحل فيه من الزفت شبه كبير . . وهذه صبغة تصبغ بها الأظافر الطويلة التي تكدس خلفها ملايين الجراثيم، حتى تغدو المرأة بعد استعمالها وكأنها أنشبت أظفارها في فريسة فلوثتها بالدماء . .

وبفضل هذه «البويات» ذوي الجمال المطبوع وبرز الجمال المصنوع و:

ذبلت أزاهير العفاف وسعرت ... فى الحرب نار للهوى شعواء
عجباً لمن صبغوا الوجوه بأحمر ... إذ ليس فى تلك الوجوه حياء!!

---

(١) الأحزاب : ٣٣

ومحال «الكوافير» . . وماأدراك ماهي؟

مستنقع للوباء الخلقي، ووكالات أنباء لأسرار البيوت، وساعات من العمر ـ لاترجع ـ تنفقها المرأة رخيصة تحت (السشوار) ولمسات فاجرة على شعرها ووجهها من رجل أجنبي عنها، وربما امتدت الأيدي بحجة التجميل إلى غير ذلك. . وكثيراً ماتكون الخلوة الكاملة لرجل أجنبي بامرأة أجنبيه عنه. . وتحت يدي الآن مهازل نشرتها الصحف عن هذه المستنقعات، ولكنني سأضرب عنها صفحاً، فنحن ـ والحمد لله ـ نحسد على معلوماتنا في هذا المجال. .

ماذا بقى في لعبة المرأة. . ؟

بقى الكثير. .

مصانع الأحذية ، وهي الأخرى لها «مودات» و «موديلات» فهذا حذاء مكشوف يبدي الأظافر الملونة بالأصباغ، وهذا نعل ذهبي يلف قدمي المرأة الرقيقتين بغلالة كأنها الذهب. . وهذا حذاء يلبس من الساق إلى القدم، وتلتف أليافه على الساق حتى تبدو السيقان أكثر جمالاً . . الحذاء أسود، والساق بيضاء، وبضدها تتميز الأشياء. .

وحذاء آخر كعبه من الألومنيوم. . وهذا له شأن آخر، فكعبه العالي يستعمل كآلة موسيقية فى السير وخاصة في صعود السلم وفي الهبوط إلى السفح. . وقد كنت فى مصلحة حكومية أنجز فيها بعض مطالبي ، فسمعت أحد الموظفين يقول موجهاً الحديث إلى زملائها: انني أعرف فلانة عندما تنزل على السلم، فسأله زملاؤه: وكيف؟ قال: أعرفها بحذائها، فان له نغمات موسيقية خاصة أميزها به وأميزه بها!!

فقلت : رحم الله نسوة تأدبن بأدب القرآن:

« ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن » (١).

---

(١) النور: ٣١ . . ونعتقد أن التفسير لايأباه معنى الأية والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب.

ولم تقتصر التجارة على مطالب الفتنة في جسد المرأة بل امتدت التجارة إلى جسدها نفسه . .

فهذا محل تجاري تعمل فيه فتيات فاتنات لجذب العملاء!!

وهذه مجلة جنسية تعرض جسد المرأة شبه عار على صفحاتها لترفع رقم التوزيع!!

وهذه شركة للطيران تختار مضيفات لهن مقاييس جمالية معينة، وذلك لتدخل المضيفة البهجة والسرور والحبور على المسافرين على خطوطها، ولتجعل منها متحفاً للمساحيق والألوان يعرض على الراكبين، حتى يخفف عنهم قطع الفيافي والقفار!!

وهذا مستشفى يعالج فيه الرجال والنساء. . جل عاملات التمريض فيه من الفتيات! . . ألا يصلح الرجال لهذه المهنة؟ وهل من الصعب العسير علينا أن نجعل الرجال يمرضون الرجال، والنساء يمرضن النساء. . كلا . . اننا نريدها أنثى لترفه على المرضى بإبتسامة عذبة تضيء من بين ثناياها ، ويد حانية يكون وقعها على المريض برداً وسلاماً . .

وكان من ثمرات هذا التبرج الفاضح ، والاختلاط المزرى أن أضيف إلى الأدب العربى المعاصر موضوع جديد فى الشعر هو (الغزل فى المضيفات والممرضات).

يقول أحد المتغزلين فى المضيفات:

مضيقة تخطر في الأعالى كأنها	الملاك في خيالي
لطيفة الخطو والتثني	في غير ماكبر ولا اختيال
بسمتها الحلوة في حياء	طارت بعقلي وقضت خبالي
يالیتنا في الجو مابرحنا	لم نهبط الأرض من الأعالي

ويقابل هذا النوع من الغزل بدعوة إلى نبذ هذه الوظيفة التي تمتهن كرامة المرأة، وتجعل منها سلعة رخيصة فى سوق الشهوات. . يقول صاحب هذه الدعوة:

تبـدو المضيفـة في إبتسـام تكلف | في خدمـة وعـنـاية «بـزبـاين»
تجلو جمالا في صياغـة خدهـا | وحـواجـب صفـت لنشر محاسـن
متـكـلـف ذاك الجـمال وتحـتـه | قبـح تسـتر تحت كل مكـامـن
فكـأنها تعـطيك فيه «معـرضـا» | والعـرض يجلب كل شخص خائن
ان المـضـيفـة عورة مكـشـوفـة | أبـدا لعـمـري مالهـا من صائـن
إن كان فيهـا للحـديث لطافـة | فالخـلق مخدوش لها في البـاطـن

وهذا شاعر مريض نسي مرضه، وأصيب بداء جديد هو نظرات ممرضتيه فيقول:

خليلي هل تأسـو المـراض خريدة | بقـامتهـا الهيفـاء سهم من الحتف
لعـمـري مادائـي سوى نظراتهـا | وبلسمي الشـافي لديهـا ومـا أخفى
وقـد عالجـوا نصفي بكف رقيقـة | وبـالسحر من عينيها أهلكوا نصفي

ويرد شاعر آخر على هذا اللون من الوظائف التى تجعل من المرأة معرضاً لعبث العابثين، ونظرات المفتونين فيقول:

إن المـمـرضـة التي في حسنهـا | وجمـالهـا ودلالهـا الـفـتـان
ماست بمستشفى لعـرض مفـاتن | بتـصـنـع تغـزو لكـل جنـان
لحم على وضـم يبـاع رخـيصـة | للعـابـثـين بأبـخس الأثـمان
كبضـاعـة في متجـر معـروضـة | للنـاس من قاص بها أو دان
أتـرى فتـاة لاتـرد للامس | كفـاً لها كل الـعـيون رواني؟
كلا.. فما أخـلاقـهـا مضمـونـة | ولـو أنها جذبـت بحـلو لسـان
إن الحـضـارة لاتـكـون حضـارة | يبـدو بنـاهـا ثابـت الأركـان
إلا على الـدين الحـنـيف وعفـة | نبـتـت على الأخـلاق والـعـرفـان
لاخـير في أمـم يمـيت خلالهـا | سعـي الجـمـيع لأصـفـر رنـان
وإذا الـدخـيل تصرفـت أفكـاره | يومـاً بشـعـب فهـو في تيهـان

بل سوف يصبح لقمة لثعالب وفريسة العادي من الذؤبان(١)

وهذا . . وهذا ماذا؟

ذلكم اعلان في الصحف السيارة «مطلوب سكرتيرة حسنة المظهر».

ولماذا حسنة المظهر؟

هل ستكتب على الورق بوجهها الوضاء، أم بقامتها الهيفاء، أم يريد سعادة المدير تكييفاً أنثوياً داخل مكتبه؟ . . ومكتب فخامته مغلق دائماً، وربما الضوء الأحمر يشير إلى من يريد الدخول عليه بأن فخامته مجتهد في التخطيط لينقذ الاقتصاد العالمي من الإنهيار!!

وهذا نموذج مضحك مبك لمن اقتدينا بهم، وتعبدنا في محرابهم . .

نشرت مجلة حضارة الإسلام فى مجلدها الثاني تقول:

طلبت «جوزيبى» الطلاق من زوجها في شهر العسل، ووقفت تبكي أمام القاضى وهي تروي له قصتها:

قالت «لقد احتفلنا بزواجنا في الأسبوع الماضى، وقررنا أن نمضي شهر العسل على شاطىء البحر، ولكني صدمت في اليوم التالي، عندما وجدت فتاة شقراء جميلة تشاركنا في شهر العسل، لقد قال لي زوجي: انها سكرتيرته الخاصة، وأنه لايستطيع أن يستغني عنها لحظة واحدة . .

ولم يكن ممكناً أن أحتمل وجود امرأة أخرى وهي تجلس أمام رزوجي «بالمايوه» ليملي عليها خطاباته، ويمضي معها نصف شهر عسلي أنا . .

وطلب القاضى من الزوج أن يختار بين الزوجة والسكرتيرة . . فخرج وهو يتأبط ذراع سكرتيره . . » . .

مهازل ومآسي تجل عن الحصر، واستغلال وقح لأنوثة المرأة . . وللأسف الذي يعتصر القلوب المؤمنة حسرة وأسى، أن دعاة تحلل المرأة من قوّاد الفساد قد نجحوا فى اقناعها داخل ديار الإسلام بمفاهيم مزيفة حتى بات دورها فى المجتمع

---

(١) انظر المضيفات والمرضات فى الشعر المعاصر ـ لعبدالرحمن المعمر . .

لايتعدى لحمًا طرياً معروضاً ليحط عليه الذباب، وجسداً شهياً مبرقشاً لايصلح الا متعة فراش.

ونسيت المرأة وتناست تكريم الإسلام لها، والذي ألمعنا إلى جانب منه في الصفحات السابقة . .

نسيت أنه جعل منها إنسانة لها من الحقوق الأساسية في المجتمع مثل ما للرجل تماماً، غير أنه نأى بها عن مواطن الشبهات، وعما لايمكن أن يحتمله تكوينها الرقيق . .

نسيت أن الإسلام لم يجعل منها كمًا مهملاً فى المجتمع المسلم، بل جعل لها دوراً إيجابياً فعالاً في حركة هذا المجتمع.

﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله، ان الله عزيز حكيم . وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن، ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ (١)

ولقد كانت المرأة في صدر الإسلام تجير على المسلمين، فيجيرون من تجير اعزازاً لها واعترافاً بمكانتها السامية في المجتمع الإسلامى النظيف: أجارت أم هانىء بنت أبى طالب رجلاً من المشركين يوم الفتح، وأراد عليّ قتله، فأتت النبى ﷺ، فذكرت ذلك له، فقال لها: «قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت»(٢).

نسيت أنه كرمها طفلة صغيرة، فقال ﷺ:

«من كانت له أنثى فلم يئدها، ولم يؤثر ولده عليها، أدخله الله الجنة»(٣).

وقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن اليهن كن له ستراً من النار»(٤).

(١) التوبة : ٧١ ، ٧٢
(٢) رواه أبو داوود.
(٣) حديث شريف.
(٤) من حديث رواه البخارى ومسلم.

وقال: «لا يكون لأحدكم ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، فيحسن اليهن الا دخل الجنة»(١).

وكرمها زوجة فقال تعالى:

﴿وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ (٢).

وقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» **(٣)**.

وكرمها أماً.. فبعد أن وصى الله - تعالى - بالوالدين معاً تحدث عما تكابده الأم وتعانيه من مشقات عظيمة مبالغة فى التوصية بها فقال:

﴿ووصينا الانسان بوالديه احسانا، حملته أمه كرها ووضعته كرها، وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ (٤).

وعن معاوية بن جاهمة - رضى الله عنهما أنه جاء الى النبي - ﷺ - فقال: يارسول الله، أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك، فقال: «هل لك من أم»؟ قال: نعم قال «فالزمها، فان الجنة عند رجليها» **(٥)**

وكرمها رحماً فقال تعالى:

. ﴿واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيباً﴾ **(٦)**.

وعن عمر ابن عمر - رضى الله عنهما - : أن رجلا أتى النبي - ﷺ فقال: يارسول الله، اني اصبت ذنباً عظيًما فهل لي من توبة؟ فقال: «هل لك من أم»؟ فقال: لا، قال: «فهل لك من خالة» قال: نعم، قال: **«فبرّها» (٧)**.

وكرمها فى الدنيا والآخرة، وجعلها فى الجنة أفضل من الحور العين.. سألت أم سلمة رسول الله - ﷺ - : يارسول الله، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: «نساء الدنيا أفضل من الحور العين، كفضل الظهارة على البطانة»، قلت: يارسول الله، وبم ذلك؟ قال: «بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل..

---

(١) أخرجه الترمذى.
(٢) رواه ابن ماجه.
(٣) أخرجه النسائي
(٤) النساء: ١٩.
(٥) الأحقاف: ١٥.
(٦) النساء: ١.
(٧) أخرجه الترمذي.

ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير. . بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلي. . مجامرهن (١) الدر، وأمشاطهن الذهب، يقلن: ألا نحن الخالدات فلانموت أبداً. . ألا ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً. . ألا ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً. . ألاونحن الراضيات فلا نسخط أبداً. . طوبى لمن كنّا له وكان لنا. . . » (٢) .

هذا بعض تكريم الله فأروني بم كرمتها المجتمعات «التحررية»؟

جعلتها «ساعية بريد» ـ أي والله لا أمزح ـ ساعية بريد تصعد إلى الشقق لتطرق الأبواب، وتستفسر عن الأسماء . . وسقطت التجربة . . تجربة مدرسة البريد التي تتخرج فيهاموزعات البريد، واستمعوا إليهن وهن يتحدثن إلى صحيفة الأخبار التي نشرت عوامل اخفاق التجربة وسقوطها. . وسأحتفظ بالأسماء متأدباً بأدب القرآن (٣) .

تقول فلانة المتخرجة من مدرسة البريد والتي عملت لمدة ستة شهور فقط والآن تعمل كفرازة داخل مكتب البريد، تقول: لم احتمل هذه المهنة أكثر من ستة أشهر نظراً لما واجهته من مضايقات سخيفة في أثناء السير وتوصيلي للجوابات. . فمثلاً مرة وأنا في طريقي إلى العمل، واجهنا مجموعة من الشباب حاولوا جذب حقيبة المراسلات من يدي علاوة على الألفاظ التي أسمعها: «ياواد ياجميل يابتاع البوستة» و «بوستة بوستة مفيش حاجة من أجلي ياجميل».

أما فلانة فتقول : لقد تعرضت لمضايقات جعلتني أترك العمل فوراً. . في أثناء تأدية عملي. . كان علي أن أوصل جواباً إلى صاحبه، لأنه جواب مسجل. . ويجب أن يوقع عليه، فهاجمنى صاحب الجواب، وخطف مني حقيبة المراسلات. . وطلب مني أن أدخل شقته. . ولم أجد الا الصراخ أمامي لانقاذي. . لأنني لو عدت إلى مكتب البريد بلا حقيبة المراسلات سيتسبب ذلك في فصلي من العمل،

(١) المجامر مفردها: مجمر وهو مايوضع فيه الجمر مع البخور.

(٢) من حديث رواه الطبرني.

(٣) لم يصرح القرآن باسم امرأة قط الا مريم، وذلك لينفى عنها امااتهمت به ظلمًا وزوراً، وليثبت بنوة عيسى عليه السلام.

وإذا حاولت أن أجذبها من هذا الوقح الذي هاجمني سوف أتعرض لمخاطر أكثر . .
وجاء بواب العمارة على صراخي وأنقذني بأعجوبة وعدت باكية إلى عملي . . . ! !

هذا غيض من فيض من تكريم المرأة في مجتمعاتنا «التقدمية» . . وهو لايحتاج إلى تعليق . .

وفى الوقت الذي كرم فيه الإسلام المرأة . . حذر كل التحذير من استغلال أنوثتها، فقال تعالى :

﴿أن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة، والله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾ (١) .

وحذرها هي أيضاً أن تجعل من جسدها معول هدم يورد المجتمع موارد الشقاء فقال ـ ﷺ ـ : «مثل الرافلة في الزينة في غير أهلها، كمثل ظلمة يوم القيامة لانور لها» (٢) .

وقال : «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية» (٣) .

وقال أيضاً : «صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لايدخلن الجنة، ولايجدن ريحها، وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» (٤) .

وفى نهاية الحديث عن التبرج، أقدم لفتياتنا هذا النموذج الرفيع للمرأة المسلمة فى صدر الإسلام .

جاءت امرأة إلى النبي ـ ﷺ ـ يقال لها أم خلاد، وهى منتقبة تسأل عن إبنها وهو مقتول ، فقال لهابعض أصحاب النبي ـ ﷺ ـ : جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة؟ فقالت : إن أرزأ ابني فلن أرزأ حيائي . فقال لها النبى ـ ﷺ ـ «ابنك له

(١) النور : ١٩
(٢) رواه النسائي وأبو داوود والترمذي .
(٣) رواه مسلم .
(٤) أخرجه الترمذي .

أجر شهيدين» قالت: ولم ذاك يارسول الله؟ قال «لأنه قتله أهل الكتاب» (١).

أرأيتن هذا الإيمان الراسخ الشامخ.. إن قتل إبنها لم يعصف بعواطفها، ولم يطر عقلها، ولم يفقدها صوابها، فذهبت إلى رسول الله - ﷺ - رابطة الجأش، ثابتة القلب، محتشمة الملبس، لتسأله عن إبنها الشهيد، فيقول لها: جئت تسألين عن إبنك وأنت ملتزمة أقصى حدود الاحتشام؟.. فترد عليه بكلمة مشرقة بمعاني الإيمان العميق، والتسليم المطلق لقضاء الله رب العالمين. أن أرزأ ابني فلن أرزأ حيائي - ان كنت قد أصبت في ابني فلن أصاب في حيائي..

ان أمة محمد - ﷺ - لتفخر بأن يكون من بين نسائها أمثال «أم خلاد!

* * *

(١) رواه ابو داوود.

فتنة الاختلاط

لا نتصور ان الفعلة الشنعاء بين رجل وامرأة، يمكن أن تتم من أول وهلة.. بل تسبقها مقدمات، واعداد واستعداد.. نظرة من هنا، فابتسامة من هناك.. فسلام.. فكلام.. فموعد.. فلقاء. ففضيحة ذات أجراس..

وكـذلك دعاة الإلحاد والتحليل، فإنهم لا يسرقون الفضيلة من المجتمعات عنوة، ولكنهم ينتهجون سياسة الخطوة خطوة، كاللص الذي يحسب مواقع أقدامه حتى لا ينتبه له أحد..

فهم اليوم يدعون إلى تعليم المرأة، فإذا تم ذلك، فدعوة إلى السفور، فإذا تم ذلك، فدعوة إلى اختلاط الجنسين، فإذا تم ذلك، فدعوة إلى زواج التجربة، فإذا تم ذلك فدعوة إلى إباحة الجنس، ثم ملل من الجنس مع المرأة، فليكن التغيير بإباحة الشذوذ الجنسي.. وهكذا إلى أن تنتقض عرى الأخلاق عروة عروة حتى يصل المجتمع إلى الهاوية.

وعبيد الغرب عندنا في ديار الإسلام، قد نجحوا في هذا المضمار نجاحاً لانظير له، وشـايعهم على ذلـك الحكام الذين لايعرفون من الإسلام إلا اسمه، ومن العمل الصالح الا تمثيليات يجيدون حبكها أمام الجماهير في المناسبات ذراً للرماد فى العيون.

نادوا بالاختـلاط وقـالـوا: انـه ضرورة نفسية واجتماعية، وبالاختلاط تختفي العقد، ويتلاشى الشعور بالخجل فى وجود الجنس الآخر.. والاختلاط يؤدي إلى الاشباع العاطفي.. والاختلاط يعلم الذوق في حضور الجنس الآخر.. إلى آخر الأوهام التي تعشش فى أدمغة النوابغ من عباقرة أمتنا..

وكـان الإختـلاط، وطبق على طول البـلاد الإسلامية وعرضها ما عدا القلة القليلة.. ونظرنا إلى الإختلاط الذي سيحقق هذه المعاني، فإذا هو نار في الهشيم تحرق.. نار وقودها الأجيال المسلمة تعيسة الحظ..

وسأعرض عينة.. عينة مخففة من هذا الإختلاط (البريء).

في جريدة الأخبـار، وتحت عنوان حديث عن الحب أرسلت هذه الخطابات تطلب من محررة زاوية «الجنس الآخر» حلًا لها. . تقول المحررة:

«وقعت خطابهـا باسمها الكامل، ولكنهاطلبت الإشارة إلى الإسم بالحروف الأولى فقط وهي أ. أ. أ بسبب الموضوع الشائك الذي طلبت عرضه ومناقشته، ولاشك أنه يعتبر شائكاً بالنسبة لطالبة جامعية في سنها الصغير، لأنه يدور حول الحب في الجامعات بين الزملاء والزميلات. . وهذا ملخص الخطاب:

«إن المشكلة التي أود عرضها هي مشكلة الحب داخل الحرم الجامعي، وإلي أي مدي يعتبر صحيحاً أو صالحاً لأن يكون بداية لمشوار الحياة ورحلة العمر. .

«هل يمكن أن يفتح زميل وزميلة قلبيهما للحب أثناء الدراسة، فيعيشا أربع سنوات مع الأحلام الحلوة، والآمال العريضة، لبناء بيت زوجية سعيد؟. . وإذا حدث وتقدم للفتاة بعد ذلك عريس لقطة ـ على حد قول الناس ـ هل تحاول أن تنسى حبهـا الأول، وتفضـل على زميلهـا العـريس المستعـد لدفع المهر وكتب الكتاب، أم تظل متمسكة بحبها القديم؟

«هل كل قصص الحب التي نسمع عنها في الجامعة مجرد أحلام يمر بها الشباب في هذه المـرحلة، ولعلهـا تعتبر من ضروريات هذه المرحلة؟ وماهو فارق السن المعقول بين الشاب والفتاة؟ إنني شخصياً ـ والكلام لايزال للطالبة الجامعية أ. أ. أ. لاأشجع الحب في الجامعة، ولاأحاول الإرتباط بأي زميل. لقد باح لي أحد الزملاء بحبه ورغم أنه يمتاز بعقلية ممتازة، وذكاء كبير، فقد أخبرته أن شعوري نحوه لايتعدى الزمالة والأخوة. . لقد رفضت أن أبادله الحب والأحلام لمجرد أنني لاأؤمن بالحب في فترة الدراسة. إن مشكلتي تواجه كثيرين من الزملاء والزميلات ونريد مناقشتها. . . ».

تقول المحررة: وتلقيت خطاباً من طالب لايزال في سنته الأولى في الجامعة، والخطاب مكون من (ثماني صفحات) يقول فيه: إنه وقع في غرام زميلته الجميلة الأنيقة جداً، وإن حبه منعه من الأكل والنوم والاستذكار، وإنه لايستطيع أن يبوح لها بحبه، لأنها لاتعرفه ولاتشعر بوجوده، ولذلك يفكر في الإنتحار.

وخطاب من طالبة تقول فيه: إنها وقعت في غرام أستاذها، وإنها تنتظر محاضراته بفارغ الصبر، ولكنها لاتفهم شيئاً، وإنها تعلم أنه متزوج ولكن لاتستطيع أن تنساه، وإنها أقسمت أن تظل مخلصة له طول الحياة(١).

وإلى محررة الزاوية نفسها أرسلت فتاة تبحث عن حل لمشكلتها.. فكتبت تقول: أنا في بداية دراستي الجامعية، وفي الثامنة عشرة، وعلى جانب كبير من الجمال والأناقة والذكاء ـ تصف نفسها..

تقول وَقَعْت في غرام معيد شاب في كليتي، التقيت به في مدرج الجامعة في فصل غير فصلي.. تقول: وكأنني بفتى أحلامي يقف أمامي.. بهرني كل شيء فيه: شعره الغزير.. قوامه الممشوق.. بسمته الفاتنة.. عيونه الساحرة.. صوته الرخيم.. جلسته ووقفته، وطريقة إلقائه المحاضرة.. طير عقلها.. وهي من ساعة أن رأته تحلم، وتفكر، وتسرح، وتسأل: كيف أستطيع الوصول إليه؟ كيف أبلغه إعجابي به؟ هل أكتب إليه خطاباً، أو أرسل إليه زميلة أو زميلاً يشرح له حبي؟

هذا هو الإختلاط (البريء) الذي يخفف ضغط الغريزة، ويؤدي إلي الري العاطفي!!

هذا هو الإختلاط (البريء) الذي يبدد الطاقات، ويقتل الملكات، ويسبب العقد، ويصيب بالخيبة والإحباط كل فتى وفتاة!!

فتاة تبدو متماسكة، وزميلها يفضي إليها بحبه، وفتى معجب من بعيد، ومحب من طرف واحد، وتحدثه نفسه بالإنتحار، وثالثة، تحب أستاذها المتزوج وتقسم أن تظل مخلصة له مدى الحياة.. ورابعة أَسَرَهَا قَدَّة الممشوق وقامته الهيفاء وطلعته البهية.. ولو كانت تخفي وراءها طباعاً سافلة..

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له   إذا لم يكن في فعله والخلائق

---

(١) الأخبار في ١٤ من ربيع الأول ١٣٩٩ هـ.

إختــلاط (بـريء). . وطـوفـان رعيب من الأزياء و«المـوضـات» تغص به «صالات» الجامعات أقصد قاعات الجامعات المختلطة. .

أين الفطرة التي فطر الله الخلق عليها من تجاذب بين الجنسين؟. . أهي في غيبوبة؟

أين وقدة الجنس، التي تلتاع بين جوانح هذا الشباب المسكين؟. . أهي في إجازة؟

أين الخلفيات التي يعرفها الجنسان عن الحب، والتي شحنتها وسائل الدمار من أغـنية في الحب إلى مسلسلة في الحب إلى فيلم في الحب إلى قصـــة عن الحب إلى. . .؟ ألا يحن الجنسيان إلى تجربة؟ مالكم كيف تفهمون؟. .

هل رأيت الأمان في مكان به أعواد الثقاب المشتعلة بجوار براميل البارود؟

هل رأيت إنساناً يغرق في البحر ثم لايبتل؟

هل رأيت إنســانـــاً يلقى في جهنم ثم لايحـترق؟. . نعم جهنم. . جهنم الأزياء، والأصبـاغ، والمسـاحيق، والألـوان الفـاقعة، والبشرة اللامعة، والجمال الفاضح، والفتنة التي يحركها الشيطان!!(١).

هذه الأسئلة سيجيب عنها دعاة الاختلاط بنعم، إنهم يفكرون بلغة أجهزتهم السفلية الحيوانية، لا الأجهزة العلوية الإنسانية في رؤوسهم.

تقول الكاتبة الشهيرة (اللادي كوك) بجريدة ألايكو:

«إن الإختلاط يألفه الرجال، ولهذه طمعت المرأة بها يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الإختلاط تكون كثرة أولاد الزنى، وهنا البلاء العظيم على المرأة، فالرجل الذي علقت منه يتركها وشأنها تتقلب على مضجع الفاقة والعناء، وتذوق مرارة الذل والمهانة والاضطهاد بل الموت أيضاً. . أما الفاقة فلأن الحمل وثقله والوحم ودواره من موانع الكسب الذي تحصل به قوتها، وأما العناء فهو أن تصبح شريرة حائرة لاتدري ماذا تصنع بنفسها؟

(١) والشباب مكلف شرعاً بتجنب هذه الفتن كحد أدنى إذا لم يستطع التغيير.

وأما الذل والعار، فأي عار بعد؟ وأما الموت فكثيراً ماتبخع المرأة نفسها بالإنتحار وغيره.

«هذا الرجل لايلم به شيء من ذلك. وفوق هذا كله تكون المرأة هي المسؤولة وعليها التبعة مع أن عوامل الإختلاط كانت من الرجل..

«أما آن لنا أن نبحث عما يخفف ـ إن لم نقل عما يزيل ـ هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية؟ أما آن لنا أن نتخذ طرقاً تمنع قتل ألوف الألوف من الأطفال الذين لاذنب لهم بل الذنب على الرجل الذي أغرى المرأة المجبولة على رقة القلب المقتضي تصديق مايوسوس به الرجل من الوعود ويمني به من الأماني، حتى إذا قضي منها وطراً تركها وشأنها تقاسي العذاب الأليم..

«ياأيها الوالدان لايغرنكما بعض دريهمات تكسبها بناتكما باشتغالهن في المعامل ونحوها، ومصيرهن إلى ماذكرنا.. علموهن الإبتعاد عن الرجال، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد، لقد دلنا الإحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنى يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال.. ألم تروا! أن أكثر أمهات أولاد الزنى من المشتغلات في المعامل والخادمات في البيوت، وكثير من السيدات المعرضات للأنظار؟ ولولا أن الأطباء الذين يعطون الأدوية للاسقاط لرأينا أضعاف ما نرى الآن، لقد أدت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الامكان، حتى أصبح رجال مقاطعات من بلادنا لايقبلن البنت زوجة ما لم تكن مجربة، أي عندها أولاد من الزنى ينتفع بشغلهم.. وهذا غاية الهبوط بالمدينة..

«فكم قاست هذه المرأة من مرارة هذه الحياة حتى قدرت على كفالتهم، والذي علقت منه لاينظر إلى أولئك الأطفال ولايتعهدهم بشيء، ويلاه من هذه الحالة التعسة: تُرى من كان معيناً لها في الوحم ودواره، والحمل وأثقاله، والوضع وآلامه، والفصال ومرارته؟»(١).

هذا في الغرب.. أما عندنا فمن أراد أن يطلع على وجه الاختلاط القبيح، فليقرأ كتاب «المرأة والصراع النفسي» (٢)، ليجد إحصاءات مخجلة عن الممارسات

(١) حقوق النساء في الاسلام ـ لمحمد رشيد رضا ص ٧٧، ٧٨.

(٢) للدكتورة نوال السعداوي.

الجنسية الحرام، والتي أخجل من تسطيرها على هذه الصفحات، وليعلم الجميع كيف يعمل سرطان الاختلاط في جسد الأمة الإسلامية وفي ظل عقول النوابغ والمفكرين، بل الساقطات والساقطين.. وإنا لله وإنا إليه راجعون».

* * * *

إن هذا الاختلاط المروع، قد هبط بالمرأة في نظر الرجل من سمائها العالية إلى أرضها السافلة المخضبة بالأوحال.. إختفى الحب الروحي وبرز الحب الجنسي.. اختفى الالهام.. اختفى الابداع.. اختفى الحلم الجميل لخيال المرأة الساحرة الفاتنة..

وزادني كلفاً في الحب ان منعت　　　أحب شيء إلى الانسان ما منعا

يقول الأوائل: «كان الرجل يحب الفتاة فيطوف بدارها حولاً يفرح أن يرى من يراها، فإن ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار. واليوم يشير إليها وتشير إليه فيعدها وتعده، فإذا التقيا لم يشك حباً، ولم ينشد شعرا و....».

ولقد كان الشاعر العربى يصور المرأة تصويراً ينبىء عن مدى مكانتها في نفسه.. يقول الشاعر:

حبيش أجمل أم ظبي برابية　　　لا، بل حبيشة من در ومن ذهب

ولقد تحول هذا الدر والذهب إلى تراب وطين وماء.. تحلل إلى عناصره الأولَّية، وصارت المرأة لعبة الرجل.. بضع عبارات محفوظة، ولبس القناع الزائف، وحبك تمثيلية الحب ثم تخر ليلى تحت أقدام قيس..

إن من أروع مانقرؤه في شعر الغزل العربي هو هذا الالهام، وذلك الابداع الذي أوحى به خيال المرأة المتمنعة.. المرأة المصونة.. المرأة التي لم تكن كلأ لكل راتع..

يقول قيس:

فما طلع النجم الذي يهتدي به ولا الصبح إلا هيجا ذكرها ليا
ولاسرت ميلا من دمشق ولا بدا سهيل لأهل الشام إلا بداليا
ولاسميت عندي لها من سَمِيَّةٍ من الناس إلا بلَّ دمعي ردائيا
ولاهبت الريح الجنوب من أرضها من الليل إلا بت للريح حانيا
فياليلُ كم من حاجة لي مهمة إذا جئتكم بالليل لم أدر ماهيا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان جهد الظن ألاتلاقيا
فإن تمنعوا ليلى وتحموا بلادها عليَّ فلن تحموا عليَّ القوافيا
أعد الليالي ليلة بعد ليلة وقد عشت دهراً لا أعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلني أحدث عنك النفس ياليل خاليا
أحب من الأسماء ما وافق اسمها وأشبهه أو كان منه مدانيا
إذا اكتحلت عيني بعينك لم تزل بخير وجلت غمرة عن فؤاديا
وأنت التي إن شئت أشقيت عيشي وإن شئت بعد الله أنعمت باليا
وإني لأستغشي وما بي نعسة لعل خيالاً منك يلقى خياليا
هي السحر إلا أن للسحر رقية وإني لا ألفي لسحري راقيا
ذكت نار شوق في فؤادي فأصبحت لها وهج مستضرم في فؤاديا
ألاليت شعري مالليلى وما لنا وما للصبا من بعد شيب علانيا
ألا أيها الواشي بليلى ألا ترى إلى من تشيها أو بمن جئت واشيا؟
إذا نحن رمنا هجرها ضم حبها ضميم الحشاضم الجناح الخوافيا
لئن ظعن الأحباب يا أم مالك فما ظعن الحب الذي في فؤاديا

إلى أن قال:

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه وإن كنت من ليلى على اليأس طاويا
خليلي إن ضنوا بليلى فقربا لي النعش والأكفان واستغفرا ليا(١)

(١) أبيات مختارة من قصيدة لقيس بن الملوح مجنون بني عامر.

ونعتقد أنه لو كان قيس بن الملوح يعيش معنا في هذا العصر لماتت هذه المعاني في قلبه ولم تر النور. .

انطفأ هذا الإلهام، وذوى ذلك الإبداع، واستيقظنا من الحلم الجميل على المرأة بين أيدينا ملء السمع والبصر، قريبة منا في الشارع والمدرسة والنادي والمكتب والجامعة والحافلة (الأتوبيس) مشمرة عن سيقانها، حاسرة عن شعرها، عارضة جمالها مجاناً. . وكأنها بهذا تلح على الرجل قائلة له: «حيوان للجنس» وصار غاية إلهامها للرجل أن يقول لها: شعرك الذهبي وخدك الوردي. . وصار يعبر عن هذا الإسفاف شعراء النهود والخدود والأحذية والجوارب. . والمتهم الأول والأخير في قتل هذا الحب هو المرأة التي استجابت لأصحاب الأفكار الساقطة، والتي عَرَضَت نفسها على الرجل عرضاً غير كريم. . !!

الفصل الثالث

مشكلات الشباب العاطفية

● عاطفة الحب فى التصور الاسلامى.
● احترام الاسلام لعاطفة الحب بين الزوجين.
● المرحلة الحرجة فى حياة الشباب.
● الشباب وجنون العاطفة.
● الفتاة التى تلعب بالنار.
● الحـــب الناضـج.
● الحب بعد الزواج.
● شــهيد الحـــب.
● الماضـــــــى.

(*) نشر هذا الفصل فى كتيب خاص بعنوان (عاطفة الحب بين الاسلام ووسائل الاعلام).

عاطفة الحب في التطوّر الإسلامي

الحب : هو ذلكم الرباط السحري الذى تتماسك به الأكوان. . انه روضة الحياة وأريجها الفواح، وعطرها الذي تنتشى منه الأرواح، والحب كلمة واسعة المدلول. . ولكنني أعني بها هنا، ، الحب بين فتى وفتاة، وبين رجل وامرأة. .

والحب بهذا المعنى هو من العواطف الإنسانية التي لم يصادرها الإسلام، ولم يعمل على قمعها داخل النفوس لتولد الكبت، بل هو فطرة الله التي فطر الناس عليها. . يقول الله عز وجل :

﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين﴾(١)

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾(٢).

﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾(٣).

وقال ﷺ : «النساء شقائق الرجال»(٤). . فكل من شقي النفس البشرية يظل تائهاً حائراً حتى يعثر على شقه الآخر ليجد فى ظله التوحد الأول فتهدأ النفس بعد اضطرابها ويأنس الجسم إلى الراحة والقرار. .

وإلى هذه العاطفة السامية يشير رسول الله - ﷺ - بقوله : «حبب إلى من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»(٥).

هل تأملت لفظ «حبب» أنــه شبيه بلفظ زين، أي أن الحب وميل كل من الجنسين إلى الآخر عواطف ورغبات وضعت فى الفطرة البشرية دون ارادة للبشر فيها، ونجد هذا المعنى بارزاً في حديث النبي عن العدل بين نسائه حيث يقول؛ «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»(٦).

فالذي يملكه رسول الله - ﷺ - هو العدل بين نسائه في النفقة والمبيت وسائر الحقوق المادية. . والذي لايملكه هوالميل القلبي. .

(١) آل عمران : ١٤.
(٢) الروم : ٢١.
(٣) الأعراف : ١٨٩.
(٤) رواه أحمد وأبو داوود.
(٥) رواه أحمد والنسائي.
(٦) رواه أبوداود والترمذى

وإذا أردنـا أن نضع نموذجاً رفيعاً يمثل هذه العاطفة فى قمة صفائها، فإننا سنتجه على الفور إلى صاحب الشخصية الجامعة شخصية رسول الله ﷺ صاحب القلب المرهف، والمشاعر الحساسة، فنجد أنه كان يحب زوجه عائشة ـ رضى الله عنها ـ حباً عرفه كل صحابته حتى أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ عندما تولى الخـلافـة فرض لأمهات المؤمنين من بيت المال عشرة آلاف ، وزاد عائشة ألفين، وقال: آنها حبيبة رسول الله ـ ﷺ ـ وكان الصحابي «مسروق» إذا حدث عن عائشة ـ ﷺ ـ يقول : حدثتنى الصديقة بنت الصديق ـ حبيبة رسول رب العالمين، المبرأة من فوق سبع سموات. . على الرغم من ذلك الحب لعائشة فإنه لم ينس حبه الأول. . حبه لخديجة ـ رضى الله عنها ـ وظل وفياً لهذا الحب يرويه من ينابيع الوفاء. . عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: «ماغرت على أحد من نساء النبي ـ ﷺ ـ ماغرت على خديجة ـ رضى الله عنها ـ ومارأيتها قط، لكن كان يكثـر من ذكرها وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق(١) خديجـة ـ رضى الله عنهـا ـ كأن لم يكن فى الدنيا امرأة الا خديجة، فيقول «انه كانت، وكان لي منها ولد»(٢).

ولقـد كان يسمع صوت أختها «هالة» فيثير صوتها مشاعره، ويذكره بالماضى البعيد لأنه كان شبيهاً بصوت خديجة. .

«عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة ـ رضى الله عنها ـ على رسول لله عليه الصلاة والسلام ـ فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك، فقال: «اللهم هالة بنت خويلد»(٣). . وهكذا لم تشغل الدعوة بأثقالها رسول الله ـ ﷺ ـ عن أن يكون ذا قلب محب عطوف. صلاة وسلاماً عليك أيهاالنبي المحب الوفي!!

* * *

(١) حدائق: جمع حديقة.

(٢) متفـق عليـه.

(٣) رواه مسلم.

احترام الإسلام لعاطفة الحب بين الزوجين

سأعرض هنا صورتين حدثتا على عهد الرسول - ﷺ - توضحان بجلاء كيف أن ديننا الإسلامي جعل لهذه العاطفة أعظم مكانة في العلاقات الزوجية؟ وإلى أي مدى احترام عاطفة المودة والرحمة بين الزوجين؟

فاذا نسفت هذه العاطفة واستحالت الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق، وفشلت جميع وسائل التوفيق بين الرجل وزوجته.. كان آخر الدواء الكي.. وسواء أكان تمرد هذه العاطفة من جانب الزوج أو من جانب الزوجة..

ولعل سائلا يسأل فيقول: اذا تغيرت عاطفة الزوج نحو زوجته بهذه الصورة التي تستحيل معها الحياة الزوجية، فإنه يستطيع التخلص من زوجته بالطلاق، فماذا تصنع الزوجة؟

رفعت زوجة ثابت بن قيس جانب خبائها، فرأت زوجها مقبلا فى عدة من صحبه، فاذا هو أشدهم سواداً، وأقصرهم قامة، وأقبحهم وجهاً، فحرك هذا المشهد مشاعر الكراهية التي كانت مترسبة فى أعماقها منه، وعلي الفور تركت بيته، وذهبت إلى بيت أهلها. ومع خيوط الفجر الأولى كانت واقفة عند باب بيت رسول الله - ﷺ - ولم تنتظر إلى أن يصلى صلاة الصبح لتعجل بفراقها من زوجها ثابت بن قيس، وقالت: يارسول الله، ثابت بن قيس ما أعتب عليه فى خلق ولا دين - تعنى أنه غير متهم فى خلقه ولا دينه - ولكني أكره الكفر في الإسلام - أي أكره الكفر بعشرته، فأحيل حياته جحيمًا، ولا يسعنى أن أقوم بحقوق الزوجية التي لا تؤدى إلا بعاطفة المودة والرحمة بين الزوجين. فقال لها رسول الله - ﷺ -: «أتردين عليه حديقته»؟ أي التي قدمها مهراً لها. قالت: نعم، وإن شاء زدته. فأمر رسول الله - ﷺ - ثابت بن قيس أن يطلقها.

وقال له: «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة» (١).

وهذا مشهد آخر يؤكد منهج الإسلام في هذا المجال:

---

(١) رواه البخاري ومالك في الموطأ وآخرون.

كان مغيث عبداً في بني مخزوم، وكانت بريرة أمة تعمل فى خدمة عائشة ـ رضى الله عنها ـ وشاءت الأقدار أن تجمع بين مغيث وبريرة تحت سقف واحد في زواج فيه الحب من طرف واحد.. مغيث موله (١) فى حب بريرة، وقلب بريرة يأبى أن ينسكب فيه حب مغيث، والقلوب بيد الرحمن يقبلها كيف شاء.. ويأتي اليوم الذي تعتق فيه بريرة، ويصبح لها الحق فى أن تنعتق من هذا الرباط الذي جمع بينها وبين رجل قلبها فى غطاء عن حبه. وتصر بريرة على فراق مغيث، ولكن حبها ملك عليه أقطار قلبها حتى انه ليذرع طرق المدينة خلفها وهو يذرف من عينيه الدموع الساخنة علها ترحم عبرته وترد لهفته.. وعبثاً تذهب دموعه.

وينطلق مغيث الى العباس عم النبى ـ ﷺ ـ يرفع إليه شكواه ليوسط النبي ـ ﷺ ـ لعله يشفع له عند حبيبه المتأبي عليه، وغزاله الشارد من بين يديه.. ويرق له النبي ـ ﷺ ـ ويحرك هذا المشهد مشاعره فيقول للعباس عمه: «ياعباس. ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثاً؟» ويكلم النبي ـ ﷺ ـ بريرة فى شأن مغيث.

فقال لها: «لو راجعته.. فإنه أبو ولدك».

قالت: يارسول الله، تأمرني؟

قال «إنما أنا أشفع».

قالت: لاحاجة لي فيه(٢)

فأي تكريم هذا الذي كرم به الإسلام المرأة؟ وأي دين هذا الذي يقيم للعواطف الانسانية هذا الوزن في أخطر أمور الحياة؟.. انه ديننا الإسلام.. الدين القيِّم ولكن أكثر الناس لايعلمون!

* * *

المرحلة الحرجة في حياة الشباب:

ومرحلة المراهقة التي يمر بها كل فتى وفتاة ـ هى مرحلة التهاب المشاعر، وثورة

---

(١) أذهب حبها عقله.

(٢) رواه البخاري وابن ماجه واللفظ له.

العواطف . . فترة الأحلام الوردية، والخيال المجنح، والنظرة الحالمة.

وما أن تتفتح عيون الشباب وأسماعهم في هذه المرحلة على أغاني الحب، ومسلسلات الحب، وأفلام الحب الذي تبثه وتزينه أجهزة الإفساد، حتى يظل الفتى شارد الفكر مسلوب القلب. . أجهزة التخريب تلح عليه من الخارج، والحنين إلى الجنس الآخر يدفعه من الداخل. .

ويظل الفتى أو الفتاة فى شرود، كل منهما يفكر. . يريد أن يجرب. . ويبدأ فى تسجيل الأغاني وحفظها، ويشتري كتباً رخيصة تحمل بين دفتيها خطابات الغرام وعبارات العشق والهيام. . ويحفظ بعض العبارات المعسولة. . وينصب شباكه. . وإذا فى شباكه تقع فتاة. . و:

لكل ساقطة فى الحي لاقطة وكل كاسدة يوماً لها سوق

ومن هنا تبدأ حكاية الحب، وتظهر على المتيم أعراضه: سهر. . أرق. . إضراب عن الطعام. . أحلام يقظه. . انصراف عن الاستذكار والتحصيل. . وكما عبر حماد الرواية عندما سئل عن الحب، فقال: الحب شجرة أصلها الفكر، وعروقها الذكر، وأعضاؤها السهر، وأوراقها الأسقام، وثمرتها المنية. .

ويعيش «قيس» يترقب خطى «ليلى» إن غابت عنه تحولت الدنيا فى عينيه إلى ليال ليست لها أسحار، وظلمات لايتخللها أنوار، وإن أقبلت عليه. . فإنها تسعى إليه، واضعة نعيمها بين يديه. .

وتبدأ الكلمات، وتحدد اللقاءات، وتكتب الخطابات، وتتبادل الصور، وهنا بداية الانحراف، وبداية النهاية في مستقبل الحبيبين المتيمين معاً. .

هذا الحب هو مايسمى بـ «حب المراهقين» أو حب «التلامذة» ولايجني الفتى أو الفتاة من ورائه الا تشتيت الذهن، وتبديد الطاقة، والسهر والدموع، وبالتالي الإنصراف عن الدراسة وتحطيم المستقبل على صخرة العاطفة. .

* * *

● **الشباب وجنون العاطفة :**

هذا الفتى الذي سار في هذا الطريق، قد حكم على مستقبله بالضياع . . فإن كان الحب من طرفه وحده فيالشقائه وعذابه . . وأن بادلته «ليلى» مطارحات الهوى ومساجلات الغرام، كانت الكارثة التي ينتهي بها كل حب من هذا القبيل . .

ولقد أعجبني هذا الشاعر الشاب القوي العزيمة الذي لم يجعل لهذه الأفكار السقيمة سلطاناً على قلبه وعقله، فتشغله عن الوصول إلى قمة المجد التي ينشدها فيقول :

سلام على من تيمتنى بظرفها ... ولمعة خديها ولمحة طرفها
سبتني وأصبتني فتاة مليحة ... تحيرت الأوهام في كنه وصفها
فقلت ذريني واعذريني فانني ... شغفت بتحصيل العلوم وكشفها
ولي في طلاب العلم والفضل والتقى ... غنى عن غناء الغانيات وعرفها

وهذا الذى أراد الحب أن يتسلل إلى قلبه في غفلة من عقلة فيزجر قلبه ويقول له : ليس هذا أوان الحب . .

وقلت لقلبي حين لج به الهوى ... وكلفني مالا أطيق من الحب
ألا أيها القلب الذي قاده الهوى ... أفق لا أقر الله عينك من قلب

ويقسم ابن القيم العشق ثلاثة أقسام فيقول :

«عشق هو قربة وطاعة وهو عشق الرجل امرأته وجاريته، وهذا العشق نافع، فإنه أدعى إلى المقاصد التي شرع الله لها النكاح، وأكف للبصر والقلب عن التطلع إلى غير أهله، ولهذا يحمد هذا العاشق عند الله وعند الناس

«وعشق هو مقت عند الله وبعد من رحمته . . وهو أضر شيء على العبد فى دينه ودنياه وهو عشق المردان (الذكور) فما ابتلى به إلا من سقط من عين الله وطرده عن بابه، وأبعد قلبه عنه، وهو من أعظم الحجب القاطعة عن الله كما قال بعض

السلف: «اذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان». وهذه المحبة هي التي جلبت على قوم لوط ماجلبت، وما أتوا إلا من هذا العشق إذ قال الله تعالى: ﴿لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون﴾ (١).

«ودواء هذا الداء: الاستغاثة بمقلب القلوب، وصدق اللجأ إليه والاشتغال بذكره والتعويض بحبه وقربه، والتفكر بالألم الذي يعقبه هذا العشق، واللذة التي تفوت به، فيترتب عليه فوات أعظم محبوب وحصول أعظم مكروه، فإذا أقدمت نفسه على هذا أو آثرته فليكبر على نفسه تكبير الجنازة، وليعلم أن البلاء قد أحاط به..

«والقسم الثالث من العشق: العشق المباح الذى لايملك، كعشق من صورت له امرأة جميلة أو رآها من غير قصد، فأورثه ذلك عشقاً لها. ولم يحدث له ذلك العشق معصية فهذا لايملك عليه. والأنفع له مدافعته والاشتغال بما هو أنفع له منه، والواجب على هذا أن يكتم ويعف ويصبر على بلواه فيثيبه الله على ذلك ويعوضه على صبره لله وعفته وترك طاعته هواه وإيثار مرضاة الله وماعنده». (٢)

وعن الإسترسال مع هذا النوع الثالث يقول ابن عقيل: العشق مرض يعترى النفوس العاطلة، والقلوب الفارغة، والمتلمحة للصور، لدواع من النفس، ويساعدها إدمان المخالطة، فتتأكد الألفة ويتمكن الأنس، فيصير بالادمان شغفاً، وما عشق قط إلا فارغ فهو من علل البطالين، وأمراض. الفارغين من النظر في دلائل العبر، وطلب الحقائق المستدل بها على عظم الخلق..

وأما ضرر العشق في الدنيا، فإنه يورث الهم الدائم والفكر اللازم والوسواس والأرق، وقلة المطعم، وكثرة السهر ثم يتسلط على الجوارح فتنشأ الصفرة في البدن والرعدة في الأطراف، فالرأي عاطل، والقلب غائب عن تدبير مصلحته، والدموع هواطل والحسرت تتابع، والزفرات تتوالى، والأنفاس لاتمتد (٣) وصدق القائل اذ يقول:

---

(١) الحجر: ٧٢.

(٢) الجواب الكافى ص ٢٢٩.

(٣) ذم الهوى لابن الجوزى.

العشق مشغلة عن كل صالحة وسكرة العشـق تنفى سكرة الوسن

وإنني أسأل هذا الشاب : كيف يستبيح لنفسه أن ينشىء علاقة محرمة بفتاة لاتحل له ؟

ألم يعلم بأن هذا يغرى أخواته بالفساد إذا اكتشفن هذه العلاقة ؟

وهي لابد أن تكشف مهما حاول أن يسدل عليها ستائر كثيفة من الاخفاء والتمويه!

ماذا يكون شعوره لو علم أن أخته أو أحدى قريباته على علاقة بشاب آخر؟ هل سيثـور ويفـور، ويرغي ويزبد ويقيم الـدنيا ويقعـدهـا، أم أنه سيتعامى ويغمض عينيه عما يجري حوله؟

أعتقد أن روح الشباب المتوقد فيه، ونخوة الرجولة المتأصلة فى نفسه، ومشاعر الغيرة على عرضة لن تجعله يدع هذه القضية لتمر بسلام. .

إذن كيف يحل لنفسه مايحرمه على غيره؟

تصف الدواء لذي السقام (وذى الضنـى) كيما يصح به وأنت سقيم

لقد جاء فتى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: يانبى الله، أتأذن لى في الزنا، فصاح الناس به، فقال النبي ـ ﷺ ـ: قربوه، أدن، فدنا حتى جلس بين يديه، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «أتحبه لأمك»، قال: لا، جعلني الله فداءك، قال «كذلك الناس لايحبـونه لأمهاتهم. أتحبه لابنتك؟» قال: لا، جعلنى الله فداءك ـ قال «كذلك النـاس لايحبونه لبناتهم. . أتحبه لأختك» وزادت بعض الروايات أنه ذكر العمة والخالة، وهو يقول فى كل واحدة: لا، جعلني الله فداءك.

فوضع الرسول ـ ﷺ ـ يده على صدره، وقال: «اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه، وحصن فرجه»، فلم يكن شيء أبغض إليه منه ـ يعني الزنا (١).

---

(١) رواه أحمد باسناد جيد ورجاله رجال الصحيح . .

وبهذا الأسلوب المقنع الهادىء، أجبت تلميذاً يسألني: أنني أحب فتاة حباً بريئاً.. فقلت له: أتحب أن يحب أحد أختك حباً بريئا؟ فأجاب: لا.. فقلت له: كذلك الناس لايحبونه لاخواتهم.

يقول الأستاذ محمد قطب فى كتابه التربية الإسلامية:

فحين يقول إنسان لنفسه:

أننى أحس فى أعماقي بحنين إلى الجنس الآخر ورغبة قوية فى اللقاء بأحد أفراده والامتزاج معه، والافضاء إليه، والاتحاد الكامل معه حتى كأننا شخص واحد لا شخصان منفصلان.

«هذا الاحساس ليس عيباً فى ذاته ولا قذارة، إنه فطرة الله التي فطر الناس عليها، كل الرجال وكل النساء يشعرون بهذا الحنين وهذه الرغبة، ولابد أن يشعروا بها ليحققوا غاية الحياة ويحفظوا النوع على وجه الأرض.

«والتركيب الجسمي يشير إلى هذه الوظيفة.. ففسيولوجياته وبيولوجياته وكيماوياته كلها مهيأة للقيام بهذه الوظيفة على وجهها الأكمل، لتنتج أجيالاً جديدة من الحياة، وهو أمر لايتم بغير لقاء زوجين.

«وحين أحس بهذا الاحساس وهذا الميل، فأنا سائر مع الفطرة فى اتجاهها السليم.

«ولكن ليس معنى هذا أن يكون التفكير فى مسائل الجنس هو شغلى الشاغل، وهمي المقعد المقيم، فالحياة ليست جنساً خالصاً، ولاهي محصورة في هدف واحد.. أن عليّ تبعات أخرى تجاه نفسي وتجاه الناس.

«إن على أن أتعلم، وعلى أن أنتج، وعلي أن أنظر في أمر المجتمع أسائر هو على ماينبغي له أم منحرف عن سبيله، وما أسباب انحرافه؟ وعلي أن أقوم بدوري في تقويمه من انحرافه.

وعليّ أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر. وقد يصيبني من الناس أذى وأنا أقوم بهذا الواجب فينبغي أن أجند نفسي على احتمال الأذى، وأجند نفسي لمقاومة الشر،

وعليّ أن أقوم بدوري الإيجابي فى هداية الناس إلى الحق. وخير وسيلة لذلك هي (القدوة) فينبغي أن أكون أنا بذاتي قدوة حسنة، وإلا فلا قيمة لكل ما أقول وأنا أقول للناس إن الذي يفسدهم هو انجرافهم في طريق الشهوات فلأكن أنا المثل في عدم الانجراف مع الشهوات.

«وكذلك ليس معنى هذا أن أخطف فتاة ما لأقضي معها رغبة جنسية فهذه الفتاة ليست لي، لا أملكها لنفسي حتى أتصرف في شأني وشأنها على هذا الوضع. إن لها عرضاً يكافىء عرضى لايجوز لي أن أدنسه. أني أحب أن يكون عرضى نظيفاً طاهراً لم يدنسه شيء. فلأحافظ على عرض هذه الفتاة كذلك.. وإني أحب حين تكون لي زوجة أن تكون نظيفة.. أن تكون خالصة لي بروحها وجسمها جميعاً فلأترك هذه الفتاة إذن نظيفة لمن ستكون زوجاً له، فلأ تركها له خالصة كما أحب أن تكون زوجتي لي

«ولو انها رضيت رضاء بأن أقضي معها رغبة الجنس، أو دعتني هي الى ذلك فلا فارق. أنه لايجوز لي. إنها كالحارس الذى يدعو الناس إلى سرقة المال الذى يحرسه، فذلك لايعطي الناس الحق فى السرقة، لأن الحارس لايملك المال في الحقيقة.

«وهذه الفتاة الحارسة على عرضها لاتملك التصرف فيه، ولا دعوة الناس إلى اغتصابه.. إنه ليس عرضها وحدها، انه عرضها وعرض والديها وعرض أسرتها وعرض مجتمعها وعرض الإنسانية إنه عرض الامانة التي ائتمن الله عليها البشر، وينبغي أن يردوا له الأمانة نظيفة كما تلقوها، كاملة كما تسلموها إلا بحقها الذي نص عليه صاحب الحق.

* * *

● **الفتاة التى تلعب بالنار:**

وهذه الفتاة التي رضيت أن تسلك هذا الطريق الوعر الحافل بالمخاطر والأشواك التي يمكن أن تمزق عنها ثياب العفة.

كيف تلعب بالنـار؟ النار التي تحرق سمعتها وتدمر مستقبلها أما علمت أن شرف الفتاة كالثواب الأبيض، وهذه العلاقة تظل نقطة من مداد أسود فى ثوب شرفها الناصع البياض؟

أما علمت أن الحياة مليئة بالخداع والمكر، حافلة بالذئاب الماكرة فى لباس البشر؟ . .

أيتها الفتاة . .

إن فيك الرقة، وفيك الوداعة، وفيك البراءة، وفي قلبك الرقيق ينابيع الحب والرحمة والحنان . . لاتمنحيهالأول طارق، واحتفظي بها وادخريها لزوجك لفارس أحلامك، لأسرتك التي لاتقوم إلا بهذه العواطف النبيلة . .

لاتصدقي كلام الأفلام والمسرحيات والأغاني، فإنها «أكل عيش» فهؤلاء يبنون ناطحـات السحـاب على أنقاض صروح الفضيلة، ويرفلون في أثواب الترف، ويتقلبـون في أحضـان النعيم، إذا إنهارات الأخلاق وسادت الرذيلة، وراجت متطلبات الدعارة . . هؤلاء الذين ترينهم يمثلون أمامك أدوار الحب والغرام من أتعس خلق اللهوأشقاهم فى واقع الحياة . .

كحامل لثياب الناس يغلسلها وثوبه غارق فى الرجس والنجس

ان الفتاة التي تراسل الفتى أو تعطيه صوراً فكأنما تهديه حياتها ومستقبلها . . وهي الوسائل التي تمكنه من ابتزازها تحت ضغط أدلة الادانة التي تحفظ عليها وربما دعتـه الـظروف إلى إشهـار هذا السـلاح لينتقم منهـا ويشهر بها، ويهدم صرح حياتها . . والفشل في الحب يصنع الكوارث.

هذا الفتى الذي يرسل إليك الخطابات يشكو فيها حرقة الجوي ولوعة النوى ويصف فيها ورد الخدود، ورمان النهود، وأغصان القدود . . أحذريه . .

أنه ذئب ماكر في ثوب محب ولهان . . يتسلى بك ويضحك عليك، ويتخذك متنفساً مؤقتاً لعواطفه . . أنه يضع طعمه في الشبكة والفخ . . وطعمه الألفاظ المعسولة وتكلف البـطولـة، والمفـاهيم المـزيفة باسم التحرر والانطلاق، والتمتع بالحياة والتفكير العصري . .

إنه بطعمه هذا يحاول أن يستغل براءتك ليخدر أحاسيسك ومشاعرك ويحصل على أقصى مايستطيع منك من متعة رخيصة ليمضي هو خفيفاً . . ثم تروح السكرة وتأتي الفكرة، وتنظرين حواليك لتجدي جيوش الفضيحة والعار تهزك بعنف وتحيط بك من كل جانب . .

هذا المحب الذى سهر الليالي، وعد النجوم، وشكا همومه إلى النسيم، وأخلصت له «ليلاه» وأعطته جسمها وعرضها . .

هذا الثعلب الماكر لو قدر له أن يخطب عروساً في اليوم التالي لتكون زوجة له وأماً لأولاده . . لما أختار مثل هذه زوجة أبداً . . انه سيجتهد فى البحث، ويحقق ويدقق، ويحلل ويمحص، ويسأل ويتحرى . . يقدم رجلاً يوؤخر أهرى . . لماذا؟ .

لأنه أصيب بالشك، فهو يخاف أن يسقط على انسانة ملوثة كما لوث هو الاخريات . .

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدق مايعتاده من توهم

وهكذا ذهب المحب «المزعوم» وتبخر وتلاشى مع أول جريمة صنعها أو قبلة أختلسها، وألقى بحبيبة القلب إلى عرض الطريق كما يلقي المدخن عقب (سيحارته) بعد أن قضى منها وطره، وأشبع نهمه ليدوسها كل من يمر بها دون أن يلقي لها بالاً . . ويتولى عنها ولسان حاله يقول:

لاتأمن لأنثى حبتك بودها ان النساء ودادهن مقسم
اليوم عندك دلها وحديثها وغداً لغيرك كفها والمعصم

ونتيجة لهذا الحب الأرعن تصاب الفتاة بالأحباط، وتلعن الحب، وتلعن معه كل الرجال وتنطوي على نفسها يطاردها ماضيها الأليم، وتجتز ذكريات الأسي ليذيقها الضمير أبشع ألوان العذاب، وكأنه وقدات تلذع قلبها . . وربما كان رد الفعل أقوى، فتسمم حياتها الزوجية، وتنتقم من المحب الهارب فى صورة زوجها المسكين!!

إن الرجل يحب فى الفتاة شرفها وفضيلتها . . يحب فتاة بلا ماض . . فتاة عذراء الـروح . . بكـر الفؤاد ، لم يستهلك طاقة الحب فى قلبها الرقيق بشر ، ولم يلوث جسدها وانسان . .

هذه الفتاة هي التي تلهب مشاعر الفتي ، وتجعله يلهث وراءها ، لاأقصد الذي يريد أن يلهو ويتسلى بها ، ولكنه الذي يريد الزواج . . الذي يريد حباً مع النفاذ . .

وإننا لنجد في تراثنا العربي شمم المرأة العربية وأنفتها حين تقف قوية المراس أمام عواطفها . . قيل لعتبة بعد موت عاشقها : ماكان يضرك لو أمتعته بوجهك؟ قالت : منعني من ذلـك خوف العـار وشماتة الجار ، ومخافة الجبار . . وان بقلبي أضعاف ما بقلبه ـ غير أني أجد ستره أبقي للمودة ، وأحمد للعاقبة ، وأطوع للرب ، وأخف للذنب (١) . .

وقبـل أن نغادر الحديث في هذا الموضوع ، فان أديب العربية الفذ مصطفى صادق الرافعى يهمس في أذنك بهذه الكلمات :

«احذري أن تخدعي عن نفسك . . أن المرأة أشد افتقاراً الى الشرف منها الى للحياة . .

«إن الكلمـة الخادعة إذْ تقال لك ، هي أخت الكلمة التي تقال ساعة انفاذ الحكم للمحكوم عليه بالشنق . .

«يغترونك بكلمات الحب ، والزواج ، والمال ، كما يقال الى الصاعد الى الشناقة : ماذا تشتهى؟ ماذا تريد؟

«الحب؟ الزواج؟ المال؟ يا لحم الدجاجة . . بعض كلمات الثعلب هي أنياب الثعلب . .

«أيتها الشرقية إحذري . . إحذري . .

«احذري السقوط ، إن سقوط المرأة لهوله وشدته ثلاث مصائب في مصيبة :

«سقوطها هي ، وسقوط من أوجدوها ، وسقوط من توجدهم . . نوائب الاسرة كلها قد يسترها البيت ، إلا عار المرأة . فيد العار تقلب الحيطان كما تقلب اليد

(١) روضة المحبين لابن القيم ص ٣٣٦ .

الثوب فتجعل ما لا يرى هو ما يرى. . والعار حكم ينفذه المجتمع كله، فهو نفي من الاحترام الانساني. .

«أيتها الشرقية إحذري، إحذري. .

لو كان العار في بئر عميقة لقلبها الشيطان مئذنة ووقف يؤذن عليها. . يفرح اللعين بفضيحة المرأة خاصة، كما يفرح أب غني بمولود جديد في بيته. . واللص والقاتل والسكير، والفاسق، كل هؤلاء على ظاهر الانسانية كالحر والبرد. .

«أما المرأة حين تسقط، فهذه من تحت الانسانية هي الزلزلة. . ليس أفظع من الزلزلة المرتجة تشق الأرض، إلا عار المرأة حين يشق الأسرة. .

«أيتها الشرقية. . إحذري، إحذري» (١).

* * *

(١) وحي القلم ج ١ ص ٢٦٦، ٢٦٧.

الحب الناضج

وتسألونني: متى نتمتع بنعيم الحب ونشوته؟ . .

نعم هذه المرة تسألون عن الحب الحقيقي. لا الحب المزيف. . الحب الناضج وليس حب المراهقة الذي يشتعل سريعاً وينطفىء سريعاً. .

وهذا الحب الذي نعنيه هو العاطفة الناضجة التى تفرق بين الاحساس بالجمال السطحي، وبين الاحساس الحقيقي بحب إنسان فيه من الصفات ماهو جدير بهذا الحب.

هذا الحب الناضج الواعي هو الذي قد يطرق القلب عندما يصبح الشاب مستعداً لتحمل نتائجة. . أقصد تحمل تبعات الزواج. .

هذا الحب. . يباركة الإسلام. .

عن إبن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رجلاً قال: يارسول الله، عندنا يتيمة قد خطبهارجلان موسر ومعسر. هي تهوى المعسر، ونحن نهوى الموسر، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : «لم ير للمتحابين مثل النكاح»(١).

والنظرة هي الشرارة الأولى التي تشعل عاطفة الحب. .

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها. . فعل السهام بلا قوس ولاوتر.

ولاتحل هذه النظرة الطويلة المحقة المدققة في أسرار الجمال إلا إذا كان الإنسان عازماً على الزواج. . ولذلك كان النبي ـ ﷺ ـ يدفع من يريد الزواج إلى رؤية من يريد خطبتها لعله يدرك من أسرار الجمال فيها وتدرك من أسرار الجمال فيه مايوقع الحب في قلبيهما. .

ومالحب من حسن ولامن ملاحة ولكنه شىء به الروح تكلف

عن محمد بن سلمة، قال: خطبت امرأة، فجعلت أتخبأ لها حتى نظرت إليها في نخـل لها. فقيل له: أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ـ ﷺ ـ ؟ فقال:

---

(١) رواه الطبراني وابن ماجه.

سمعت رسول الله - ﷺ - : يقول: «إذا ألقى الله فى قلب إمرىء خطبة امرأة، فلا بأس أن ينظر إليها»(١).

وهذا الحوار الذي دار بين عبدالملك بن مروان وبثينة يبين أن لكل إنسان ذوقاً في الجمال، قد يتعلق بغير المظهر الخارجي ويكون باعث التقاء الأرواح فيه أقوى من باعث الجمال الحسي، و «الأرواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف»(٢).

دخلت بثينة على عبدالملك بن مروان، فقال لها: يابثينة، ما أرى فيك شيئاً مما يقوله جميل. . فقالت: ياأمير المؤمنين، أنه كان يرنو إلي بعينين ليستا في رأسك. قال: فكيف رأيته في عشقه؟ . . قالت: كان كما قال الشاعر:

لا والذي تسجد الجباه له مالي بها تحت ذيلها خبر
ولابفيها ولاهممت بها ماكان إلا الحديث والنظر(٣)

وهكذا يكون الزواج هو الخطوة الأولى على طريق الحب الناجح الذى يعمر به الكون، ويدفع سفينة الحياة في بحار السعادة هادئة مطمئنة. . تهب عليها نسمات رقيقة عذبة، يتمتع بها الحس، وتأنس إليها النفس، ويكون المعنى الحقيقي لقوله عز وجل:

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، أن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾(٤).

رواه ابن ماجة وابن حيان بسند آخر.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) المستطرف للابشيهى ص ١٨٣

(٤) الروم: ٢١.

الحب بعد الزواج

وتسألونني: هل يستمر الحب بعد الزواج؟

أجيب عليكم: بنعم. . نعم يستمر على شرط أن يشترك الزوجان في رعاية شجرة الحب وتعهدها وسقيها بالمعاملة الرقيقة، والكلمة الحانية، والبسمة الراضية، والتجاوز عن الهفوات، وأن يعيد كل من الطرفين النظر في خياله المجنح الذي كان يجسم له شريك حياته على أنه ملك من ملائكة العالم العلوي. . عند ذلك سيجد كل من الحبيبين أنه يقطع رحلة الحياة على جناح الشوق والمحبة، والرحمة والمودة، إلى أن يكون اللقاء هناك، حيث لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. .

والآن أصحبكم في رحلة قصيرة لنقرأ معاً نماذج رائعة عن الحب الحلال:

روى ابن الجوزي في كتابه «ذم الهوي»(١) أن عبدالله بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - تزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت حسناء جملاء، ذات خلق بارع، فشغلته عن مغازيه فأمره أبوه بطلاقها، وقال: إنها قد شغلتك عن مغازيك ، فقال شعراً:

يقولون طلقها وخيم مكانها مقيًا عليك الهم أحلام نائم
وإن فراقي أهل بيت جمعتهم على كِبَر مني لإحدى العظائم

ثم طلقها . . فمر به أبوه وهو يقول:

أعاتك لا أنساك ماذر شارق وما لاحَ نجم في السماء محلّق
أعاتك قلبي كل يوم وليلة لديك بها تخفي النفوس معلق

---

(١) ذم الهوي لابن الجوزي، والصديقة بنت الصديق لعباس محمود العقاد.

ولم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير شيء تطلق
لها خلق جزل ورأى ومنصب وخلق سوي في الحياة ومصدق

فرق له أبوه فراجعها، ثم شهد مع النبي - ﷺ - غزوة الطائف فأصابه سهم، فمات بعد بالمدينة. فقالت عاتكة تبكيه:

رزئت بخير الناس بعد نبيهم وبعد أبى بكر وما كان قصرا
فآليت لاتنفك عيني حزينةً عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
فلله عيناً من رأى مثله فتى أكر وأحمى في الهياج وأصبرا
اذا شرعت فيه الأسِنَّةُ خاضها الى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

أرأيت كيف كان الحب؟ وكم كانت تعشق المرأة العربية في الرجل؟ انها كانت تعشق فيه صفات البطولة والرجولة ولو ابتلعته الحرب العوان..

أرأيت بم رثت عاتكة زوجها؟ لقد رثته بسمات الفروسية في غبار الحرب وفي مستنقع الطعن والضرب، ولم تذكر فيه جماله ودلاله، ونعومة يديه وشعره«الخنافس» وحذاء الكعب العالي..!!

وحكى الاصمعى عن رجل من بني ضبة قال: ضلت لي أبل فخرجت فى طلبها، حتى أتيت بلاد بني سليم، فلما كانت في بعض جهاتها أحومها، اذا جارية غشي بصري اشراق وجهها، فقالت: مابغيتك، فإني أراك مولهاً؟ قلت: إبل ضلت لي فأنا في طلبها قالت: فتحب أن أرشدك إلى من هي عنده؟ قلت: نعم. قالت:

الذى أعطاكهن هو الذي أخذهن.. فان شاء ردهن، فاسأله من طريق اليقين، لا من طريق الاختيار. فأعجبني ما رأيت من جمالها وحسن منطقها، فقلت لها: هل لك من بعل؟ قالت: كان والله، فدعي فأجاب الى ما منه خلق، ونعم البعل كان.. قلت لها: فهل لك فى بعل لا تذم خلائقه، ولا تخشى بوائقه - يعرض

عليها الزواج ـ فأطرقت ساعة (١) ثم رفعت رأسها وعيناها تذرفان دموعاً، فأنشأت تقول:

كنا كغصنين من بان غذاؤهما ماء الجداول في روضات جنات
فاجتث صاحبها من جنب صاحبه دهر يكر بفرحات وترحات
وكان عاهدني إن خانني زمن ألا يضاجع أنثى بعد موتات
وكنت عاهدته أيضاً فعاجله ريب المنون قريباً مذ سُنَينات
فاصرف عتابك عمن ليس يصرفه عن الوفاء له خلب التحيات (٢)

وحكى الأصعمي أيضاً قال: خرج سليمان بن عبدالملك ومعه سليمان بن المهلب بن أبي صفرة من دمشق متنزهين، فمرا بالجبانة، وإذا امرأة جالسة على قبر تبكي، فهبت الريح، فرفعت البرقع عن وجهها، فكأنها غمامة جلت شمساً.. فوقفنا متعجبين ننظر إليها، فقال لها ابن المهلب: يأمة الله، هل لك فى أمير المؤمنين بعلا؟ فنظرت إليهما، ثم نظرت إلى القبر وقالت:

فإن تسألاني عن هواي فانه بملحود هذا القبر يافتيان
وإني لأستحييه والترب بيننا كما كنت استحييه وهو يراني(٣)

وممن تحدث التاريخ عن روعة وفائهن لأزواجهن نائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان بن عفان رضى الله عنه ـ وكانت ذات رأى وفصاحة وجمال وكمال..

فقد عرضت نفسها للقتل يوم أن اقتحم الثائرون دار عثمان بن عفان عنوة، ولما أهوى أحدهم على عثمان بالسيف اتقت السيف بيدها فقطع أناملها..

وبعد أن قتل عثمان ـ رضى الله عنه ـ وقفت يوماً على قبره وترحمت عليه ثم انصرفت إلى منزلها قائلة: إنى رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب، وقد خفت أن يبلى

(١) الساعة جزء من أجزاء الوقت وان قل.
(٢) أخبار النساء لابن القيم تحقيق الدكتور نزار رضا ص ١٢٥، ١٢٦.
(٣) المرجع السابق ص ١٣٨، ١٢.

حزن عثمان فى قلبي فدعت بحجر وكسرت به مقدم أسنانها ، وقالت: والله لايقعد رجل مني مقعد عثمان أبداً . . ثم أرسل إليها معاوية بعد ذلك ليخطبها فبعثت إليه بأسنانها، وقالت: أذات عروس ترى؟

وقالوا: لم يكن فى النساء أحسن منها مضحكاً!!

ونقتصر على هذه الصور، لأن حبل الحديث سيطول بنا في هذا المجال. . والحب بين الزوجين قائم في كل العصور، ولكننا تخيرنا أمثلة من الأدب العربي، لأن هؤلاء الناس أجادوا في التعبير عن عواطفهم وعواطف المحبين لزوجاتهم والمُحِبَّات.

* * *

شهيد الحب

خرج علينا من الذين لايراعون حرمة للكلمات، ولايتحرجون من ذكر الله، ولا الأنبياء ولا الملائكة فى أغانيهم ـ وصدق رسول الله ـ ﷺ ـ حين قال: «إذا لم تستح فاصنع ماشئت»(١).

خرج علينا من يقول :

قد مات شهيداً ياولدي من مات فداء للمحبوب

ويوم أن أذيعت هذه الأغنية تلقيت سيلاً من أسئلة الشباب عن حديث منسوب إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو: «من عشق فعف فمات فهو شهيد».

مامدى صحة هذا الحديث؟

ولاأجد فى هذا المقام زيادة على ماعلق به الإمام ابن القيم فى كتابيه زاد المعاد، والجواب الكافي . . يقول:

«إن هذا الحديث لايصح عن رسول الله ـ ﷺ ـ ولايجوز أن يكون من كلامه. فإن الشهادة درجة عالية عند الله مقرونة بدرجة الصديقين، ولها أعمال وأحوال هي شروط في حصولها وهي نوعان: عامة وخاصة . .

«فالخاصة: الشهادة فى سبيل الله . .

«والعامة: خمس مذكورة في الصحيح ليس العشق واحداً منها، وكيف يكون العشق الذي هو شرك في المحبة وفراغ عن الله، وتمليك القلب والروح والحب لغيره تنال به درجة الشهادة. . هذا من المحال فإن إفساد عشق الصور للقلب فوق كل فساد. بل هو خمر الروح الذي يسكرها ويصدها عن ذكر الله. وحبه والتلذذ بمناجاته والأنس به، ويوجب عبودية القلب لغيره . .

«فلو كان اسناد هذا الحديث كالشمس كان غلطاً ووهماً، ولايحفظ عن رسول الله ـ ﷺ ـ لفظ العشق فى حديث البته . .

---

(١) حديث شريف.

«ثم ان العشق منه حلال ومنه حرام، فكيف يظن بالنبي - ﷺ - أنه يحكم على كل عاشق يكتم ويعف بأنه شهيد . . فترى من يعشق امرأة ، أو يعشق المردان (الذكور) والبغايا ينال بعشقه درجة الشهداء!!

«وأنت إذا تأملت الأمراض والآفات التى حكم رسول الله - ﷺ - لأصحابها بالشهادة وجدتها من الأمراض التي لاعلاج لها، كالمطعون، والمبطون، والمجنون، والحريق، والغريق، وموت المرأة يقتلها ولدها فى بطنها، فإن هذه بلايا من الله لاصنع للعبد فيها، ولاعلاج لها، وليست أسبابها محرمة، ولايترتب عليها من فساد القلب وتعبده لغير الله مايترتب على العشق . .

«فإن لم يكف هذا في إبطال نسبة هذا الحديث إلى رسول الله - ﷺ - فقلد أئمة الحديث العالمين به وبعلله، فإنه لايحفظ عن إمام واحد منهم قط أنه شهد له بصحة، بل ولابحسن، كيف وقد أنكروا على سويد - هو راوى الحديث - هذا الحديث، ورموه لأجله بالعظائم، واستحل بعضهم غزوه لأجل هذا الحديث».

ونحن نقول . نعم . . من ابتلي بحب امرأة، فجاهد نفسه وحارب هواه واعتصم بربه، ولجأ إليه . . لاشك أنه يدخل تحت قوله تعالى:

﴿**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. فأن الجنة هى المأوى**﴾(١).

وقد تبين لك جلياً أن الحديث السابق ليس من كلام النبي ﷺ ولايشبهه، والله الهادي إلى سواء السبيل . .

(١) النازعات: ٤٠ - ٤١.

وتسألونني: إذا تورط فتى أو فتاة فى مثل هذه العلاقة، ثم رجع وتاب إلى الله وأناب.. هل يحدث بها خطيبته أو زوجته مثلا..؟

هنا ياشباب، أرفع راية الخطر، لأحذركم كل التحذير.. فالشاب الذي يصف بطولاته ومغامراته العاطفية مع الأخريات أمام خطيبته أو زوجته، فإنه يحطم نفسه كمثل أعلى في خيال زوجته وسيكون هذا سبباً مباشراً في إصابتها بداء الشك فيه.. فى تصرفاته وحركاته وسكناته، وبذلك يكون قد وضع السم فى حياته لتنتحر انتحاراً بطيئاً..

وكذلك الفتاة - والموقف بالنسبة لها مرهف وحساس - ينبغي عليها ألا تتكلم مطلقاً بشيء من هذا، ولتستتر بستر الله لها فإن الرجل لايمكن بحال من الأحوال أن يتصور أن هذه المرأة عرفت رجالاً قبله. والرجل لاينسى للمرأة زلتها أو سقطتها مدى الحياة. فإن صرحت المرأة بشيء من هذا القبيل.. تكون هذه الغِرَّة الساذجة بجهلها قد وضعت - بإخلاص - مادة متفجرة فى بيتها، توشك أن تنسف صرح حياتها من الأعماق..

وإليكم ياشباب توجيهات الإسلام فى هذا المجال تتحدث عنهاسنة رسول الله - ﷺ -.

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول «كل أمتى معافي إلا المجاهرين، وإن من المجانة، أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يافلان.. عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه(١).

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما- عن النبي - ﷺ - قال:

«اجتنبوا هذه القاذورات التي نهي الله عنها، فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله»(٢)..

---

(١) رواه البخاري ومسلم..

(٢) أخرجه الحاكم ورواه مالك فى الموطأ

وعن عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: إنى عالجت(١) امرأة من أقصى المدينة، فأصبت منها، دون أن أمسها، فأنا هذا، فأقم على ماشئت. فقال عمر: قد ستر الله عليك لو سترت على نفسك. فلم يرد النبي ـ ﷺ ـ، فانطلق الرجل فأتبعه النبي ـ ﷺ ـ رجلاً، فدعاه، فتلا عليه:

﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل، أن الحسنات يذهبن السيئات، ذلك ذكري للذاكرين﴾(٢).

فقال له رجل من القوم يارسول الله، أله خاصة أم للناس كافة؟ فقال: «للناس كافة»(٣).

وهكذا ياشباب، نجد أن ديننا الحنيف ليس مغرماً بالتشهير ولا بإثارة الفضائح، ولابإقامة الحدود، بل إنه يعطي الفرصة لمن هفا هفوة أو كبا كبوة أن يستأنف حياة جديدة نظيفة مادام قد تاب إلى الله وأناب:

﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات، وكان الله غفوراً رحيمًا﴾(٤)

* * *

---

(١) قبلها أو احتضنها. (٢) هود: ١١٤.

(٣) رواه مسلم والترمذي وأبو داوود واللفظ له.

(٤) الفرقان: ٧٠.

الفصل الرابع

الأمراض الخلقية

- الشذوذ الجنسي
- الزنـــا .
- العادة السرية .

الشذوذ الجنسي

هو قضاء الشهوة مع نفس الجنس، وارتكاس وانتكاس، ودليل شذوذ النفس وانحـراف الشعور. . وبه يتدلى الإنسان إلى أخس من مرتبة الحيوان، إذ فطرة الحيوان تأبى مثل هذا العمل الدنىء. .

وقد عاقب الله قوم لوط على هذه الجريمة عقاباً مروعاً، إذ أمر جبريل برفع قراهم إلى السماء، فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من صنع جهنم. . كل حجر مكتوب عليه اسم صاحبه.

يقول تعالى:

﴿وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود. مُسَـوَّمة عند ربك، وما هى من الظالمين ببعيد﴾(١).

وفى نفس الـطريق الذي أدى بقوم لوط الى الهاوية يتبعهم الغرب بحضارته المـادية الجنسية حذو النعل بالنعل. . وقد نشرت الصحف مؤخراً: أن عشرين شخصاً يمثلون عشرين مليوناً من هواة ومحترفى اللواط والسحاق ذهبوا إلى الرئيس الامريكى «كارتر» ليقدم لهم تسهيلات أكثر، ويصرحون بأنهم يأملون فيه أكثر من غيرهم. .

ولعلك تعجب وتتسأل. . لم لم تجر عليهم سنة الله فى قوم لوط؟. . وهو سؤال ينم عن صفة العجلة فى الانسان والتى وصفه الله بها فى قوله تعالى:

﴿وكان الانسان عجولا﴾(٢).

﴿خلق الانسان من عجل﴾(٣).

﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده﴾(٤).

واذا أردت معرفة الاجابة فتدبر قول الله ـ عز وجل ـ:

---

(١) هود ٨٢، ٨٣. (٢) الاسراء: ١١.

(٣) الأنبياء: ٣٧. (٤) الحج: ٤٧.

﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم، كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾(١).

وتأمل قول رسول الله - ﷺ -:

«ان الله ليملى للظالم، فإذا أخذه لم يفلته، ثم اقرأ:

﴿وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة، ان اخذه أليم شديد﴾(٢).

* * *

● قـــوم لـــوط:

ولكي ندرك مدى شناعة الجرم وبشاعته، لا بد لنا أن نعرض قصة لوط عرضاً سريعـاً يبـين مكامن الداء، ويطلعنا عن مصارع الذين غضب الله عليهم.. ليكون في ذلك عبرة وعظة لقوم يعقلون.

قوم لوط هم أول من سنوا الشذوذ الجنسي على وجه البسيطة، فأرسل الحق - تبارك وتعالى - اليهم نبيه لوطاً:

﴿ولوطاً اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون. أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء، بل أنتم قوم تجهلون﴾(٣).

فبم أجابــوه؟

لقـد أجابوه أجابه منكرة.. إجابة كل مجتمع جاهلي يسمي الفضيلة رجعية، ويسمي الاحتشام تأخراً، ويسمي التدين تعصباً، ويسمي الدعارة فناً.. إجابة المجتمع الذي يعد الطهارة جريمة يستحق الإنسان النفى بسببها..

﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم، إنهم أناس يتطهرون﴾(٤).

---

(١) غافر: ٢١.

(٢) متفق عليه. والآية من سورة هود: ١٠٢.

(٣) النمل: ٥٥. (٤) النمل: ٥٦.

واستشرى الشذوذ بينهم وانتشر، وصار يمارس في مجتمعات القوم وفى أنديتهم ـ كما فى أوربا الآن ـ وطارت شهرة قوم لوط فى هذا العمل الخبيث حتى لم ينج منهم ضيف أو غريب أو عابر سبيل . .

طفح الكيل وجاوز الأمر منتهاه، فلا حوار لوط معهم يجدى، ولا اقناعه لهم بأن يتزوجوا النساء يفيد، بل لجوا فى طغيانهم يعمهون، وقالوا له فى صلف وصفاقة واصرار:

﴿ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾(١).

ورتبت السماء الأمر، وأرسل الله وفداً من الملائكة برياسة جبريل فى مهمة مزدوجة، فتوجهوا أولا إلى أبي الانبياء إبراهيم . . ألقوا عليه السلام فرد عليهم التحية بأحسن منها، ثم تسلل متخفياً وأتى لهم بعجل مشوي . . ولكن الخوف ساوره حينما رأى أيديهم لاتمتد الى الطعام، فلاحظت الملائكة ذلك على نبي الله ابراهيم فكشفوا عن شخصيتهم وقالوا له: **لاتخف، إنا أرسلنا إلى قوم لوط**، وكانت زوجته قائمة تنظر أمر هؤلاء، فبشرتها الملائكة بولد اسمه إسحاق وولد لاسحاق اسمه يعقوب تعيش حتى تراه. ولكن المفاجأة اذهلتها، فصكت وجهها وقال: **﴿يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً، ان هذا لشىء عجيب﴾**. فردت عليها الملائكة قائلة: **﴿أتعجبين من أمر الله، رحمة الله وبركاته عيكم أهل البيت، أنه حميد مجيد﴾**.

ودار الحوار بين نبي الله ابراهيم والملائكة في شأن قوم لوط، واحتمال رجوعهم عن غيهم، ولكن الملائكة بينت له أن الله قد حسم القضية: **﴿يا ابراهيم أعرض عن هذا، انه قد جاء أمر ربك، وانهم آتيهم عذاب غير مردود﴾**.

قال تعالى: **﴿ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما، قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ. فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة، قالوا لاتخف انا أرسلنا الى قوم لوط. وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق**

(١) العنكبوت : ٢٩ .

ومن وراء اسحاق يعقوب. قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً، ان هذا لشيء عجيب. قاوا أتعجبين من أمر الله، رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت، أنه حميد مجيد. فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط. إن إبراهيم لحليم أواه منيب. يا ابراهيم أعرض عن هذا، انه قد جاء أمر ربك، وأنهم آتيهم عذاب غير مردود﴾ (١)

وخرجت الملائكة قاصدة قرية لوط، والتقوا به على مشارف سدوم وهو يجهل حالهم.. شباب فى مقتبل العمر، مشرقة وجوههم، مبهجة طلعتهم، وسيمة خلقتهم.. وعندما التقى بهم نبي الله لوط وعرف انهم ضيوفه وضع يده على قلبه، وكتم أنفاسه، وتمتم قائلا: **﴿هذا يوم عصيب﴾**. وظل طوال الطريق يعرّض لهم بأن ينصرفوا عنه فيقول: **﴿والله ما أعلم على وجه الأرض أهل بلد أخبث من هؤلاء﴾** وظل يكرر عليهم القول علهم ينصرفون عنه، ولكن الملائكة تصحبه الى داره ثابته الخطى رابطة الجأش لتنفيذ أمر الله، ودخلوا بيته، **وماإن** أخذوا مجالسهم حتى أسرعت زوجته الكافرة باخبار القوم بهذا الصيد الثمين، فقالت لهم: **﴿ان فى بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط﴾** واذا بالقوم ينطلقون كالمجانين الى دار لوط.. وعسكروا حول الدار، وأخذ نبى الله لوط ينثر كل ما فى جعبته من وسائل الاقناع، واستثارة أحاسيس الشفقة، واستجاشة مشاعر الرجولة:

﴿قال ياقوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم،فاتقوا الله ولاتخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد﴾(٢).

ولكنهم يجيبونه بكل صفاقة:

﴿لقد علمت مالنا فى بناتك من حق وانك لتعلم مانريد. قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد﴾ (٣).

(١) هود: ٦٩ - ٧٦. (٢) هود: ٧٨.

(٣) هود: ٧٩، ٨٠.

وتأزم الموقف، وتعقدت الأمور، وانتاب الحزن الشديد قلب بني الله لوط. . ويكشف الضيوف عن حقيقتهم. . انهم ملائكة.

فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك، انه مصيبها ما أصابهم، ان موعدهم الصبح، أليس الصبح بقريب﴾ (١) .

وخرج جبريل عليهم فضرب وجوههم ضربة بطرف جناحه فطمس أعينهم، فرجعوا يتخبطون فى الطريق. .

ولما جاء أمر الله عز وجل أمر جبريل ـ وهو الذى وصفه الله بأنه: **﴿ذى قوة عند ذى العرش مكين﴾ (٢)** .

أن ينفذ فيهم حكمه فاقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود حتى خرج مكانها البحر الميت ورفعها الى السماء فجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل، كل حجر يحمل اسم صاحبه. يقول تعالى:

﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود. مسومة عند ربك، وما هى من الظالمين ببعيد﴾ (٣) .

وهكذا طوى الله صفحة من صفحات المفسدين فى الأرض لعلها تكون عظة وعبرة للمعتبرين. .

﴿وما هى من الظالمين ببعيد﴾ .

﴿ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون﴾ (٤) .

﴿وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم﴾ (٥) .

* * *

● التحذير من عمل قوم لوط:

عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **﴿ان أخوف ما أخاف على أمتى عمل قوم لوط﴾ (٦)** .

---

(١) هود: ٨١ .
(٢) التكوير: ٢٠ .
(٣) هو: ٨٢ ، ٨٣ .
(٤) العنكبوت : ٣٥ .
(٥) الذاريات : ٣٧ .
(٦) رواه الترمذى، وابن ماجه والحاكم .

وعن ابن عباس - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : ﴿لعن الله من وقع على بهيمة ولعن الله من عمل عمل قوم لوط﴾ (١) .

وعن أنس - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ **﴿اذا استحلت أمتى خمساً فعليهم الدمار: اذا ظهر التلاعن، وشربوا الخمور، ولبسوا الحرير، واتخذوا القيان، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء﴾ (٢) .**

* * *

● حتى الزوجـــــة :

فعن أبى هريرة : رضى الله عنه - قال : قال النبي - ﷺ - : «لاينظر الله - عز وجل - الى رجل جامع امرأته فى دبرها» **(٣)** .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال ﷺ : «لاينظر الله الى رجل أتى رجلا أو امرأة فى دبرها» **(٤)** .

ولتنظر المرأة المسلمة كيف كرمها الاسلام وراعى مشاعرها، لتنظر الى الديانة اليهودية وكيف تجعل من المرأة كما مهملا لاقيمة له . .

«لما قال الحاخام يوحنا: ان اللواط بالزوجة غير جائز عارضوه فى ذلك قائلين: ان الشرع لم يحرم هذا الأمر، بل قال: لايخطىء اليهودى مهما فعل مع زوجته، وأية طريقة اتبعها نحوها بأمر الزواج فهى له بالنسبة للاستمتاع بها كقطعة لحمة اشتراها من الجزار يمكن أن يأكلها مسلوقة أو مشوية على حسب رغبته» **(٥)** .

* * *

---

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه البيهقى .

(٣) رواه ابن ماجة .

(٤) رواه الترمذى .

(٥) الزنا . . عن الكنز المرصود فى قواعد التلمود .

●حكم الاسلام فى جريمة الشذوذ الجنسي :

أعـرض عليك حكم الاسلام فى هذه الجريمة المنكرة، ولست أقصد بذلك استنباط الأحكام أو المقارنة بين الآراء. . ولكن قصدت الى توضيح حكم الاسلام فى هذا الشذوذ الغريب عن الفطرة السوية التى فطر الله الناس عليها. .

يقـول النبي ـ ﷺ ـ : «من وجـدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به» (١) .

وعن محمد بن المنكدر أن خالد بن الوليد كتب الى أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ أنه وجد رجلا فى بعض الأضاحى ينكح كما تنكح المرأة، فجمع أبو بكر لذلك أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ منهم على بن أبى طالب. . فقال علي : ان هذا ذنب لم تعمل به الا أمة واحدة ففعل الله بهم ما قد علمتم، أرى أن تحرقه بالنار. . فاجتمع رأى أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ أن يحرق بالنار فأمر به أبو بكر أن يحرق بالنار. .

وعن يزيد بن قيس، أن علياً عليه السلام رجم لوطياً. .

وروى عن عمر أنه قال: من عمل عمل قوم لوط فاقتلوه. .

وعن سعيد بن يزيد قال: سئل ابن عباس: ما حد اللوطي؟ قال: ينظر أعلى بيت فى القرية فيرمى منكساً ثم يتبع بالحجارة. .

وعن سعيد بن المسيب قال: على اللوطى الرجم، أحصن أو لم يحصن.

وقال عبد الله بن عمر: يحشر اللوطيون يوم القيامة فى صورة القردة والخنازير.

وفى الحديث: «اللوطيان لو اغتسلا بماء البحر لم يجزهما الا أن يتوبا».

وقال مجاهد: «لو أن الذى يعمل ذلك العمل ـ يعنى عمل قوم لوط ـ اغتسل بكل قطرة فى السماء وكل قطرة فى الأرض لم يزل نجساً». .

وقد ذكر الله سبحانه ـ عقوبة اللوطية وما حل بهم من البلاء فى عشر سور من القرآن وهى : سورة الأعراف، وهود، والحجر، والأنبياء، والفرقان، والنمل،

(١) اسناده على شرط البخارى.

والشعراء، والعنكبوت، والصافات. واقتربت الساعة، وجمع على القوم بين عمى الأبصار، وخسف الديار، والقذف بالأحجار، ودخول النار. . وقال محذراً لمن عمل عملهم وما حل بهم من العذاب الشديد: «وما قوم لوط منكم ببعيد» (١)

وقال بعض العلماء: اذا علا الذكر الذكر هربت الملائكة، وعجت الأرض الى ربها، ونزل سخط الجبار، ـ جل جلاله ـ عليهم، وغشيتهم اللعنة، وحفت بهم الشياطين، واستأذنت الأرض ربها أن تخسف بهم. وثقل العرش على حملته، وكبرت الملائكة، واستعرت الجحيم، فاذا جاءته رسل الله لقبض روحه نقلوها الى ديار اخوانهم، وموضع عذابهم، فكانت روحه بين أرواحهم، وذلك أضيق مكاناً وأعظم عذاباً من تنور الزناة، فلا كانت لذه توجب هذا العذاب الأليم، وتسوق صاحبها الى مرافقة أصحاب الجحيم. . تذهب اللذات وتعقب الحسرات، وتفنى الشهوة، وتبقى الشقوة. .

وكان الامام أحمد بن حنبل ينشد:

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها   من الحرام ويبقى الخزى والعار
تبقى عواقب سوء فى مغبتها   لاخير فى لذة من بعدها النار (٢)

* * *

● الأضرار الجسمية والنفسية للشذوذ الجنسي:

ومن الأضرار الجسمية والنفسية لهذه العلاقة الشاذة:

١ ـ عدم الميل الى المرأة: فيبلغ الأمر باللائط الى عدم الميل الى النساء، وقد يصل به الأمر الى أنه لايملك مباشرة امرأة ما. .

٢ ـ الأنعكاس النفسى: فيشعر الشاذ بأنه ما خلق ليكون رجلا، ولذلك

(١) لوط: ٨٩.

(٢) انظر ذم الهوى لابن الجوزى: ص ٢٠١، ومابعدها، وروضة المحبين ص ٣٥٨ وما بعدها.

يلازمه الأحساس بالميل الى بنى جنسه، وتتجه أفكاره الخبيثة الى أعضائهم التناسلية . .

٣ ـ اضعاف القوى النفسية والطبيعية، فيصاب الشاذ بالأمراض العصبية والنفسية كالسادية والماسوشية، والفيتشزم، وغيرها .

٤ ـ التأثير على المخ : يصاب الشاذ باختلال التوازن العقلى والبلاهة الواضحة وشرود الفكر، وذلك يرجع الى قلة الافرازات الداخلية التى تفرزها الغدة الدرقية، والغدد فوق الكلى وغيرها وذلك من تأثير هذا الشذوذ . .

٥ ـ السويداء : فقد تكون هذه الممارسة غير الطبيعية سبباً فى ظهور مرض السويداء وتكون عاملا قوياً فى اظهاره نتيجة للشذوذ الوظيفى لهذه الفاحشة المنكرة . .

٦ ـ عدم كفاية اللواط : فهذه العلاقة غير كافية لاشباع العاطفة الجنسية، لأنها بعيدة عن الملامسة الطبيعية، ولذلك فانها لاتقوم بارضاء المجموع العصبى . .

٧ ـ ارتخاء عضلات المستقيم وتمزقه : لأن هذا الوضع غير الطبيعى يسبب تمزق المستقيم وتمزقه : لأن هذا الوضع غير الطبيعى يسبب تمزق المستقيم وهتك أنسجته وارتخاء عضلاته، فيفقد المستقيم قوة سيطرته على المواد البرازية، وبالتالى فان ذلك يسبب للفاسق عدم التحكم فى عملية الاخراج . .

٨ ـ الانحطاط الخلقى : وكنتيجة مباشرة للخلل النفسى الذى يصاب به هؤلاء الشاذون، فاننا نجدهم يفقدون السيطرة على أنفسهم، فيسببون لمجتمعاتهم الاضطراب والخلل بالسطو على الأطفال الصغار، واستعمال العنف، والتجرؤ على ارتكاب أبشع الجرائم التى تسيل بها أنهار الصحف فى المجتمعات التى فقدت نور ربها .

﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ (١) .

٩ ـ التأثير على أعضاء التناسل : يضعف اللواط كذلك مراكز الانزال الرئيسية في الجسم، ويعمل على القضاء على الحيوانات المنوية فيه، ويؤثر على تركيب مواد

(١) النور: ٤٠

المني، وينتهي الأمر باللائط الى العقم . .

١٠ ـ الاصابة بالتيفود والدوسنتاريا: واللواط بجانب ذلك يسبب العدوى بحمى التيفود والدوسنتاريا والامراض الخبيثة التي تنقل عن طريق التلوث بالمواد البرازية . .

١١ ـ أمراض الزنا: بالإضافة إلى الأمراض السالفة الذكر، فإن هؤلاء الشاذين معرضون أيضاً للإصابة بالأمراض الرهيبة التى يصاب بها الزناة.

﴿وماظلمناهم ولكن كانوا أنفسم يظلمون﴾ (١) . .

وجاء أيضاً فى كتاب «القرآن والطب»:

إن من أهم الأسباب التى حرم (اللواط) من أجلها بقاء الجهاز التناسلي عند الرجل والمرأة سليمًا، إذ أن لسلامته تأثيراً كبيراً في سلامة كل عضو آخر من أعضاء الجسم: فمن المعروف علمياً أن الأفرازات التي يفرزها الجهاز التناسلي ترتبط بأوثق الصلات بإفراز الغدة النخامية، تلك الغدة الصغيرة الحجم العظيمة الشأن التي في أسفل المخ والتى تتحكم فى نشاط أعضاء الجسم وأجهزته المختلفة: القلب وسائر الأعضاء الأخرى والجهاز الهضمي والجهاز التنفسي والجهاز العصبي . .

الجهاز التناسلي في الرجل والمرأة خال من الجراثيم تماماً بعكس نهاية الأمعاء الغليظة، فإن الفضلات التى تخرج منها يتكون معظمها من جراثيم ضارة: جراثيم معروف علمياً أنها هى التي تسبب القيح، ولم يحتط لها الجسم إلا في هذا المكان فحسب، بحيث لو وجدت في مكان آخر لأدت إلى أعظم الضرر. . فتسربها إلى الجهاز التناسلي للرجل أو لمرأة أو لكليهما عن طريق اللواط يفقد هذا الجهاز التناسلي للرجل أو للمرأة أو لكليهما عن طريق اللواط يفقد هذا الجهاز صفة **طهارته** من الجراثيم، فيصبح مرتعاً لهذه الجراثيم، ويترتب على هذا اضعاف الحيوانات التناسلية وربما أدى ذلك إلى القضاء عليها . .

وبما أن الجهاز التناسلي والغدة النخامية مرتبطان ـ كما أسلفنا ـ ارتباطاً وثيقاً فإنه

---

(١) انظر كتاب «القرآن والطب» للدكتور محمد وصفى ص ١٢٢ ومابعدها . والآية من سور النحل: ١١٨ .

يترتب على التهاب الجهاز التناسلي واضطراب افرازاته اضطراب الغدة النخامية، فيتأثر باضطرابها الجسم كله (١)..

* * *

(١) القرآن والطب : أحمد محمود سليمان ص ١١٧ .

الزنـــا

مرض خلقي خبيث، لايظهر إلا في المجتمعات الجاهلية التي ابتعدت عن طهر السماء ونقائها لتتدني إلى رجس الجاهلية ودنسها.

وهذه الآفة المهلكة لاتسـري إلا في المجتمعات التي تعبد الجنس، وتقدم له القرابين.. وتصير قوادات الجنس فيه شموساً ساطعة في سماء الفن، حتى تقدم الواحدة منهن إلى المحاكمة، فيخلى سبيلها لماضيها العريق فى الفساد والإفساد، ليحيوا سنن الذين غضب الله عليهم، من الذين كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه.

أتـذكرون ياشباب كيف كانت المومسات في الحضارة اليونانية التي هوت.. شموساً في سماء العلم والأدب.. وهكذا يعيد التاريخ نفسه على أرض الإسلام..

ولأن الطريق إلى هذه الجريمة الكبرى يمر عبر مراحل قد يستهين بها الإنسان ولايلقى لها بالاً، فإننا نجد رسول الله - ﷺ - يصف مدارج هذا الطريق ليكون المسلم على بينة من أمره، وحتى لايسترسل معها فتوصله إلى غضب الله فيقول: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مدرك ذلك لامحالة: العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى والقلب يهوي ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»(١).

والحق تبارك وتعالى - الخبير بخفايا النفوس لم يحذر من الزنا مباشرة وإنما حذر أولاً من مقدماته فقال:

﴿لاتقربوا الزنا أنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾(٢).

والمجتمعات التى تشحن فيهاأجهزة الاعلام نفوس الشباب بالاثارة والمهيجات التي ينطلق في دمه شواظ منها ما ذاك الا دعوة مقنعة لممارسة البغاء، وهذا نوع من

---

(١) متفق عليه.

(٢) الاسراء: ٣٢.

الهاء الشعوب وتنويمها في خدر لذيذ حتى تظل فاقدة الاحساس فلا تحرك ساكناً ولا تثور على باطل . .

ولعلك قرأت ماكتبنا عن الجنس فى الغرب ، وما أدى إليه من فساد فى الأسرة ، وتفكك فى العلاقات ، واختلاط فى الأنساب ، وجناية على النسل وانتشار للأمراض . . لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب .

والاسلام عندما يشرع فانه لايشرع لمجتمعات انسلخت من آيات الله ، واتبعت أهواءها ، ولكنه يشرع لمجتمعات من صنع الاسلام . . مجتمعات طاهرة نظيفة ، ولذلك فان جريمة الزنا فى البيئة الاسلامية لا وجود لها الا فى الشذوذ الذى لايقاس عليه ، وقد وضع الاسلام عقوبة رادعة قد تبلغ حد الاعدام رمياً بالحجارة على أعين الناس تطهيراً للمجتمع ، وحفاظاً على الأعراض ، وقمعاً للذين يريدون تلويث المجتمع الاسلامى النظيف .

ومن بشاعة هذه الجريمة وجسامتهاقرنها بالقتل فى قوله تعالى :

﴿والذين لايدعون مع الله الها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولايزنون﴾(١) .

وكيف لايكون الزاني قاتلاً ، وقد انتهك عرضاً ، واستحل حرمة ، وزرع بذرة فى غير أرضه . .

ولو تبصرت بعين العقل ، وتأملت بعين الفكر طفلة ضائعة شريدة جاءت ثمرة مرة لشهوة لحظة .

هذه الطفلة الغضة البريئة . .

هذه الزهرة المتفتحة فى أكمامها . .

هذه التي قذف بها إلى الحياة لتعاني شقاء الأبد . .

ماذا جنت . . لتفتح عينيها على الحياة فلا تجد مأوي إلا أحضان المؤسسات ، أو ليتلقفها من لايعرف الله من أبالسة البشر فيتاجر فى عرضها ، ليقدم للمجتمع ساقطة جديدة . . ؟

---

(١) الفرقان : ٦٧ .

أية جريمة اقترفت.. لتنظر إلى الأطفال فتجد لكل طفل أماً تحنو عليه، وأباً يسارع في هواه وهي لاتجد من المجتمع إلا كل احتقار وازدراء...؟

أية جريمة، اقترفت.. لتتمنى الموت فى كل يوم بل وفي كل ساعة ولسان حالها يقول:

لموتة تأخذ الانسان واحدة خير له من لقاء الموت مرات

أية جريمة اقترفت.. حتى تحرم من حقوق الرضاعة، والنفقة والحضانة والتعليم وفى أن تنشأ فى جو نفسي خال من العقد والضغوط النفسية..؟

أية جريمة اقترفت.. حتى تحرم من دفء الحياة ونعيمها بين أبوين شرعيين تنعم فى ظلهما بجمال الحياة..؟

لهذا قرن الله جريمة الزناة بجريمة القتل..

ولهذا ـ أيضاً ضرب الإسلام بيد من حديد كل من يحاول العبث بأعراض المجتمع المسلم..

* * *

وهذا الزاني النجس الذيل قد يصور له الوهم أنه كالفراشة ينتقل من زهرة إلى زهرة، أو من فنن إلى فنن ولكنه يخطىء التصوير، أنه كالكلب ينتقل من جيفة منتنة إلى جيفة متعفنة..

يصور لنفسه أنه يعيش حياة الإنطلاق والانعتاق، وفي الواقع أنه يعيش سجين الأوهام.. يعيش ضائعاً، تائهاً، شريداً، لايستطيع الإقدام على الزواج وعلى مسئولياته كما يقدم الرجال، لأنه مصاب بنقص في رجولته..

يتحدث ابن القيم عن صفات الزاني فيقول: «الزنا يجمع خلال الشر كلها، من قلة الدين، وذهاب الورع، وفساد المروءة وقلة الغيرة، فلاتجد زانياً معه ورع، ولاوفاء بعهد، ولاصدق في حديث، ولامحافظة على صديق، ولا غيرة تامة على أهله، فالغدر، والكذب، والخيانة، وقلة الحياء، وعدم المراقبة، وعدم الأنفة للحرم، وذهاب الغيرة من القلب من شعبه وموجباته، ومن موجبات غضب الرب

بافســاده حرمــه وعيالــه . . ومنها أنه يسلبه أحسن الأسماء وهو اسم العفة والبر والعدالة، ويعطيه أضدادها كاسم الفاجر والفاسق والزاني والخائن . . ومنها قلة الهيبة التى تنزع من صدور أهله وأصحابه وغيرهم له، وهو أحقر شيء فى نفوسهم وعيونهم بخلاف العفيف فإنه يرزق المهابة والحلاوة . . ومنها أن الناس ينظرونه بعين الخيانة ولايأمنه أحد على حرمه ولا على ولده . . .»(١).

ويقول الدكتور محمد وصفي تحت عنوان «أخلاق الزانية ونفسيتها»: «فالزانية مخلوقة شاذة، وشذوذها لايتفق مع طبيعة الرجل العادية، من الناحية العقلية، والنفسية والجنسية والأخــلاق، فهي مسلوبــة الشرف والعفــاف، ظاهــرة اللؤم والنفاق، ترضى كل طارق، وتدعي حب كل زان، تبتسـم ابتسامة ملؤها النفاق والخــداع ، وتقبــل عن نفس سقيمــة عليلة، وروح خادعة غاشة، ألقت برقع الحياء، ولبست أثواب الخبث والخديعة لاكرامة لها، ولاقوام لأخلاقها، لها عقيدة فاســدة، فلاتصلح أن تكون شريكة رجل مسلم مهذب النفس قويم الأخلاق حسن الطباع، ولقد قال تعالى:

﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات﴾(٢).

---

(١) روضة المحبين ص ٣٤٨ ومابعدها.

(٢) النور: : ٢٦.

علماء الطب والنفس وجريمة الزنا

يقول الدكتور فوزي على جاد الله فى كتاب «الصحة العامة»:

الأمراض السرية المعروفة: هي الزهري، والسيلان، والقرحة الرخوة، والجرانيولوما الأربية، والجرانيولوما الليمفاوية السرية..

وتختلف هذه الامراض في مسبباتها الأساسية ولكنها تتشابه في وسائل انتقال العدوى بها، وهي أساساً بالملامسة الجنسية، وعلى ذلك فهي تتشابه أيضاً في طرق الوقاية والمكافحة، وأهمها الزهري والسيلان لارتفاع معدلات أنتشارها، والزهري أخطرها لإزمانه وللمضاعفات الخطرة التي تنتج عنه من عجز وعاهات ووفيات، والتقارير الصحية الحديثة تشير الى اتجاه معدلات انتشار الزهري والسيلان للارتفاع مما يشير الى أهمية هذين المرضين في الصحة العامة الإجتماعية.

● **الزهـــري:**

تعرفه الموسوعة الطبية الحديثة بأنه مرض معد يصيب كل أنسجة الجسم وأعضائه ويسبب الزهري نوعاً من البكتريا يسمي الحلزونيات أو اللولبيات تنتقل من شخص إلى آخر عن طريق الاتصال الجنسي. ولا يورث الزهري. ولكنه ينتقل من الأم المصابة به الى جنينها وهو ما يسمي الزهري الخِلقي أو الولادي، ويظهر على الوليد وقت الولادة أو بعد ذلك.

وفي طوره الأول تصل جراثيم الزهري الى الدم بعد أختراقها الجلد أو الغشاء المخاطي بساعات قليلة، وتنتشر في جميع الجسم بعد أسبوع تقريباً..

وأول علامات الزهري ظهور قرحته المتميزة بعد العدوي بمدة تتراوح بين تسعة أيام وثلاثة أشهر، وهي ثلاثة أسابيع في المتوسط. وقرحة الزهري صلبة، وتظهر على قضيب الرجل أو على فرج المرأة في مهبلها. وقد تظهر على الشفتين أو الثدي أو الأصابع أو حول الشرج، ويمكن رؤية جراثيم الزهري اذا فحص رشيح القرحة تحت المجهر... وتزول قرحة الزهري فيما بين عشرة أيام وأربعين يوماً بغير

علاج، وقد يؤدي ذلك إلى الاعتقاد الخاطىء بالشفاء. وقد لا تظهر قرحة الزهري اطلاقاً، أو تكون صغيرة فلا يميزها الفاحص. .

ويبدأ الطور الثاني بعد زوال القرحة بمدة تتراوح بين شهرين وسته أشهر ويستمر سنتين تقريباً. .

وأول أعراض الزهري فى طوره الثاني ظهور طفح على جزء من أجزاء الجسم، ثم يغطى سطح الجلد كله، وكذلك راحتى اليدين وأخمص القدمين، ويشبه طفح الحصبة ولكنه لا يسبب حكة، ولا يمكن التحقق من أنه طفح الزهري إلا بفحص الدم، ومن أعراضه أيضاً صداع وحمى واحساس بالمرض. . وقد تسقط خصل من الشعر، وتتألم العظام والمفاصل، وتظهر الأنيميا (فقر الدم) وتتأثر العينان. .

والزهري في طوره الثاني معد جداً، وينتقل بسهولة، وهو ينتشر بالتقبيل اذا ظهرت قروح مخاطية على الشفتين والفم. .

والطور الثالث هو الطور النهائي أو الزهري الكامن. . وقد يظهر بعد زوال الزهري الثانوى مباشرة أو بعد سنين طوال تتراوح بين خمس سنوات وخمس عشرة سنة أو أكثر، وقد لايشعر به المصاب رغم وجود الجراثيم في داخل جسمه، وقد يكون فحص الدم سلبياً. .

وهذا الطور قليل العدوى، ولكنه شديد الخطورة على المصاب نفسه، وتغزو الجراثيم جميع خلايا الجسم فتسبب فقد الابصار، وأمراضا خطيرة بالرئتين والقلب والمخ وجميع الأعضاء الداخلية. . ويصيب الزهري العظام والمفاصل والجلد، وقد يسبب الزهري قروحاً عميقة بالساقين، والتهاباً مزمناً بالعظم، وثقباً بالحنك الرخو. .

والزهري مميت فى طوره الثالث إذا أصاب القلب أو الجهاز العصبي المركزي. . وسبب الوفاة في اصابة القلب أو الأورطي أو أصمته ـ انفجار الأورطي أو اخفاق القلب. .

وتسبب اصابة الجهاز العصبي المركزي شللا قد يؤدى الى الجنون والموت. .

ويتحدث الدكتور أحمد عكاشة عن أهم الأعراض العقلية لزهري الجهاز

العصبي فيقول: «وأهم الأعراض العقلية في المرحلة الأولى والثانية هي الصداع.. وصعوبة التركيز.. سهولة الارهاق.. التهيج العصبي مع أعراض التوهم المرضى..

* * *

● **السيلان في الذكور:**

أول أعراضه هو الإحساس بحرقان عند البول شديد أو بسيط، واذا لم يبادر المريض الى العلاج فان العدوى تمتد الى الجزء الخلفي من مجري البول في القضيب وعنق المثانة والبروستاتا، ويتبع ذلك كثرة البول وأحياناً نزول دم مع البول، ومما يزيد هذه المضاعفات الاثارة الجنسية، وشرب الخمر، وقد يشفي تلقائيا بعد شهور أو سنة، وقد تنشأ مضاعفات موضعية مثل خراج البروستاتا، أو خراج الحويصلة المنوية والتهاب الحبل المنوي أو أجزاء من الخصية مما قد يؤدي الى العقم..

* * *

● **السيلان في الاناث:**

الأعراض الابتدائية بسيطة، وقد تمر دون ملاحظة، وقد يوجد افراز مهبلي بسيط مع احساس بالحرقان، وقد يحدث خراج فى غدة بارثولين فى الشفرات، وقد يمتد المرض من عنق الرحم الى الرحم، ويصيب قناتي فالوب والمبيضين، ويؤدي هذا الى ارتفاع في درجة الحرارة وآلام في النصف الأسفل من البطن، وقد ينتج عن هذا العقم في المرأة، وقد يؤدي السيلان فى الرجل أو المرأة الى التهاب المفاصل ويؤدى الى عجز مفصلي دائم، فى أحد المفاصل..

* * *

● **القرحة الرخوة:**

مرض سري حاد موضعي يكتسب عادة عن طريق الملامسة الجنسية، والمسبب

الأساسي للمرض ميكروب يسمى باسيل دوكرى . .

تبدأ أعراضه في الظهور على شكل منطقة حمراء صغيرة عند مكان دخول العدوى عادة على الاعضاء الجنسية، وتكبر وتصبح حلمة تكون قرحة لها حافة متعرجة، وتفرز الصديد، وهي قرحة مؤلمة وتنزف بسهولة، وقد يظهر بعد أيام تضخم في الغدد الليمفاوية القريبة، وتلتهب وقد تفتح على شكل دمامل أو بثور ثم تشفى تلقائياً أو تستمر خاصة فيمن لا يراعون النظافة الشخصية . .

* * *

● **الجرانيولوما الأربية :**

مرض مزمن معد بدرجة بسيطة، ويصيب عادة الأعضاء الجنسية الخارجية وما حولها، يبدأ المرض على الأعضاء الجنسية الخارجية، وينتشر تدريجياً الى المناطق الأربية ويظهر على شكل تقرح أحمر مزمن جداً، ويلتئم بصعوبة، واذ اصيب المريض بعدوى ثانوية تصبح القروح مؤلمة، ومصحوبة بارتفاع فى درجة الحرارة، وأعراض عامة، واذا لم يعالج يؤدي الى عجز شديد وفقدان الوزن والوفاة . .

* * *

● **الجرانيولوما الليمفاوية السرية :**

مرض سري يتسبب من فيروس خاص يحمل اسم المرض، ويصيب الأوعية والغدد الليمفاوية في المنطقة الجنسية، وتظهر على شكل تضخم في الغدد الليمفاوية وتقرّح وتضخم في الأعضاء الجنسية الخارجية، وضيق في المستقيم . .

وقد تكون أول الأعراض تضخم الغدد الليمفاوية الأربية، وتكون ساخنة ومؤلمة، وقد تكون مصحوبة بارتفاع في درجة الحرارة، وصداع ورعشة والتهاب في المفاصل، وقد تكون خراريج وتتقرح في النهاية مع تكوين ما يشبه داء الفيل في الأعصاب الجنسية مع أورام حلمية حول مخرج الشرج، وقد تؤدي الى ضيق في الشرج وكذلك التهاب المفاصل والملتحمة، وقد يؤدي المرض الى العجز

الشديد . . (١) .

* * *

هل رأيت الأمراض التي يسببها الزنا الذي وصفه الحق ـ تبارك وتعالى ـ بأنه كان فاحشة وساء سبيلا؟

هل رأيت كل عضـو في الجسم شارك في عملية الزنا أو في مقدماته، وكيف يتلظى بالآلام الجسام، ويصاب بالبثور والأورام . . ؟

أرأيت كيف يكون العقاب؟ وكيف يكون الجزاء من جنس العمل؟

بل هل رأيت عاقلا يفضل التنعم بلحظة ليعاني بها شقاء الدنيا والأخرة؟

هذا مصير الزناة في الدنيا . . آلام رهيبة في أجسادهم قد تسلمهم الى الموت، وتخريب كامل فى عقولهم قد يصل بهم الى الجنون .

وأما فى الآخرة فالعذاب الدائم الذي لا يفتر عنهم وهم فيه مُبلِسون .

عن أبى موسى أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر، ومن مات وهو مدمن الخمر سقاه الله ـ عز وجل ـ من نهر الغوطة . قيل وما نهر الغوطة؟ قال: نهر يجري من فروج المومسات، ويؤذى أهل النار ريح فروجهن»(٢) .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: سئل رسول الله ـ ﷺ ـ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «تقوى الله وحسن الخلق، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: «الفم والفرج»(٣) .

* * *

(١) راجع الموسعة الطبية الحديثة ج ط ص ٧٤٤، وكتاب الصحة العامة للدكتور فوزى على جاد الله، وكتاب الطب النفسي المعاصر للدكتور أحمد عكاشة .

(٢) رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه، والحاكم قال: صحيح الاسناد .

(٣) رواه الترمذى والبيهقى وابن حبان .

العادة السرية

لن نركز فى هذا المجال على حكم الإسلام فى العادة السرية فحسب، لأنه من المسلم به أن كل شاب قد سمع أقوالا متضاربة عن حكمها. . ولكننا سنحاول ما وسعنا الجهد ـ أن نضع أقدام شبابنا على طريق الفرار منها، وذلك اذا صدقوا العزم، وأخلصوا النية لله . . .

﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾(١).
﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾(٢).

●حكم الاسلام فى العادة السرية :

لسنا من هواة عرض خلافات العلماء في المسائل الفقهية وبخاصة اذا كنا نخاطب الشباب . . ولكننا نجد أنفسنا مضطرين الى ذلك، لأنه ربما لو ذهبنا الى رأى وسمع الشباب أو قرأ رأياً آخر فانه قد يقع في صراع مع نفسه، ولذلك آثرنا أن نعرض الآراء ونرجح أقواها حتى يكون الشاب على بينة من أمره . .

وأود أن يفهم شبابنا أن ديننا لا يؤخذ بالرأى، وانما وقع الخلاف فيه في الفروع، وفي فهم بعض النصوص، وذلك تيسير من الله ـ عز وجل ـ على هذه الأمة ودليل حيوية هذا الدين الذي يصلح لكل زمان ومكان . .

يقول الحنفية :

«إن الإستمناء حرام . . إذا كان لإثارة الشهوة دون مبرر . . أما اذا غلبت الشهوة الرجل فاستمنى بقصد تسكين الشهوة فلا اثم عليه . . بل إنهم ذهبوا إلى أن الإستمناء واجب اذا خيف الوقوع في الزنا جرياً على قاعدة ارتكاب أخف الضررين» .

---

(١) محمد : ١٧ . (٢) الطلاق : ٤ .

ويقول الحنابلة :

«إن الإستمناء حرام إلا اذا خاف الزنا ولم تكن له زوجة، ولم يقدر على الزواج فلا جناح عليه».

وقال المالكية والشافعية :

«إن الإستمناء حرام مطلقاً، وحجتهم في التحريم أن الله أمر بحفظ الفروج فى كل الحالات إلا فيما أحل الله».

رأى ابن حـــزم :

يرى ابن حزم أن الإستمناء مكروه، لأن مس الذكر بالشمال مباح وليس فوق ذلك الا تعمد انزال المني، فليس ذلك حراماً لقوله تعالى :

﴿وقد فصـــل لكم ما حرم عليكم﴾(١).

وليس هذا مما فصل لنا تحريمه وقال: إنما يكره الإستمناء لأنه ليس من مكارم الأخلاق».

وبعد عرض أشهر الآراء في هذا الموضوع ينبغى أن نعلم أنه من الأصول المتفق عليها شرعاً أن كل ما أضر بالجسم فهو حرام لقوله ـ ﷺ ـ : «لا ضرر ولا ضرار». ولقوله الله ـ تعالى ـ : ﴿ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة﴾ (٢).

ومن هذا المنـطلق فاننا إذا دققنا البحث في مساوىء هذه العادة، نجد أنها تسوق الممارس لها الى ضرر محقق فعلا فهي :

أولا ـ تبدد طاقة الشباب، وتشغله عن واجباته، وتجعله ينفق الكثير من وقته في البحث عن المثيرات، من صور عارية، إلى فيلم عار، إلى مجلة جنسية، وتكون هذه الأشياء بمثابة الوقود الذي يوضع على النار ليزيدها اشتعالا . .

ثانياً ـ ممارسة العادة السرية تلهب خيال الشباب في أثناء ممارستها وذلك بتخيله لأوضاع مثيرة مما يؤدى به إلى ارهاق في الجهاز العصبي . .

ثالثاً ـ ممارسة العادة لا تؤدي إلى الاشباع الجنسي الطبيعى مما يترتب عليه المبالغة

(١) الأنعام: ١١٩. (٢) البقرة: ١٠٥.

في ادمانها، ويكون مثل الشاب في ذلك كالعطشان الذي يشرب الماء المالح كلما اذداد شرباً ازداد عطشاً . .

رابعاً ـ الإدمان على العادة قد يجعلها ترتبط بادمان في الجهاز العصبي، فيتعود مدمنها على هذا الأسلوب الخاطىء في ممارساته الجنسية، وبالتالى يؤثر هذا على مستقبله في معاشرة زوجته. . وهذا أيضا بالنسبة للفتاة بالإضافة إلى أن ممارسة الفتاة لهذه العادة يصيبها بالتهابات في منطقة الحوض وكثرة في الافرازات وقد يؤدي بها إلى فقدان بكارتها نهائياً . .

خامساً ـ انشغال الشاب بهذه الأمور الجنسية وسيطرتها على تفكيره بهذه الصورة غير الطبيعية ـ سيجعله ينحرف ويفكر في لون آخر من ألوان الإنحراف الجنسي يكون أكثر أشباعاً . . ومنهج الإسلام في معالجة مثل هذه القضايا هو سد الذرائع والطرق الموصلة الى الفتنة والفساد . .

وهذا الذي سقناه اليك من مضار ممارسة هذه العادة هو الحد الأدنى لضررها النفسي والجسدي ونحن نراه كافياً للتحريم الشرعي . .

وقبل أن نسوق إليك الأدلة الشرعية التي تقوي مذهب الذين ذهبوا الى التحريم، فاننا نود أن نوجه أنظار شبابنا الى أن حرمة ممارسة العادة السرية لا تصل بالطبع إلى حرمة الزنا أو اللوط، وذلك لأن ضررها لا يتعدى الشخص نفسه، ولا يساهم في نشر التلوث الخلقي كالزنا أو اللواط، بل إن ممارسها يكون متخفياً عادة، ومن ثم أطلق عليها اسم العادة السرية . .

ينبغي على الشاب الذي أغراه الشيطان بها ألا يصاب بحالة من الانهيار العصبي، أو الصراع النفسي بل ينبغي عليه أن يرجع إلى الله تائبا مستغفراً دراساً للأسباب التي أدت به إلى الأخفاق أو التورط في هذه العادة ـ كما سنبين ذلك فيما بعد ـ دون أن يترك ذلك في نفسه أي أثر سيء . .

والآن إلى الأدلة الشرعية التى يرتاح إليها القلب وتطمئن إليها النفس، والتي تؤكد ما ذهب إليه المحرمون لهذا العمل غير الكريم، وإن كان فيما عرضناه من المذاهب فسحة لمن أوشك أن يتورط في جريمة الزنا، والضرورة تقدر بقدرها . .

١ ـ قال الله ـ عز وجل ـ فى سورة ﴿المؤمنون﴾ :

﴿قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾(١).

فالذي يفهم من الآيات بوضوح وجلاء أن حفظ الفرج واجب إلا من زوجة الإنسان أو ما ملكت يمينه فمن أبتغى الشهوة في غير ما ذكر فهو المتعدي على الحدود التي حدها الله تعالى . . والآية صريحة في الدلالة على ذلك .

٢ ـوقال الله تعالى ـ فى سورة ﴿النور﴾ :

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾(٢).

فانظر كيف أمر الله ـ تعالى ـ المؤمنين في الآية بالغض من البصر ومن هنا للتبعيض في حين أمر بحفظ الفروج كلية . . فهذا يفيد ـ ولا شك ـ حفظ الفرج من أي انحراف جنسي بما فيه العادة السرية . . وما كان ربك نسيا .

ونجد أيضاً في السورة نفسها قوله ـ تعالى :

﴿وليستعفف الذين لايجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله﴾(٣)

ففي هذه الآية الكريمة طالب الحق ـ تبارك وتعالى ـ غير القادر على الزواج أن يستعفف وأن يتسامى ، وألا يقرب أي عمل جنسي وذلك حتى يغنيه الله من فضله ، ويقضي مطالب الجنس في مصرفها الطبيعي ألا وهو الزواج . .

٣ ـ ومما يؤيد هذا الفهم الذي ذهبنا إليه قوله ـ ﷺ ـ :

«يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فأنه أغض للبصر وأحصن

---

(١) المؤمنون : ١، ٧. (٢) النور: ٣٠ ، ٣١. (٣) النور، ٣٣.

للفرج . . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(١).

في هذا الحديث يصف الرسول ـ ﷺ ـ الدواء الذي لابديل له في تصريف الطاقة الجنسية بلامضاعفات جسدية أو نفسية، فيحض الشباب على الزواج إن قدروا عليه. . » ومن لم يستطع «لم يقل النبي ـ ﷺ ـ فعليه بالعادة السرية فإنها تنفس عنه مابه، ولكنه وجه الشباب إلى علاج حاسم يقوي الارادة فتسيطر على شهوات النفس. . ويصل الشاب بربه عز وجل، ويخفف ضغط الغريزة عليه فقال: «فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

وتذكرون الشاب الذي أتى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ليستأذنه في الزنا(٢) . . هل تذكرون. أن الرسول ـ ﷺ ـ وصف له العادة السرية لتخفف حمل الغريزة عليه؟ . . كلا . . ولكنه أجرى له علاجاً روحياً جعل الزنا أبغض الأشياء إليه . . فوجود السبب الملح الذي من أجله يمكن أن يبيح له الرسول ممارسة العادة ـ قائم وتأخير بيان الحكم عن وقت الحاجة لايجوز. . من ذلك ندرك أن ممارسة العادة السرية . . حرام . .

وأخيراً أهمس في أذنك بقول الرسول ـ ﷺ ـ :

«ماكرهت أن يراه الناس منك، فلا تفعل بنفسك إذا خلوت» (٣) .

* * *

● الطب والعادة :

قال الأستاذ الطبيب «Las eque » : في كتابه «مقبرة الرجال، أو مساوىء الدعارة في نظر العقل والعلم»: «من القواعد العامة أننا اذا دققنا النظر فى الشبان المستسلمين للعوائد السرية، وفحصناهم من جهة الدماغ، وجدناهم محدودي الفهم، منحطين عن مستوى درجة رفاقهم، ولاحظنا أنهم عاجزون عن بلوغ مركز في الهيئة الإجتماعية» (٤).

---

(١) متفق عليه.

(٢) مر الحديث في عاطفة الحب.

(٣) رواه الترمذى وابن حبان.

(٤) الزنا ومكافحته.

وقال الدكتور «جورج سربيلد»: «ان المساكين المستعبدين للعوائد الرذيلة يفقدون القوة الجسدية والقوة الأدبية، وما عادوا يصلحون لشيء فلا أهلية لهم في الأجتهاد، ولذة العمل، فهم يضجرون ويضيعون أوقاتهم في التماس اللهو واللذة، ويقعون غالباً في فضائح لا اسم لها» (١).

وقال الطبيب«أ .س .سلمون» :«ليس من الصعب على الرجل أن يخالف نفسه عن المباشرة الجنسية إلى أن يتزوج، ولا عبرة قط بترهات بعض مثيري السوء الذين يدعون ـ بلا حياء ـ أن أشباع الشهوة البهيمية، وارضاء النزعة الجنسية ضروري لحفظ **الصحة وقوام الحياة**، فهو زعم باطل من الوجهة الطبية وأكابر الأطباء أثبتوا العكس»(٢) .

وقال « Mantegazza» : « لم أشاهد مطلقاً مرضاً قد نتج عن الامساك عن الجماع والتمسك بالعفة، ويستطيع الرجال والفتيان على الخصوص أن يمارسوا أو يجربوا التمسك بالعفة، فتصبح الذاكرة عندهم سريعة ومتصلبة والفكرة حية والإرادة ذات قوة فعالة مع حزم في الطبع، على العكس من الذين يسترسلون في الجماع حتى الإنهاك فلا يتمتعون بتلك الصفات الممتازة» (٣).

وهذا الكلام له نصيب كبير من الصحة، فالواقع المشاهد أننا نجد الشاب المدمن لهذه العادة يفضحه مظهره، تجده وقد غارت عيناه، واصفر جلده، وتخدد وجهه، وذهبت ممارسة العادة ببريق الحياة فى عينه، ونضرة القوة فى وجنتيه، ووهج الشباب فى جسده. . وهو في كل حالاته مكتئب مهموم، سارح الذهن، مشتت الفكر، متهاوت المشية، كأنه شبح هرم قد تكلف روح الشباب. . وسرعان ما تسرى في جسده روح الحياة. إذا هو عاد إلى رشده وتخلى عن هذه العادة السيئة التى تبدد الجهد وتضيع الطاقة الحيوية في جسم الإنسان.

ويوضح هذه المعاني الدكتور «الكسيس كاريل» الحائز على جائزة نوبل في العلوم والآداب فيقول:

---

(١) المرجع السابق. (٢) نفس المرجع. (٣) الزواج لعمر رضا كحالة ج ٢ ص ٢١٧.

«للغدد الجنسية وظائف أخرى غير دفع الإنسان لإتيان عمل من شأنه حفظ الجنس. . فهي تزيد أيضاً من قوة النشاط الفسيولوجي والعقلي والروحي. . فليس هناك خصي أصبح فيلسوفاً عظيمًا، أو عالماً خطير الشأن، أو حتى مجرماً عاتياً، لأن للخصيتين وللمبايض وظائف على أعظم جانب من الأهمية، إنها تولد الخلايا الذكرية والأنثوية، وفي الوقت نفسه تفرز في الدم مواد تطبع الخصائص الذكرية أو الانثوية المميزة على أنسجتنا وأخلاطنا (١) وشعورنا. . وتعطي جميع وظائفنا صفاتها من الشدة. فالخصية تولد الجرأة والقوة والوحشية، وهي الصفات التي تميز الثور المقاتل عن الثور الذي يجر المحراث في الحقل. . ويؤثر المبيض في جسم المرأة بطريقة مماثلة، ولكن عمله يستمر فقط إبان جزء من حياتها. . فحينما تبلغ المرأة سن اليأس تضمر الغدة بعض الشيء. . وحياة المبايض القصيرة تجعل المرأة المتقدمة في السن أكثر ضعة من الرجل الذي تظل خصيتاه نشيطتين حتى سن متقدمة جداً» (٢) .

وهكذا رأينا قوة تأثير هذه الطاقة الحيوية في حياة الإنسان، وكيف أنها تزيد فى نشاطه الجسمي والعقلي والروحي.

وأذكر في هذا المجال كلمة قالها الأديب الروسي المعروف «ليو تولستوى» وهي تؤكد صدق ما قاله الدكتور «الكسيس كاريل»، يقول تولستوى في مذكراته:

«كلما أسرفت في أية لذة، أفلت مني عقلي، وتداعت أعصابي، وعجزت عن مواصلة العمل في عناية ودأب، وكلما استيقظت، واعتدلت في ملذاتي، أو تعففت عن ممارسة الجنس فترة طويلة، دب في عروقي نشاط خارق، وأحسست كأن سيلا من دم جديد ينصب في إرادتي، وأنى بهذه الإرادة المتقدة فى وسعى أن أصنع المعجزات».

هذا. . وإذا عرف شبابنا مكونات المني الحيوية فانه سيعرف مدى الخطورة الصحية المترتبة على الافراط في ممارسة هذه العادة السيئة، فقد أثبتت التحاليل

---

(١) أخلاط الانسان فى الطب القديم هى أمزجته الأربعة: الصفراء، والبلغم والدم والسوداء.

(٢) الانسان ذلك المجهول. . ص ٧٧، ٧٨.

الـطبية أن المني يدخـل في تكوينه أكثر من اثني عشر عنصراً، منها: الصوديوم والبيكـاربـونـات، والبـوتاسيوم، والكالسيوم، والزيك، والسيترات، والكلور، والفـوسفـات، والأزوت، والفـركتوز، واللاكتوز، وعناصر أخرى بالإضافة إلى فيتامين ب١ ،ب٢ ،وفيتامين ج حيث يوجد فى المنى نسبة عالية من هذا الأخير.

ومما ذكر في كتبنا الأدبية عن الاسراف في هذا الأمر قولهم:

والاكثار في الجماع يهدم العمر، واعتبر ذلك بالبغل والعصافير فإن العصافير أكثر سفاداً وأقصر أعماراً، وليس من الحيوانات أطول عمراً من البغل.

وذكر عند الإمام مالك بن أنس الباءة فقال: هو نور وجهك ومخ ساقك فأقلل منه أو أكثر.

وقال معاوية: مارأيت منهوماً بالجماع إلا تبينت ذلك في مشيته.

ولقد صدق إمام العلوم كلها الشيخ الرئيس ابن سينا حيث قال:

احفظ منيك ما استطعت فانه ماء الحياة يصب في الأرحام

* * *

● العـلاج الحاســم:

الزواج «وهو العلاج الأوحد الذي وجه الرسول ـ ﷺ ـ الشباب اليه فى قوله: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج...» وليس كالزواج علاج ناجـع للسكن الروحي والجسدي، ومهما اجتهد علماء النفس وحملة الأقلام من مصلحـين ومفكـرين في البحث عن متنفس للطاقـة الجنسية، فلن يجدوا غير الـزواج، فهـو السكن.. السكن بمعناه الواسع.. السكن الجسدي والسكن الروحي، والسكن العاطفي، وكل حل سوى هذا الحل الأمثل من انطلاق على طريقة الحيوان، أو اختلاط بين الجنسين، أو غير ذلك من الطرق الملتوية، فما هو الا خبط عشـواء فى ليلة ظلماء، والـواقع الماثل أمام أعيننا يكذب هذه الافكار الوهمية التي قد تغلف بغلاف علمى وما هي من العلم في شيء..

والمجال هنا لا يتسع لما نريد أن نقوله في هذا الموضوع، ولكننا سنعرض رأياً

للدكتور «مصطفى السباعي» ـ رحمة الله عليه ـ وهو رأي جدير بالدراسة والتأمل. . يقول الدكتور في معرض حديثه عن الزواج المبكر:

«وأريد بهذه المناسبة أن أتحدث عن تأخر الشباب والشابات ـ وبخاصة الطلاب والطالبات ـ في الزواج إلى الوقت الذي يضمنون فيه مستقبلهم بعد تخرجهم، وهذه ظاهرة خطيرة أدت إلى مساوىء اجتماعية لا عداد لها. .

إن الزواج إذا يسرت وسائله، وقضي على التقاليد السيئة فيه يصبح أمراً عادياً جداً، فالطالب الذي ينفق عليه أبوه يستطيع أن يضم اليه زوجة في نفس الغرفة التى يسكن فيها دون أن يرهق والده. .

«ويجب أن نفرق بين الزواج، وبين انجاب الاولاد، فقد أصبح من الممكن علمياً ايقاف انجاب الاولاد الى الوقت الذي يصبح فيه الزوجان قادرين على الانفاق على الأولاد. .

«والمهم تبكير شبابنا وشاباتنا في الزواج يعصم أخلاقهم من الإنحراف، ويهدىء أعصابهم، ويقيهم أخطار الانفعالات النفسية ذات الأثر الضار في دراستهم واتجاههم السلوكي في الحياة. . .» (١).

* * *

● العلاج المؤقت:

الصيام. . «. . . ومن لم يستطع فعليه الصوم فانه له وجاء». . نعم. . فالصيام فيه تدريب على قوة الإرادة التي تجعل الشباب يتحكم في غرائزه الجامحة، وفيه أيضاً تربية النفس على مراقبة الله ـ عز وجل ـ وهذه المراقبة إذا تأصلت في النفس كانت هي حارس القيم في نفس الإنسان فلا يأتى من الأعمال الا ما يرضى الله ـ عز وجل ـ الذي هو أقرب اليه من حبل الوريد. .

ومن ثم فاننا نجد أن النبي ـ ﷺ ـ يقول «من أفطر يوماً من رمضان في غير رخصة رخصها الله له، لم يقض عنه صيام الدهر كله، وإن صامه» (٢).

(١) المرأة بين الفقه والقانون ص ٦١، ٦٢.

(٢) رواه أبو داوود، وابن ماجه، والترمذى.

لماذا؟

لأن مثل هذا الإنسان سقط فى امتحان الارادة، ومنى بالهزيمة والفشل أمام غرائزه . .

وأود ألا يفهم الشباب توجيه الرسول ـ ﷺ ـ لهم بالصيام على أنه ينبغي على الشبـاب أن يقضي أيامـه كلهـا صائما الي أن يتزوج . . كلا . . فان ذلك يقعد بالشباب عن الكسب والانتاج والتحصيل العلمي،ولكن هناك سعة في هذا الامر فكلما شعر الشاب بضغط الغريزة عليه صام ولو يوماً واحداً وهذا الصيام صيام تطوع وعبادة الله ـ عز وجل ـ ولنا في هدي رسول الله ـ ﷺ ـ أحسن الإسوة:

«عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لقد أخبرت أنك تقوم الليل وتصـوم النهار» قال: قلت: يا رسول الله، نعم، قال: «فصم، وأفطر، وصل، ونم، فان لجسدك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك ـ أي ضيفك ـ عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام». قال فشدّدت فشدد على. قال: فقلت، يا رسول الله، إنى اجد قوة قال: «فصم من كل جمعة ثلاثة ايام» قال: فشددت فشدد على قال: فقلت: يا رسول إني أجد قوة: قال: صم صوم نبي الله داوود عليه الصـلاة والسـلام؟ قال: «كان يصوم يوماً ويفطر يوماً» (١).

الصلاة (٢): وإقامة الصلاة فى اوقاتها تجعلك ـ دائما ـ على صلة بالله، فهي صمام الأمان وناهية عن الفحشاء والمنكر. وعلى الجملة فإن التوجه إلى الله ـ عز وجل ـ والتقرب إليه بالطاعات يبعد عنك وساوس الشيطان وهو اجسه . .

وهذه نصائح يسديها اليك الدكتور عبد الرازق الشهر ستانى، ليساعدك على التخلص من هذه العادة السيئة، وهي في جملتها تدخل تحت توجيهات ديننا الحنيف . .

١ ـ تشجيع الزواج المبكر . .

(١) رواه أحمد وغيره.

(٢) راجع كتاب «الصلاة الخاشعة» للمؤلف.

٢ ـ التثقيف الجنسى وإظهار مساوىء هذه العادة المستهجنة التي يمجها كل ذوق واحساس . .

٣ ـ الابتعاد عن أفلام الجنس، ووسائل الاغراء الأخرى كالمجلات، والكتب المكشوفة، والرقص الخليع، **ومباهج** الزينة التي تهيج وتثير الغرائز الجنسية وتخرج الشباب عن الطريق المستقيم . .

٤ ـ ممارسة الرياضة والأعمال الفنية الجميلة . . والقيام بالمطالعة المفيدة . .

٥ ـ تناول الغذاء الصحي الحاوي على الخضروات والفواكه، وترك المخللات والتوابل والمشروبات الكحولية، والتقليل من اللحوم . .

٦ ـ تفريغ الفضلات والغازات والإدرار من الأمعاء والمثانة دون تأخير، لأنها تسبب الإحتقان فى منطقة الأعضاء التناسلية وتهيجها . .

٧ ـ إتباع الوسائل الصحية كالنظافة العامة، والحمامات المائية والشمسية، وترك الفراش حالا عند النهوض من النوم والأنشغال بأمور مفيدة . .

ونحن نزيد على هذه النصائح ما يلى :

● الأستغراق الكامل فى العمل أو الهوايات التي تميل اليها فان ذلك يستوعب طاقتك ويستثمرها وبالتالي يخفف من الحاح الغريزة عليك . .

● اذا دخلت دورة المياه لقضاء الحاجة، فقل قبل دخولك «بسم الله . . اللهم اني أعوذ بك من الخبث والخبائث» (١) وعليك بسرعة الخروج فور انتهائك من قضاء حاجتك واستبرائك . .

● لا تسلم نفسك الى الفراش إلا اذا أحسست أنك في حاجة حقيقية إلي النوم، وقل عند نومك هذا الدعاء : «اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض، رب كل شىء ومليكه، أشهد أن لا اله الا أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه، وأن نقترف سوءاً على انفسنا أو نجره إلى مسلم» . . قله اذا أصبحت واذا أمسيت، واذا أخذت مضجعك» (٢) .

---

(١) حديث شريف.

(٢) رواه الترمذى.

وإذا استيقظت من نومك فقل «الحمد الله الذي رد عليّ روحي، وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره» (١) ولاشك أن هذا الذكر سيبعد عنك الوسواس الخناس:

﴿واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله، انه سميع عليم﴾ (٢).

● حاول بقـدر الإمكان ألا تنفرد بنفسك إلا إذا كان هناك عمل يستوعب انتباهك ويستولي على تركيزك..

يقول «جون كيندى» فى كتابه « قوة الإرادة»:

«وأسهل سبيل لتحطيم العادات السيئة هو ألا نحاربها.. وهذه ليست نصيحة بطُولية فحسب، ولكن أحسن طريقة لمعاملة العادات السيئة هي أن تفر منها، فالولد الواقع فريسة للعادة السرية، بدلا من التركيز على اغرائها بالمقاومة الصلبة القاسية، أفضل له كثيراً أن يرمي بنفسه في بعض النشاط الآخر الذي يستنفد نشاطه ويشغل فكره..

«وقد يكسب المعركة بالقتال، ولكن فى الإمكان أن يكون الخيال عنده أشد وأقوى ومن الأفضل كثيراً ألا نعطي الخيال شيئاً يتغذى عليه.

وان أحسن علاج للإدمان هو النشاط والعمل..

«وان أشد العادات صعوبة هي تلك التي ترتبط بادمان في الجهاز العصبي، كتلك العادة المشار اليها أو كالافراط في الشرب أو التدخين ولا يقتصر الأمر على الخيال لإنتاجها ولكن الحاح الجسم ومطالبته أيضاً، لذلك فان الجسم مثله كمثل العقل، يجب أن نتناوله بالتنظيم، فالإستيقاظ المبكر، والهواء الطلق، والرياضة البدنية، يجب أن تأخذ مكانها وتلعب دورها فى حياتنا..

«وإذا فشلنا مرة فيجب ألا نترك الأمر كله وننهار ونتشاءم، ويجب بعد الفشل أن تدرس أسبابه الموضوعية. لماذا فشلت وانهرت اليوم؟. هل أنا أتخذت قراراً سلبيًا ونسيت أن أصر عليه؟ هل أصبحت مرهقـاً نتيجـة لعملية ايحـاء ذاتي أو

(١) حديث شريف.

(٢) الأعراف: ٢٠٠.

لاعتقادي أن الأمر ليس حسناً؟هل أبتعدت بعقلي عن المحاولة وتحولت نحو شيء آخر؟ وماذا كانت الظروف؟ كيف أتلافاها مستقبلاً؟

وباكتشاف أسباب الفشل نكون قد وضعنا أنفسنا في موضع أفضل من ذي قبل ونصير أكثر قدرة على معالجة حالات الضرورة في المرات التالية، وبذلك نبتعد عن الفشل ونبحث عن طريق لنسيانه فيها عدا الدرس الذي تعلمناه منه، وكل محاولة هي بمثابة تمرين للقوه.. لقد كناسيئين.. ولكن سوف نعمل بطريقة أفضل في المرة القادمة. فانس وتقدم بعزم نحو الأمام..

«ولا حاجة لأن نقول أننا يجب أن نقطع خط الرجعة على كل ما ينبه أو يسمح بظهور العادة التي نسعى للتغلب عليها، وأن نتلافى مناسبات ظهورها.. وإذا كان بعض الأصدقاء والزملاء يعاونون على أغرائنا، فيجب أن نضحي بهم ليحل محلهم أخرون. وإذا كانت بعض الكتب أو الروايات تثير خيالنا وتصورنا فيجب ألا نتصفحها. يجب أن ننمى في أنفسنا مثل هذه التصرفات والضمانات باعتبارها الطريق السليم نحو الهدف الجديد.. وأما الجلوس بلا عمل أو سعي فهو أمر غاية في السوء (١).

* * *

● **الشعور بالذنب:**

وهنا يتحدث أساتذة علم النفس عن أن هناك شعوراً بالإثم، واحساساً بالذنب ينتاب الشاب الذي يمارس العادة ويرجع هذا الى تأنيب الضمير ومخالفة الدين، ولذلك فان كل الأعراض الجسمية راجعة الى أساس نفسي..

يقول الدكتور أحمد عكاشة في كتابه «الطب النفسي المعاصر»:

«ويعاني كثير من الشباب والشابات من الآم نفسية شديدة من جراء الصراع **بين الرغبة في ممارسة الاستمناء، والاحساس بالاثم ووخز الضمير وعصيان الدين،** ونصيحة الآباء، وتبدأ الغالبية في الشكوى من أعراض الإعياء النفسي، والتوهم

(١) قوة الإرادة بتصرف تألبف جون كيندى، ترجمة صلاح مراد ص ٦٦ وما بعدها.

المرضى، وصعوبة التركيز، والصداع، وآلام الظهر، والسرحان نتيجة لهذا الصراع النفسي، وليس كنتيجة من ممارسة الإستمناء كما هو في ذهن كثير من العامة».

ونحن مع الدكتور في بعض ما قاله، ولكن قد تكون بعض الأعراض المرضية جسدية فعلاً نتيجة للافراط في ممارسة العادة ووقوع بعض هؤلاء فريسة لها. . وقد ثبت في أبحاث الأطباء الذين يعتد بهم في هذا المجال أن الإدمان على العادة قد يؤدى بالفعل إلى الإعياء النفسي، ويرهق الجهاز العصبي، ويضعف الغدد التناسلية فضلا عن أنه لا يحقق الاشباع الجنسي الطبيعي كما سبق ان بينا. .

وفى نفس الوقت الذي نقول فيه ذلك، فاننا لا نقول بأن الإستمناء يسبب الجنون وأمراض السل، والشلل، وقد يؤدى إلى الانتحار وغير ذلك من قائمة الامراض التي كان يقول بعض الأطباء قديمًا قبل أن يتطور البحث العلمي في هذا المجال، ولا نذهب أيضاً الى القول المطلق بأن أضرار العادة ما هي ألا أضرار أتت نتيجة الإيحاء أو الوهم كما يقول بذلك آخرون، فكلا القولين مجاف للحقيقة العلمية. .

إنه ينبغي على كل من يتولى توجيه الشباب أن يعمل على مساعدتهم في التغلب على غرائزهم الضارة في هذه الفترة الحرجة من حياتهم. . وبدلا من أن نتملق غرائزهم، ونغريهم باشباع شهواتهم بأساليب منحرفة. . بدلا من ذلك يحسن بنا أن نعلمهم كيف يسخرون طاقاتهم المذخورة في بناء حياتهم حتى يؤمنوا مستقبلهم فى عصر لا يعترف إلا بالكفاءة والتفوق. . نعلمهم أن فترة الشباب في عمر الإنسان هي الفترة الوحيدة التي من خلالها يستطيع الشاب أن يحقق أحلامه، ولن يتم له ذلك إلا بأرداة صلبة، وعزم متين، وتسخير لأمكانات الجسم كلها في سبيل تحقيق هذه الاحلام. .

ونعود مرة أخرى إلي الصراع النفسي الذي قد يتولد من ممارسة العادة، لترى كيف عالجه الإسلام؟.

إن الإسلام لا يفترض في الانسان أنه ملك كريم، ولكنه يعامله على أنه بشر ركبت فيه الشهوات والغرائز، ومن ثم فانه لا يحكم عليه بالإعدام ولا بالطرد من

رحمة الله بسبب ذنب ارتكبه أو إثم تورط فيه . .

فهذا الإحساس بالذنب والشعور بتأنيب النفس اللوامة يزول تماما عندما يتوجه الشاب بقلبه إلى ربه مقلعاً عن الذنب نادماً على ما فات مصراً على عدم العودة . .

وقد جاء في الحديث الصحيح :

«ان الله ـ تعالى ـ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» (١).

وقال تعالى :

«إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» (٢).

«قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، ان الله يغفر الذنوب جميعاً، انه هو الغفور الرحيم» (٣) .

فينبغى على الشاب المسلم ألا ييأس من روح الله، وألا يعرف الصراع النفسي إلى قلبه سبيلا بل أنه قد يأثم إذا استعظم ذنبه إلى جوار رحمة الله وعفوه . . وكيف ذلك وهو الذي يناديك بهذا النداء القدسي الجليل :

«أيها الشاب التارك شهوته من أجلي أنت عندي كبعض ملائكتي» (٤) .

هل بيقي بعد ذلك احساس بالذنب، أو شعور بالاثم، بعد أن تاب الله عليه ومَحَا ذَنبَه، وأنسى الحفظة ما عمل، وأنسى جوارحه ما عمل، وأنسى بقاع الأرض ما عمل، حتى يأتي يوم القيامة وليس عليه شاهد بذنب؟ .

الإجابة سيجدها الشاب العائد إلى ربه،راحة فى النفس،وطمأنينة في القلب وحيوية في الجسم ـ ان شاء الله تعالى . .

* * *

---

(١) رواه مسلم (٢) النساء : ٤٨ .

(٣) الزمر: ٥٣ . (٤) رواه أحمد .

الفصل الخامس

منهج الإسلام في استثمار طاقات الشباب

- الشباب في ميزان الإسلام.
- روح القوة في الإسلام.
- الرياضة ومكانتها في الإسلام.
- للإسلام كلمة في كرة القدم.
- فضل العلم وشرفه.
- القراءة والبحث ومسئولية المؤسسات التعليمية.
- الفراغ ومنهج الإسلام فى استثماره.
- الإسلام وتربية الارادة.

رقة الفؤاد، وصفاء النفس، وبراءة الضمير، وطاقة الإيمان المتوقد بين الجوانح، تلكم صفات الشباب المسلم . .

ولذلك فاننا نجد النبي - ﷺ - يلفت الأنظار وينبه الأذهان الى ضرورة رعاية الشباب وتعهدهم، والعناية بهم فيقول: «أوصيكم بالشباب خيراً، فانهم أرق أفئدة، لقد بعثنى الله بالحنيفية السمحة فحالفني الشباب، وخالفني الشيوخ»(١).

والشباب الذي تربى في مدرسة النبوة الأولى لم يتركه الإسلام وقوداً للفراغ الفكري أو الروحي، ولم يضعه على هامش الحياة يعاني الضياع والبلبلة وفقدان الذات، وانما أشعره بالانتماء وحقق له الاحساس بالنفس . .

لما جمعت قريش جموعها، وجيشت جيوشها، وخرجت في ثلاثة آلاف مقاتل متوجهين إلى المدينة ليثأروا لشرفهم الذي تمرغ في الرغام يوم بدر، جمع النبى - ﷺ - أصحابه، وعرض عليهم الموقف . . فرأى الشيوخ البقاء بالمدينة على أن تدور رحى المعركة في شوارعها ودروبها، وبذلك يستطيع الصبيان والنساء أن يساهموا في المعركة بالقاء الحجارة على المشركين من فوق البيوت والآكام، وكان انصار هذا الرأى عبد الله بن أبي رأس النفاق . .

وكان رأى الشباب أن يخرجوا لمناجزة القوم، وقالوا لرسول الله - ﷺ -: أخرج بنا الى أعدائنا لا يرونا أنا جبنا عنهم وضعفنا. والله لا نطمع العرب في أن تدخل علينا منازلنا . . ونزل رسول الله - ﷺ - على رأى الشباب، وانسحب عبد الله بن أبى من جيش النبي - ﷺ - متعللا بنزول الرسول على رأى الشباب، ورجع وهو يتمتم قائلا: «أيعصيني ويطيع الولدان».

وفي هذا اليوم المشهود - يوم أحد - وبعد أن أكد للشباب ذاته في الرأى، أكد له أيضاً ذاته بالمشاركة الفعلية في ميدان القتال، فسمح للبراعم المتفتحة من الشباب

(١) حديث شريف.

المؤمن أن تشارك في المعركة، فأجاز سمرة بن جندب ورافع بن خديج وهما في الخامسة عشر، وكان قد ردهما لصغر سنهما. . فقال الصحابة: يا رسول الله، إن رافعاً رام - يجيد الرماية - فأجازه فلما أجازه قالوا له: يا رسول الله، ان سمرة يصرع رافعاً فأجازه. .

وفى يوم الخندق يجيز رسول الله - ﷺ - للقتال أسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، والبراء بن عازب، وعمرو بن حزم، وأسيد بن ظُهيَر. . وكل هؤلاء لما يجاوزوا الخامسة عشر. .

بل اننا نجد أنه - ﷺ - يعود الشباب ويدربهم على تحمل المسئولية الكبرى في قيادة الجيوش. .

فقد وجه النبى - ﷺ - جيشاً عظيمًا إلى بلاد الشام بقيادة الشاب المسلم أسامة بن زيد وهو في الثامنة عشرة من عمره. . هذا الجيش يضم بين جنوده كبار الصحابة من أمثال أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص. . وكان عمر - حتى يعد أن ولى الخلافة - إذا رأى أسامة - رضى الله عنه - قال له: السلام عليك أيها الامير، فيقول أسامة: غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لى هذا؟ فيقول عمر: لا أزال أدعوك - ما عشت - الأمير. . مات رسول الله - ﷺ - وأنت علي أمير. .

وأمر الرسول - ﷺ - أسامة أن يسير إلى موضع مقتل أبيه زيد بن حارثة حتى تطأ خيل المسلمين تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين. .

ولكن تأمير أسامة الشاب الحديث السن على جيش جرار فيه كبار الصحابة من مهاجرين وأنصار لم يلق هوى في نفوس بعض الصحابة، فخرج رسول الله - ﷺ - إلى الناس عاصباً رأسه من مرضه الذي لحق فيه بالرفيق الأعلى، وخطب الناس قائلا:

«أما بعد أيها الناس. . فما مقالة بلغتنى عن بعضكم في تأميرى أسامة، ولئن طعنتم في تأميرى أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وأيم الله إن كان لخليقا بالامارة، وان ابنه من بعده لخليق للامارة، وإن كان لمن أحب الناس الي وانهما

مظنة لكل خير، فاستوصوا به خيراً فانه من خياركم»(١).

وخرج أسامة، ورابط بجيشه على مقربة من المدينة استعداداً للتحرك، ولكن الجيش أوقف تحركه للحادث الجلل والخطب العظيم ألا وهو وفاة رسول الله ـ ﷺ

وعقب تولية أبي بكر للخلافة كلمه كبار الصحابة في أن يجعل مهمة جيش أسامة هي الدفاع عن المدينة في ظل الظروف الحرجة التي أحاطت بقلعة الإسلام بعد موت النبي ـ ﷺ ـ ولكن أبا بكر الحليم يرسلها في عبارات قاطعة جازمة فيقول:

«والله الذي لا اله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ـ ﷺ ـ ماأرد جيشاً وجهه رسول الله ـ ﷺ ـ والله لأن تخطفني الطير أحب الي من أن ابدأ بشيء قبل أمر رسول الله ـ ﷺ ـ».

وخرج أبو بكر يودع أسامة وجيشه.. أسامة راكب، وخليفة رسول الله يمشي، فيقول أسامة: يا خليفة رسول الله.. لتركبن أو لأنزلن، فيرد عليه أبو بكر قائلا: «والله لا تنزل ووالله لا أركب، وما علي أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله».

ولما انتهى من توديعه قال لأسامة ـ مستئذنا اياه ـ: «ان رأيت أن تعينني بعمر فافعل، فأذن له ثم وقف أبو بكر يوصي الجيش بالوصايا الغالية...

ورجع أسامة بجيشه ظافراً غانمًا رافعاٍ رايات التوحيد، فلا عجب بعد ذلك إذا رأينا أبا بكر يستخلف أسامة (الشاب) على المدينة حين خرج إلى ذى قصة ليعقد أحد عشر لواء لسحق حركة المرتدين...

وهـذا أيضـا عتاب بن أُسَيد ،وهو شاب في العشرين أو يزيد عنها بقليل، يستعمله رسول الله ـ ﷺ ـ على مكة بعد الفتح، وكان فيما قال له«ياعتاب، تدري على من استعملتـك؟ استعملتك على أهل الله عز وجل ـ ولو أعلم خيراً منك استعملته عليهم». ولم يزل عتاب ابن أسيد على مكة إلى أن مات رسول الله ـ ﷺ ـ ثم أقره أبو بكر عليها إلى ان مات عتاب يوم مات أبو بكر ـ رضى الله عنهما ـ..

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٤.

وهكذا نجد أن رسول الله ـ ﷺ ـ يلقي على مسامع الأمة وأعينها درساً عملياً في أن الشباب المسلم لابد أن نحقق له ذاته، ونفسح له المجال ليعبر عن نفسه من خلال أخطر الأعمال وأجلها . .

ولقد وعى خلفاء رسول الله ـ ﷺ ـ الدرس فكرموا الشباب، واحترموا فكرهم، وأشركوهم بالرأى والفعل في أعظم الأمور وأخطرها . .

يقول ابن شهاب الزهرى موجها حديثه الى الشباب:

«كان مجلس عمر ـ رضى الله عنه ـ غاصا بالعلماء والقراء كهولا وشباباً، وربما استشارهم. فكان يقول: «لا يمنعن أحدكم سنه أن يشير برأيه، فان الرأى ليس على حداثة السن، ولا على تدمه، ولكنه أمر يضعه الله حيث يشاء».

وكان يقول: «عليكم بأراء الاحداث، ومشاورة الشباب فان لهم أذهانا تفل الفواصل، وتحطم الزوامل».

نعم ـ ولا عجب فى ذلك . .

فرأي الفتـى ، وعقول الفتيان هي العقول الصافية الثاقبة التي لم تنل منها مثبطات الحياة . .

والشباب بفكره البكر، وبروح الإيمان المتوقد بين جوانحه لا تختلج في نفسه معاني الخوف والتردد . . فروحه ـ دائما ـ هي روح الإقدام لا الإحجام، والإقبال لا الإدبار، ومنازلة مخاطر في الحياة دونها الموت . .

ومن ثم فإن فكر الشباب وعقيدته هي التي توقظ الأمة من سباتها، وتحرك فيها الآمال إلى مستقبل أفضل . .

ومـا كانت ثورة «الفتى» ابـراهيم على الأصنام المعبودة وتحطيمه لها إلا فكراً جديداً أيقظ النائمين، ونبه السكارى والمخمورين . . أن لا معبود الا الله . .

وما تمرد فتية الكهف على الطواغيت الحاكمة إلا رفضاً لأفكار عفنة، وإحياء للفطرة المتجددة التي حمل لواءها الشباب.

﴿لن ندعوا من دونه الها لقد قلنا اذن شططا﴾(١).

---

(١) الكهف: ١٤.

هذا هو الشباب، وهذه بعض مكانته في الإسلام، وإنا لنعقد كل الأمل على شباب هذه الأمة ليعيد الوجه الإسلامي على أرضه بعد غيبة طويلة، وليرفع شعار التوحيد قولا وعملا.. لا معبود إلا الله ولا حاكمية إلا لشرع الله(١)..

* * *

(١) راجع مبحث «الشباب المسلم بين تيارات الفتن».

للأسف إننا لم نجد شمس الإسلام مشرقة ـ حتى هذه اللحظة ـ على أية بقعة من بقاع المعمورة. . الإسلام كما يريده الله لا كما تريده الأهواء. .

فالمسلمون في كل مكان خلطوا بين السنة والبدعة، والحقيقة والخرافة، والمستورد والأصيل، وصنعوا من كل ذلك ديناً جديداً هو «إسلام المسلمين اليوم».

ومما وقر في أذهان المنتسبين إلى الإسلام أن الشاب المسلم ما هو إلا إنسان تبدو عليه أمارات المرض: فهو أصفر اللون، ناحل الجسم، أشعث الهيئة، اذا مشى خلته شبحاً يتحرك، لا يجيد شيئاً غير الحوقلة والترجيع، وليس له في دنيا الناس قليل أو كثير. .

وهذه ـ ولا ريب ـ صورة مشوهة من الخرافات التي ألصقت بالاسلام تارة باسم التصوف وتارة باسم الزهد. .

وهذا هو المعلم والإسوة والقدوة كان النموذج الحي روح هذا الدين فى حركاته وسكناته. .

يقول على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه: كان رسول الله ـ ﷺ ـ اذا مشي تكفأ تكفياً كأنما ينحط من صَبَب. . وقال مرة: إذا مشي تقلع. . ويعلق على ذلك ابن القيم فيقول: قلت: والتقلع الإرتفاع من الأرض بجملته كحال المنحط من صبب* وهي مشية أولى العزم والهمة، والشجاعة، وهي أعدل المشيات وأروحها للأعضاء، وأبعدها عن مشية الهوج، والمهانة، والتماوت، فان الماشى أما أن يتماوت فى مشيه، ويمشى قطعة واحدة كأنه خشبة محمولة، وهي مشية مزمومة قبيحة، وإما أن يمشي بانزعاج واضطراب مشي الجمل الأهوج، وهي مشية مذمومة أيضاً، وهي دالة على خفة عقل صاحبها، ولا سيما أن كان يكثر الالتفاف حال مشيه يميناً وشمالاً، وإما أن يمشي هوناً، وهي مشية عباد الرحمن كما وصفهم بها في كتابه فقال:

«وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً»(١).

(١) الفرقان: ٦٣.

* صبب ـ محركة ماانحدر من الأرض

قال غير واحد من السلف: بسكينة ووقار من غير تكبر ولا تماوت، وهي مشية رسول الله - ﷺ - فانه مع هذه المشية كان كأنما ينحط من صبب، وكأنما الأرض تطوى له حتى كان الماشي يجهد نفسه، ورسول الله - ﷺ - غير مكترث(١).

وإذا تأملنا صفات رسول الخلقية، فاننا سندرك لأول وهلة أن جسد النبي - ﷺ - كان جسداً رياضياً بكل المقاييس في كل العصور..

يقول القاضي عياض في كتابه «الشفاء»: «انه - ﷺ - كان واسع الصدر عظيم المنكبين(٢)، ضخم العظام، عبل العضدين والذراعين والأسافل، رحب الكفين والقدمين، سائل الأطراف(٣).. ربعة القد(٤)، ليس بالطويل البائن، ولا القصير المتردد، ومع ذلك لم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله...».

بل نستطيع أن نقول كذلك أنه كان الرياضي الأول في زمانه وفي كل زمان..

كان ركانة بن يزيد من أقوى المصارعين في شبة الجزيرة العربية في ذلك الوقت، ولقد خلا به رسول الله - ﷺ - يوماً في بعض شعاب مكة، فقال له رسول الله: «يا ركانة، ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك اليه؟» قال: إنى لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك، فقال له رسول الله - ﷺ -: «أفرأيت ان صارعتك، أتعلم أن ما أقوله حق؟» قال: نعم.. قال: «فقم حتى أصارعك» فقام ركانة إليه فصارعه، فلما بطش به رسول الله - ﷺ - أضجعه، وهو لا يملك من نفسه شيئا، ثم قال: عد يا محمد فعاد فصرعه، وفي رواية: أنه قال: شاة بشاة. فصرعه النبي قال: عاودنى فى أخرى فصرعه النبي، فقال: عاودني، فصرعه النبي الثالثة. فقال الرجل: ماذا أقول لأهلي؟ شاة أكلها الذئب، وشاة نشزت، فما أقول في الثالثة؟ فقال النبي - ﷺ -: «ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك ونغرمك خذ غنمك»(٥).

(١) زاد المعاد - لابن القيم.

(٢) المنكبين: بفتح الميم وكسر الكاف هو مجمع عظام العضد والكتف.. أى قوي الساعدين.

(٣) سائل الأطراف: تام الأيدي والأرجل والأصابع طويلها.

(٤) ربعة القد: معتدلة القامة.

(٥) رواه ابو داوود.

ومن الذين صارعهم النبى غير ركانة أبو الأسود الجمحى، وكان يتمتع بقوة جسدية بالغة وقد بلغ من جسامته وقوته أنه كان يقف على جلد البقرة، ويجاذب أطرافه عشرة ينزعوه من تحت قدميه، فيتفرى الجلد ولا يتزحزح عنه . . دعا رسول الله - ﷺ - الى المصارعة، وقال: إن صرعتنى آمنت بك، فصرعه رسول الله - ﷺ - فلم يؤمن!

وقد انعكست هذه الروح على تلاميذ رسول الله - ﷺ - من الصحابة، فهذا على بن أبى طالب - رضى الله عنه - كان مضرب المثل فى قوة جسمه ومتانة بنيانه، يقول عنه العقاد: «وتدل أخباره كما تدل صفاته على قوة جسدية بالغة في المكانة والصلابة على العوارض والآفات. . فربما رفع الفأس بيده فجلد به الأرض غير جاهد ولا حافل، ويمسك بذراع الرجل فكأنه أمسك بنفسه فلا يستطيع أن يتنفس.

واشتهر عنه انه لم يصارع أحداً إلا صرعه، ولم يبارز أحداً إلا قتله، وقد يزحزح الحجر الضخم يعي بقلبه الأشداء، ويصيح الصيحة فتنخلع لها قلوب الشجعان»(١).

ولقد رأت الشفاء بنت عبد الله بعض الفتيان يمشون متماوتين، فقالت في دهش: ما هؤلاء؟

فقيل لها: نساك . .

فقالت: لقد كان عمر اذا مشي أسرع، واذا تكلم أسمع، وإذا ضرب أوجع، وكان الناسك حقاً . .

فقوة الجسم وقوة الإيمان وجهان لعملة واحدة هي الإسلام، والخشوع في القلوب وليس في الرؤوس كما قال عمر - رضى الله عنه - .

والإسلام يدعوكم يا شباب إلى الأخذ بأسباب القوة، قوة الجسم وقوة الروح، فالمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير. . .

---

(١) عبقرية الامام على.

وإننا باسم الإسلام نناشد الحكومات المسلمة أن تجعل «التربية العسكرية الإسلامية» مادة إجبارية في مدارسها وجامعاتها حتى نستثمر طاقات الشباب، ونبث فيهم روح البطولة وأخلاق الرجولة في عالم لا يصغي إلا إلى منطق القوة..

وكل شعب ضائع حقه سدى
اذا لم يؤيد حقه المدفع الضخم

* * *

الرياضة ومكانتها في الإسلام

ممارسة الرياضة هي توجيه من توجيهات الله ـ عز وجل ـ لنبيه وللمسلمين على مر العصور، نجد ذلك جلياً في قول الله عز وجل:

﴿وأعـدوا لهم ما استـطاعتم من قوة ومن ربـاط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾(١)(صدق الله العظيم. .

فالأستعـداد للحرب يمنع الحرب، والله يأمر المسلمين باعداد القوة بجميع صنوفها ولو فى حالة السلم، لتبقى الأمة الإسلامية، قوية البنيان، متينة الأركان، مهيبة الجانب، لايطمع فيها طامع، ولايجرؤ على انتهاك حرماتها عدو. .

ولم تذل أمة الإسلام إلا يوم أن تخلت عن هذه الأوامر وتفرغت للهو والعبث. .

وممارسة الرياضة في المجتمع المسلم ليست قاصرة على جماعة معينة، ويتحول بقية الشعب إلى قطعان من المتفرجين والمصفقين والمهرجين، فالإسلام يقيم وزناً للفـرد الـواحد في المجتمع المسلم تماماً كما يقيم وزناً للجماعة المسلمة، ولعلكم تذكرون قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ـ ﷺ ـ فى غزوة العسرة، وكيف كان العقاب؟ وكيف كانت الدروس والعبر؟ حتى تاب الله عليهم. .

ومـاذا يؤثر ثلاثة أو خمسة أو مائة فى جيش قوامه ثلاثون ألف مقاتل؟ ولكنه الإسلام الذي يحترم الفرد ويؤكد ذاته ويجعله قيمة مؤثرة في المجتمع. .

ومن ثم فإننا ندرك السر في أجازة رسول الله للشباب الذين بلغوا الخامسة عشرة ليقتحموا ميدان الوغى، فكان إذا رد أحدهم قيل له: يارسول الله. . إنه رام، وإذا رد الآخر قالوا: يارسول الله. . إنه يصرع فلاناً، وقد اعتمد على قيادة الشاب أسامة بن زيد ـ كما قد علمتم ـ لأنه رباهم وصنعهم صناعة إسلامية غير قابلة للمنافسة. .

وبهذه النظرية التي وضع أصولها الإسلام، ينادي اليوم علماء النفس، ينادون بأن الشباب في مرحلة المراهقة يحتاج إلى أن يثبت ذاته، والرياضة في هذه الفترة

(١) الأنفال: ٦٠

بالـذات متنفس جيد لتحقيق الشخصية وإثبـات الذات، فإذا لم توجه طاقات الشباب إلى مثل هذه الميادين، فقد يجنح الشاب إلى عصابة إجرامية تقوم بأعمال ترضى طموحه، ويثبت بها وجوده، وقد يمارس عادة التدخين ظناً منه أن هذا إنما هو من سمات النضج، ودلائل الرجولة، وعلامات البطولة . . هكذا يقرر علماء النفس . .

والإسلام يكره الميوعة والتحلل . . يكره الشباب الناعم . . الشباب الذى يجرح خده خطرات النسيم، ويكره المجتمعات التى تشبه غثاء السيل . . المجتمعات التى يصحو الشباب فيها على صراخ الجنس، وينام على هدهدة الشهوات . .

ولو كان شباب رسول الله ـ ﷺ ـ كعامة شبابنا لظل الإسلام محجوراً عليه وقابعاً بين جبال المدينة، ولكن تربية الأرواح المؤمنة كانت تسير جنباً إلى جنب مع تربية الأجسـاد واعـداد القـوة، فمن معركة إلى معركة ومن سرية إلى غزوة إلى مهمة فدائية . . وكان إذا استقر المقام برسول الله وصحابته، فسباق بين الخيل والأبل، ومران على تسديد النبل، ومعسكرات ومناورات لرفع كفاءة الجند القتالية، حتى إذا جد الجد كانوا الفرسان البواسل الذين لاتنكس لهم راية . . وحسبي في هذا المجال أن أعرض على سبيل المثال لا الحصر بعض النماذج التي تعكس مدى مكانة الرياضة والفروسية في الاسلام :

● **الرمـــــــي :**

اهتم الإسلام بالرمي رياضة واعداداً للمعارك، ولايخفي علينا ما للرمي من مكـانـة خطيرة في الحروب على العصور وخاصة في العصر الحديث . . فضرب المدفعية رمي، والقذف بالطائرات رمي، وانطلاق الصواريخ إلى أهدافها رمي . .

ولقد نبه النبي ـ ﷺ ـ إلى خطورة هذا النوع من الرياضة، وأثره في ميادين القتال، فعن عقبة بن عامر ـ رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ وهو على المنبر يقول : «وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة . . ألا إن القوة الرمي، ألا إن

القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي» (١)

وقال: «إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه المحتسب في عمله الخير، والرامي به، والممد به، فارموا وأركبوا، وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا» (٢)

وعن سلمة بن الأكوع قال: مر النبي - ﷺ - بنفر من أسلم ينتضلون بالسوق، فقال: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً، أرموا وأنا مع بني فلان» قال: فأمسك أحد الفريقين بأسهمهم فقال رسول الله - ﷺ - : «مالكم لاترمون؟» فقالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال: «أرموا وأنا معكم كلكم»(٣).

حتى اللهـو في الإسلام، فإنه اللهو النافع، وليس اللهو الخليع الذي يهدم ماشيدته روح الجد.. فنجد رسول الله - ﷺ - يرغب فى الرمي كوسيلة للترفيه فيقول: «عليكم بالرمي فإنه خير لهوكم»(٤).

* * *

● **المصارعـــــة** :

سبق أن ذكرنا مصارعة النبي - ﷺ - لركانة وغيره، ولكننا هنا نلفت الأنظار إلى أن المصارعة التي يرغب فيها الإسلام ويحض الشباب عليها ليست مثل المصارعة الأمريكية أو الأنجليزية التي تعرض على الشاشات فهي أشبه بعراك الحيوانات في غابة، وهي بالقطع تعكس نفسيات هذه الشعوب..

فهذه المصارعة ليس فيها مسحة من فن أو خلق رياضى.. نعم فيها القوة، ولكنهـا القوة على طريقة الحيوان، وإلا فما معنى الانتصار على الخصم بالضربة القاضية؟ ومامعنى أن تسفر بعض المباريات عن قتل أحد المصارعين أو إصابته بعاهة مستديمة؟ أية رياضة هذه؟!

---

(١) رواه مسلم. (٢) رواه أحمد وأبو داوود وغيرهما

(٣) رواه البخاري. (٤) رواه البزار والطبراني.

إننـا نريد مصـارعـة فيهافن.. فيها خلق رياضي، فيها استعراض مهارات وكفاءات، وليس مصارعة أشبه ماتكون بمصارعة الثيران!!

* * *

● **الفروسـيــــــة** :

من أجمل أنواع الرياضة - ومازالت -الفروسيةحتىالآن، تحتل مكانة بارزة بين الألعاب الرياضية على مستوى العالم، فتعقد لها المسابقات المحلية والعالمية، وقد بلغ العرب فيها شأوا لايدرك، واعتنوا بالخيل وأنسابها وأوصافها..

ولقد أقسم بها الحق - تبارك وتعالى - في كتابه تنويهاً بعظيم شأنها فقال:

﴿والعـاديات ضبحا. فالموريات قدحاً. فالمغيرات صبحا. فأثرن به نقعاً. فوسطن به جمعاً. أن الإنسان لربه لكنود﴾ (١)

وقد عقد رسول الله - ﷺ - بين الخيل مسابقات للمسافات الطويلة والقصيرة، عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: «سابق رسول الله - ﷺ - بين الخيل التي قد أضمرت فأرسلها من الحفياء وكان أمدها ثنية الوداع - ستة أميال أو سبعة - وسابق بين الخيل التي لم تضمر، فأرسلها من ثنية الوداع، وكان أمدها مسجد بنى زريق - ميل أو نحوه - وكان ابن عمر ممن سابق فيها»**(٢)**

وهكذا نجد في هدي رسول الله - ﷺ - المنهج التربوي الصحيح لتربية أجيال تستحق عن جدارة أن تكون ذرية لخير أمة أخرجت للناس..

تأمل هذا المنهج الفذ:

يقول النبي - ﷺ - : «كل شىء ليس فيه ذكر الله فهو لغو وسهو ولعب، إلا أربع خصال: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشيه بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة»**(٣)**

---

(١) العاديات: ١ - ٦.

(٢) من حديث رواه البخاري

(٣) أخرجه النسائي والطبراني

وعلى نفس المنهج الذي سنه رسول الله ـ ﷺ ـ في تربية الأجيال المؤمنة سار خلفاؤه وصحابته من بعده. . يقول عمر بن الخطاب ـ رضى ـ الله عنه ـ : علموا أولادكم العوم والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً، ورووهم مايجمل من الشعر».

● **العـــــدو :**

والعدو من أنواع **الرياضة** المفيدة للجسم، فممارسته تقوي القلب، وتنشط الدورة الدموية، وتكسب الجسم كفاءة عالية فى الخفة وسرعة الحركة خاصة في ميادين اللعب. .

وكان النبي ـ ﷺ ـ يشجع صحابته على ممارسة هذا النوع من الرياضة بل كان يمارسه بنفسه:

عن سلمة بن الأكوع قال: بينما نحن نسير، وكان رجل من الأنصار لايسبق أبداً، فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ قلت: أما تكرم كريمًا وتهاب شريفاً؟ قال: لا، إلا أن يكون رسول الله ـ ﷺ ـ قال: قلت: يارسول الله، بأبي أنت وأمي، ذرني أسابق الرجل، فقال: «ان شئت» فسبقته إلى المدينة(١).

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: سابقني رسول الله ـ ﷺ ـ فسبقته حتى إذا أرهقني اللحم سابقني فسبقني. فقال: «هذه بتلك» (٢).

وهذا الحديث القليل في مبناه الضخم في معناه يستحق منا أن نقف عنده ملياً لنرتشف من رحيقه الصافي وأدبه العالي، ولنصحح بعض المفاهيم الخاطئة التي تضاف إلى رصيد المسلمين اليوم. .

أولاً ـ هل علمت في أية ظروف وقعت مسابقة رسول الله لعائشة؟ لقد وقعت فى سفر كان الصحابة فيه مع النبي، فقال لهم «تقدموا» فتقدموا وتركوه مع زوجته. .

---

(١) رواه مسلم. (٢) رواه أحمد وأبو داوود

النبي . . خير من حملت الغبراء وأظلت السماء . . النبي . . العظيم القدر، الكبير النفس، الواسع الصدر، يمازح زوجته، يريد أن يجبر خاطرها، ويرفع من روحها، ويكسر (روتين) الحياة الزوجية . . يريد أن يضع بعض التوابل التي تجعل للحياة الزوجية طعمًا، ويشحنها بالعواطف النبيلة حتى تواصل سيرها بأمان تحت سماء الحب الكبير . فيقول لزوجته عائشة «سابقيني» فتسابقه، ولعله تظاهر بأنه لايقدر على اللحاق بها كنوع من المداعبة البريئة التي تزكي أحاسيس الحب ومشاعر المودة والرحمة . .

بأبي أنت وأمي يارسول الله، لم تشغلك الرسالة على ضخامتها، ولامعارك الإسلام على جسامتها، لم يشغلك ذلك عن حقوق زوجاتك عليك، فتنزل إلى مستوى عقولهن، وتخاطب المرأة باللغة التى تحسن فهمها . . ولولا أنك نهيت عن اطرائك لقلت: ﴿**ماهذا بشراً أن هذا الا ملك كريم**﴾ (١) صلوات الله وسلامه عليك ياسيدي يارسول الله . .

ثانياً : هل علمت أن النبي عندما سابق عائشة كان قد تجاوز الخمسين من عمره؟ وللأسف أن الناس اليوم يعدون الرياضة ترفاً، ويتهمون من يمارسها بأنه لايجد شغلاً يشغله، ولاشك أن هذا أثر من آثار الترف والكسل الذي غرق فيه المسلمون، وراحوا في سبات عميق حتى سبقهم غيرهم، وانتزع منهم قيادة ركب البشرية . .

ولو أن الناس اليوم رأوا رجلاً في الخمسين بل في الأربعين من عمره يمارس الرياضة لاتهموه بالجنون والخبال، وبأنه عجوز يتصابى، «وبعد ماشاب ودوه **الكُتّاب**». من أماثيل الهدم التي خلفتها عصور الانحطاط والبعد عن هدي الله وسنة رسوله - ﷺ - ولم يدر هؤلاء الغافلون أن النبي - ﷺ - كان يسابق عائشة بعدما جاوز الخمسين من عمره، ولم يعلموا أنه جعل بعض أنواع الرياضة واللهو عبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه . .

* * *

(١) يوسف : ٣١.

● رياضـــة النســـــاء :

هل للمرأة أن تمارس الرياضة؟

نعم . .

فالإسلام دين الاحساس، ودين الجمال، والكمال، والرشاقة والأناقة، وعامة النساء عندنا لايمارسن الرياضة الا بين جدران أفنية المدارس أيام التلمذة . . وهذه تضم إلى آفات النساء . . ولماذا أقول آفات النساء فقط بل وآفات الرجال أيضاً . .

فالإسـلام يحض المـرأة على التحبب إلى زوجهـا، وأن تبدو له دائمًا كالزهرة المتفتحة في أكمامها، وضاءة وجه، ورشاقة قوام، ونظافة هندام . . وكذلك الرجل.

والمرأة أحوج ماتكون إلى الرياضة بعد الزواج، وبخاصة في أوائل فترة الحمل حيث أن هنـاك تمارين رياضية معينـة تمارسها المرأة الحامل حتى تساعدها على الولادة الطبيعية . . ولننقل مايؤيد كلامنا من أولى الذكر . .

تقول دائرة المعارف الطبية الحديثة :

«ليس هناك دليل مقنع على أن النشاط البدني يضر النساء في أثناء الطمث، أو يؤثر في الدورة الحيضية، أو يزيد في آلامها، بل انه ليساعد أحياناً في تخفيف هذه الآلام . .

وليس من الضروري أن يمنع الحمل المرأة من مزاولة جميع الألعاب . . وينصح أغلب الأطبـاء مرضـاهن الحـوامل أن يهجرن الرياضة العنيفة الأخري، لأنها تعرض للوقوع الذي قد يغير وضع الجنين أو يسبب الاجهاض . .

وعلى العكس من ذلك فإن تقوية عضلات البطن عند ممارسة الرياضة قد تقصر وقت الوضع، وتقلل ألم الولادة، وينصح كثير من الأطباء بممارسة الرياضة التي تقوي جدار البطن في أثناء الحمل (١).

فالرياضة مطلوبة من المرأة ولاحرج عليها في ممارستها، ولكن الإسلام يحرم

(١) الموسوعة الطبية الحديثة ج ١ ص ١٤٥.

عليها تحريمًا قاطعاً أن تظهر شيئاً من عورتها أمام الأخريات ، أو تبدو أمام أي رجل أجنبي عنها وهي تمارس الرياضة تحت أي شعار كان . .

يطيب لنا أن نعرض - في هذا المجال - فقرات من بحث قيم لابن القيم يتحدث فيه عن هدى النبي - ﷺ - فى تدبير الحركة والسكون، وعن الرياضة وأنواعها في الإسلام، ثم نعرض بعد ذلك بعض نتائج البحوث العلمية في هذا المجال ليتبين لنا مدى أستجابة الإسلام وشموله لكل ماتتطلبه البشرية فى رحلتها على هذه الأرض. .

بعد أن بين ابن القيم أن هدي النبي - ﷺ - في الرياضة مطابق لأكمل أنواعها وأحمدها وأصوبها، وبعد أن أكد على أهمية الرياضة في طرد الرواسب الضارة من الجسم يقول:

«والحركة أقوى الأسباب في منع تولدها - أي الرواسب الضارة - ، فإنها تسخن الأعضاء، وتسيل فضلاتها، فلا تجتمع على طول الزمان، ويعود البدن الخفة والنشاط، ويجعله قابلاً للغذاء، ويصلب المفاصل، ويقوي الأوتار والرباطات، ويؤمن جميع الأمراض المادية، وأكثر الأمراض المزاجية - إذا استعمل القدر المعتدل منها فى وقته، وكان باقي التدبير صواباً. .

«ووقت الرياضة: بعد انحدار الغذاء وكمال الهضم. والرياضة المعتدلة هي التي تحمر فيها البشرة وتربو، ويتندى فيها البدن. . وأما التي يلزمها سيلان العرق، فمفرطة. وأي عضو كثرت رياضته قوي وخصوصاً على نوع تلك الرياضة، بل كل قوة فهذا شأنها: فان من استكثر من الحفظ قويت حافظته، ومن استكثر من الفكر قويت قوته المفكرة، ولكل عضو رياضة تخصه: فللصدر القراءة، فليبتدىء فيها من الخفية إلى الجهر بتدريج، ورياضة السمع: بسمع الأصوات والكلام بالتدريج، فينتقل من الأخف إلى الأثقل. وكذلك رياضة اللسان في الكلام. وكذلك رياضة البصر، وكذلك رياضة المشي بالتدريج شيئاً فشيئاً. .

«وأما ركوب الخيل، ورمي النشاب، والصراع، والمسابقة على الأقدام - فرياضة للبدن كله، وهي قالعة لأمراض مزمنة: كالجذام والاستسقاء والقولنج . .

«ورياضـة النفـوس: بالتعليم والتـأدب، والفرح والسرور، والصبر والثبات والإقدام، والسماح وفعل الخير، ونحو ذلك مما ترتاض به النفوس، ومن أعظم رياضتها: الصبر والحب والشجاعة والإحسان، فلا تزال ترتاض بذلك شيئاً فشيئاً حتى تصير لها هذه الصفـات هيآت راسخة، وملكات ثابتة..

«وأنت إذا تأملت هديه - ﷺ - في ذلـك وجدته أكمل هدي حافظ للصحة والقوي ونافع في المعاش والمعاد..».

«ولاريب أن الصـلاة نفسهـا فيهـا من حفظ صحة البدن، وإذابة أخلاطه وفضلاته - ماهو أنفع شيء له، سوى مافيها من حفظ صحة الإيمان وسعادة الدنيا والآخرة.. وكذلك قيام الليل: من أنفع أسباب حفظ الصحة، ومن أمنع الأمور لكثير من الأمـراض المزمنة، ومن أنشط شيء للبدن والروح والقلب، كما في الصحيحين، عن النبي - ﷺ - قال: «يعقد الشيطان، على قافية رأس أحدكم - إذا هو نام - ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة. عليك ليل طويل فارقد. فان هو استيقظ فذكـر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة ثانية، فإن صلى انحلت عقده كلها، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»(١).

ويستطرد ابن القيم فيقول:

«وفي الصوم الشرعي: من أسباب حفظ الصحة، ورياضة البدن والنفس - مالايدفعه صحيح الفطرة..

وأما الجهاد ومافيه من الحركات الكلية التي هي من أعظم أسباب القوة، وحفظ الصحة، وصلابة القلب والبدن ودفع فضلاته، وزوال الهم والغم والحزن، فأمر إنما يعرفه من له منه نصيب.. وكذلك الحج وفعل المناسك، وكذلك المسابقة على الخيل بالنصال والمشي في الحوائج وإلى الأخوان، وقضاء حقوقهم، وعيادة مرضاهم وتشييع جنـائـزهم، والمشي إلى المسجـد للجمعات والجماعات، وحركة الوضوء والأغتسال وغير ذلك..

---

(١) حديث شريف.

«وهذا أقل مافيه : الرياضة المعينة على حفظ الصحة، ودفع الفضلات وأما ماشرع له من التوصل به إلى خيرات الدنيا والآخرة، ودفع شرورهما ـ فأمر وراء ذلك . .

«فعلمت أن هديه فوق كل هدي في طب الأبدان والقلوب، وحفظ صحتها، ودفع أسقامها . . ولامزيد على ذلك لمن قد أحضره رشده» .*

ونعرض الآن من حديث الطب عن الرياضة مايزيدنا إيماناً ويقيناً بعظمة هذا الدين القيم الذي سبق كل ماتتمخض عنه العقول ـ بعد طول بحث وعناء ـ في جميع مايتعلق بالإنسان، جسمًا وروحاً .

﴿وخلق كل شىء فقدره تقديراً﴾(١) .

يقول الدكتور أمين رويحة :

لاتقل أهمية ممارسة الرياضة أو الأعمال الجسمانية المنظمة المستمرة للاحتفاظ في سن الشيخوخة بالشباب ـ عن أهمية الغذاء . . وقد لاتجد بين الذين بلغوا سن (٥٠) وهم في صحة جسمانية وعقلية جيدة ـواحداً لم يسبق له أن مارس نوعاً من أنواع الرياضة، وبالفحص الطبي يشاهد دائمًا كيف أن حالة الرياضي الصحية والبيولوجية في سن متقدم ـ تعادل من هو أقل منه سناً بنحو عشر سنوات من غير الـرياضيين، وفي فحص طبي عام أجرى لمجموعة من الرياضيين سنة ١٩٥٢ يثبت أن الحالة الصحية للرياضى في السبعين (٧٠) تفوق الحالة الصحية لابن الأربعين (٤٠) من غير الرياضيين . .

فالجسم الذي يمارس الرياضة يحتفظ بمرونته وشباب منظره، وحركاته حتى نهاية العمر . . والجسم الذي حرم من ممارسة الرياضة لسبب ما، يستطيع في سن الشيخوخة أن يتدارك بعض مافاته من فوائدها بممارسة أعمال جسمانية كالاشتغال يومياً في الحديقة، أو المشي مسافة معقولة، أو ممارسة البعض من أنواع الرياضة المقوية للعضلات . . على ألا تصل في كل حال من الأحوال إلى درجة التعب . .

---

* زاد المعاد ج ٤ ص ٢٤٧ . طبعة مؤسسة الرسالة .

(١) الفرقان : ٢ .

والرياضة في جميع أنواعها ليست مضيعة للوقت، أو وسيلة للتسلية كما يظن البعض، بل طريق لصحة جيدة، فهي تطرد الرواسب الضارة فيالجسم، وتقوي عضلاته، وتزيد من نشاطه وقدرته على الانتاج . . والمصانع والشركات الكبرى التي توفر لموظفيها ومستخدميها وسائل ممارسة الرياضة البدنية لاتخسر شيئاً في دفع التكاليف المادية لذلك، لأنها تسترده من زيادة الطاقة الجسمانية لديهم، وبالتالي من زيادة انتاجهم في العمل . .

والمعروف أن أفراد الشعب الاسترالي أحسن الشعوب الانجليزية صحة وأشدهم نشاطاً، وأن الجنود منهم معروفون بشجاعتهم، وقدرتهم على تحمل مشاق الحروب وأعبائها، ويعود السبب فى ذلك إلى أنه قلما يوجد في الشعب الاسترالي فرد واحد لايمارس نوعاً أو نوعين من أنواع الرياضة . .

وليس المطلوب في حال الشيخوخة إحراز بطولات عالمية أو ضرب أرقام قياسية بل أنه لايعدو الممارسة المبكرة واستمرارها باستمرار الحياة(١).

(١) شباب فى الشيخوخة للدكتور أمين رويحة ص ٧٨، ومابعدها.

للإسلام كلمة في كرة القدم

وما أدراك ما هي؟

انها الهوس المتسلط على عقول الأجيال في العصر الحديث..

من أجلها تقام المعارك، وتنشب الحروب، وتموت الضحايا، ولجلالها تطلق الزوجات، **وتقطع** أواصر القربات، ويطعن الأخ بالسكين أخاه.. ولا حول ولا قوة إلا بالله..!!

ويوم أن تقام مباراة بين فريقين لامعين. **فكأنّ** الحرب الضروس قد أعلنت، ورفعت لها الريات، وأنبرت لها الإذاعات، وهيئت لها الشاشات.. وأعد المشجعون لها الأحجار والسكاكين، والطبول والمزامير، والأناشيد الجماعية والهتافات القوية!

وما أن تنجلي المعركة الحامية عن هزيمة أحد الفريقين حتى ينتقل ميدان المعركة من ساحة الملعب ليكون ميدانها البيوت، والمدارس، والدواوين، ومكاتب الموظفين، والقهوات، وفي المجتمع الصغير، والمجتمع الكبير، وتسفر المعركة عن سقوط الضحايا من الجانبين.. ما أن تهدأ حدتها، وتنجلي غمرتها حتى تبدأ معركة أخرى بمباراة ثانية.. وهلم جرا..

وإذا رفعت صوت المنطق لتناقش أحد هؤلاء المصابين بالهوس الكروى قال بملء شدقيه: «اننى رياضى».

هذه قصتنا مع كرة القدم.. اللعبة المفتري عليها..

وهذا وجه اللعبة المزيف كما يراه شبابنا..

وأما الوجه الحقيقى لهذه اللعبة، فاننا - إذا فهمنا روح الإسلام ومنهجه في بناء المجتمعات - نجد أن كرة القدم من الألعاب التي يزكيها الإسلام وتزكيها تعاليمه.. فهي مدرسة تعلم دروساً في التجمع لا فى التشتيت، وفي الوحدة لا في التفرق، وفي الود لا في التباغض والعداوة.. اللعبة التي تؤكد أن الاهداف لا يمكن أن تتحقق إلا بالروح الجماعية، وأن الفرد قليل بنفسه كثير بأخوانه..

وإني أسأل هذا الذي يرفع راية التعصب الأعمى، ولا يفهم من الرياضة إلا أسمها أسأله هذا السؤال: هل يستطيع اللاعب الأناني أن يحقق هدفاً وحده مهما كانت كفاءتة؟..

كلا..

لأن الكرة ستتعثر في قدمه، وسيستولى عليها الفريق الآخر.. والفريق الذي يحقق الأهداف النظيفة هو الفريق الذي يلتزم بروح الجماعة..

هل وعينا الدرس من مدرسة الكرة التي نتعصب لها..؟

هل يعلم الحكام والجماهير المسلمون أن روح التفرقة والأثرة والاستبداد بالرأى ـ تقود في النهاية إلى الهزيمة المنكرة على مسرح البطولة فى كل الميادين؟

للأسف نحن لم نع الدرس.. قلبنا الغاية إلى وسيلة والوسيلة إلى غاية، وآمنا بالشكل وكفرنا بالمضمون، وهمنا بالمظهر وألقينا الجوهر وراء ظهورنا..

ما معنى أن أعبد نادياً وأتعصب له؟

معنى ذلك أنني ضحل التفكير، ضيق الأفق، أناني بالطبع، مستبد برأى، لا أفهم شيئاً عن الروح الرياضية، ولا أجيد من أنواع الرياضة إلا التصفيق الأرعن والهتاف المحموم..

إننا لا نحجر عليك أن تنتمي إلى ناد وتشجعه.. نحن معك.. ولكن هناك فرق كبير بين التشجيع والتعصب، ولغة الحجارة والطوب، ولغة الروح الرياضية التي تعلمنا أن نبتسم عند الهزيمة ونتواضع عند النصر، وتعلمنا أن الأيام دول.

فيوم علينا ويوم لنا ويم نساء ويوم نسر

إن رسول الله ـ ﷺ ـ يضع لنا المثل الأعلى في الروح الرياضية، فليتنا نعي الدروس والعبر!!

عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: كانت العضباء (ناقة النبي) لا تسبق، فجاء أعرابي على قعود له فسابقها فسبقها.. وكأن ذلك شق على أصحاب النبي ـ ﷺ ـ.

ولكن المربى العظيم ينتهز الفرصة ليعلمهم الروح الرياضية ويعطيهم درساً في

أن الجلوس على القمة في الدنيا لا يدوم لأحد، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن حقاً على الله ـ عز وجل ـ ألا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه . . »(١)

أسأل الله لى وللمتعصبين العفو والعافية والشفاء من كل داء!!

* * *

(١) حديث شريف.

فضل العلم وشرفه

لم يحفل دين من الأديان بالدعوة إلى العلم مثلما حفل الإسلام، ولم يكن مصادفة أن تكون أول آية ينزل بها الوحي على رسول الله - ﷺ - تتحدث عن المعرفة وأدواتها من قراءة وقلم وعلم . .

●اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم. علم الانسان ما لم يعلم»(١).

ولقد أقسم الله - عز وجل - بالقلم وشرف الكلمة التي يخطها القلم إعظاماً وإجلالا وتشريفاً للعلم فقال:

«ن ، والقلم وما يسطرون. ما أنت بنعمة ربك بمجنون»(٢).

بل جعل مرتبة العلماء تلي مرتبة الملائكة مباشرة، وقصر خشيته على هؤلاء العلماء الذين يطلعون على أسرار آيات الله في الكون، فقال تعالى:

«شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط»(٣).

«انما يخشى الله من عباده العلماء»(٤).

وأعتقد أنه ليس هناك تكريم للباحث والعالم المخلص الله علمه من أن يجعل المداد الذي يكتب به العالم أفضل من دم الشهيد في ميدان القتال فقد جاء فى حديث النبي - ﷺ -:

«ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، ولمداد جرت به أقلام العلماء خير من دماء الشهداء في سبيل الله»(٥) وقد علق بعض العلماء على هذا الحديث بقولهم: هذا مع أن أعلى ما للشهيد دمه، وأدنى ما للعلم مداده.

(١) العلق: ١ - ٥.
(٢) القلم: ١ ، ٢.
(٣) آل عمران: ١٨.
(٤) فاطر: ٢٨.
(٥) حديث شريف.

ولا نستطيع فى هذا المجال المحدود أن نحصر ما قيل فى فضل العلم ومكانة العلماء، وهنـاك كتب قائمـة برأسهـا (١)، تحدثت باسهاب فى هذا المجال. . فلننتقل إلى مبحث آخر من مباحث هذا الفصل. .

* * *

(١) راجع جامع بيان العلم وفضله للقرطبى، وإحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى.

القــراءة والبحث

«قيمة كل امرىء ما يحسنه» ولن تحسن شيئاً إلا بالقراءة، حتى لو كنت محترفاً، فجميع المعارف البشرية فى شتى ميادين الحياة موضوعة في بطون الكتب.

يقـول «الكسنـدر ويبرك»: «لو تحطمت كل الالآت الحديثة، ومعامل الذرة وبقيت المكتبـات، لتمكن رجـال العصر من إعـادة بنـاء هذه الحضـارة الآلية والـذرية.. ولكن لو تحطمت المكتبـات، فان عصر القـوى الآلية وعصر الذرة يصبحان شيئاً من آثار الماضى».

تعبير **أصاب** كبد الحقيقة.. إن الطبيب يفشل فى مهمته ويصبح رسول المـوت إذا لم يثـر معلومـاتـه بالبحث والإطـلاع على آخر ما توصل اليه العلماء والباحثون في مجال تخصصه.. والمدرس إذا لم يتابع القراءة فانه لن يبقى في ذهنه إلا بقية من بقية من معلومات قابعة في زاوية من زوايا عقله «لزوم المهنة».. وهكذا كل موظف لا يحترم ذاته ولا يخلص في عمله!

فالكتاب هو النافذة التي تطل منها على الحياة، بل الكتاب هو الحياة «والناس موتى وأهل العلم أحياء».. وان أعظم من تحدث عن الكتاب هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وننقل بعضاً مما قاله في الكتاب يقول:

«والكتـاب هو الذي إن نظرت فيه أطال إمتاعك، وشحذ طباعك، وبسط لسـانك، وجود بيانك، وفخم الفاظك، ونجح نفسك، وعمر صدرك، ومنحك تعظيم العوام، وصداقة الملوك، وعرفت به في شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر..».

ولقد كان للكتاب عند العلماء المسلمين مكانة لا نعرفها من التاريخ لغيرهم، ولا غرو فالحضارة الغربية التي تنعم بها البشرية اليوم ـ في جانبها المادي ـ ما هي إلا ثمرات ناضجة لبحوث العلماء المسلمين في شتى الميادين العلمية..

يقول العلامة «ول ديور انت» فى كتابه «قصة الحضارة»:

«ولما مات الواقدى، ترك ستمائة صندوق من الكتب يحتاج كل منها إلى رجلين

لحمله، وربما ملك الصاحب بن عباد من الكتب في القرن العاشر ما يقدر حينئذبما كان فى مكتبات أوروبا مجتمعة، وبلغ الإسلام في ذلك الوقت أوج حياته الثقافية، وكنت تجد في ألف مسجد منتشر في قرطبة إلى سمرقند علماء لا يحصيهم العدد، كانت تدوى أركانها بفصاحتهم. . ».

ولقد قرأنا عن ابن سينا أنه لم ينم مدة انشغاله بالعلم ليلة واحدة، ولم يشتغل في النهار ـ بغير المطالعة. .

وقال التاريخ: إن إبن رشد لم يدع النظر والقراءة منذ عقل إلا فى ليلتين: ليلة وفاة أبيه، وليلة بنائه بأهله (زواجه).

وروى عن الحسن اللؤلؤي أنه قال: «لقد غبرت لي اربعون عاماً ما قمت ولا نمت إلا والكتاب علي صدري».

وحكى ابن خلكـان عن إبن شهاب الزهري التابعي والفقيه المحدث قال: «وكان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله فيشتغل بها عن كل شيء من أمور الدنيا، فقالت له امرأته يوماً « والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر».

وحضر الشريف التلمساني ـ من أعلام الفقه المالكي ـ وهو صبي درس الأستاذ أبي زيد ابن الامام، فذكر أبو زيد نعيم الجنة، فقال له الشريف: هل يقرأ في الجنة العلم؟ فقـال أبـو زيد: نعم. . فيهـا ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعـين. فقـال الشريف: لو قلت: لا، لقلت لا لذة فيها. فعجب منه الشيخ ودعا له. .

وقد كان محمد بن الحسن إذا سهر الليالى، وانحلت له المشكلات يقول: «أين أبناء الملوك من هذه اللذات؟ . . ».

وقيل لأبي بكر الخوارزمي عند موته: «ما تشتهي؟» قال: «النظر في حواشي الكتب».

لقد كانت القراءة لهؤلاء العباقرة هي ليلى التي توله لها عقل قيس حتى أن أبا القاسم الزمخشري يشدو بها فيقول:

سهـري لتـنـقـيح الـعـلوم ألذُّ لي
من وصـل غانـية وطـيب عنـاق

وتمايلي طربا لحل عويصة
أشهى وأحلى من مدامة ساقي
وصرير أقلامي على أوراقها
أحلى من الدوكاة والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها
نقري لألقى الرمل عن أوراقي
أأبيت سهران الدجى وتبيته
نوماً وتبغى بعد ذاك لحاقي

إن القارىء يعيش حياته حياتين، بل يغيش عدة أجيال في جيل، فحياته غنية ثرية يغيشها طولا وعرضاً وعمقاً. . يقول الأستاذ العقاد:

«لست أهوي القراءة لأكتب، ولا أهوى القراءة لأزداد عمرا فى تقدير الحساب، وإنما أهوي القراءة لأن عندي حياة واحدة في هذه الدنيا، وحياة واحدة لا تكفيني، ولا تحرك ضميري من بواعث الحركة.

والقراءة دون غيرها هي التي تعطينى أكثر من حياة واحدة في مدى عمر الإنسان الواحد، لأنها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق وإن كانت لا تطيلها بمقادير الحساب»(١).

* * *

---

(١) لماذا نقرأ؟ . . للأستاذ عباس محمود العقاد.

القراءة والبحث ومسئولية المؤسسات التعليمية

القراءة عادة كسائر العادات التي تتكون في الانسان منذ الصغر، والبيت يشترك مع المدرسة في هذه المسئولية، ولكن مسئولية المدرسة أعظم خطراً في هذا المجال. .

وإن المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي لتتحمل مسئولية أمية المتعلمين المنتشرة في طول الوطن الإسلامى وعرضه في جميع التخصصات. .

فنظم التعليم عندنا وضعت أذهان التلاميذ في قوالب جامدة وأساليب آليه، وأصبحت غاية التلميذ أن يحفظ المقررات والمناهج، حتى إذا جاء وقت الامتحان أودع معلوماته ـ بأمانة ـ على ورقة الاجابة، وتنسى المعلومات، ويلقي بالكتاب المدرسى في صناديق القمامة، ويصبح كل منتهى أمله أن يحصل على شهادة (رخصة) لأكل العيش في مجتمعات تنزل الناس منازلهم على قدر شهادتهم لا على قدر عملهم. . !!

أما تحبيب القراءة الى التلاميذ، وتكوين عادات القراءة عندهم منذ نعومة أظفارهم حتى أعلى مستوياتهم ـ فهذا آخر شىء يفكر فيه المسئولون عن التعليم. .

أما المكتبات المدرسية فما هى الا «ديكور» للزينة أو ترف لا قيمة له.

أننا نتساءل ـ في عجب ـ ما الذي يمنعنا من أن نجعل من المكتبة وعلومها وطرق البحث ـ مادة مقررة كبقية المواد. . ؟

وماذا علينا لو فرضنا على كل تلميذ بحثاً فى كل مادة من المواد الدراسية بدون أستثناء ليصبح هذا البحث جزءاً لا يتجزأ من المنهج المقرر؟

ولقد قمنا فى مدرستنا بتجربة نعتقد أنها رائدة فى هذا المجال، فقد كلفنا كل تلميذ بعمل بحث دينى، وجعلنا لهذا البحث درجة كبيرة من درجات الاعمال. وكانت دهشتنا عندما رأينا فى جمهرة كبيرة من هذه البحوث جهوداً ممتازة تنم عن وجود مواهب يمكن أن يكون لها شأن اذا أحسن تعهدها وتوجيهها. .

وهذا العالم الإسلامى الذي يشكل ربع سكان الدنيا . . لم يستفد ـ للأسف ـ من توجيهات القرآن في ميدان العلم والبحث حتى لقد عير العرب بالجهل . .

عندما استضاف التليفزيون البريطاني «موشيه ديان» عقب هزيمة سنة ١٩٦٧ ، وجه المذيع سؤالا يقول فيه : ألم تكن تخشى أن يتعرف العرب على طريقتك في الهجوم من خلال مذكراتك التي نشرتها بعد معركة ١٩٥٦ . حيث «التكتيك» هو «التكتيك»؟

فأجابه بكل بساطة : لم أخف . . لأن العرب لا يقرأون . .

والمتهم الأول في هذا هو مؤسساتنا التعليمية . .

وهنا كلمة صدق جديرة بالتسجيل للدكتور العلامة «فؤاد سزكين» . الحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الاسلامية في عام ١٣٩٩هـ هجرية .

يقول في معرض إجابته عن سؤال حول أزمات العالم الاسلامي وكيفية التغلب عليها :

«إننى أرى أن أزمـات العـالم الاسـلامي كلها في فقدان العلماء الحقيقيين المعروفين ، لأنهم هم الذين يديرون حركة الصراع فى العالم . . إننا فى عصر قيادة العلماء ، لا الجهلاء ولا العساكر . .

«وقد يقول قائل : إن نسبة المدارس زادت ، وإن الجامعات أصبحت كثيرة . . فما إلى هذا قصدت ، وليس هذا هو التعليم الذي أقصد وان ما أقصده هو العلماء الحقيقيون الباحثون ، وليس حملة الشهادات أو المتباهون بكلمة الدكتور أو طلاب الوظائف الاشرافية . .

«إن أسلافنا ما طلبوا العلم لذلك كله ، وللأسف الشديد فإن الحضارة الأوربية قد أخذت عن حضارتنا هذا المنهج بينما انحططنا نحن إلى مستوى جعل العلم مجرد وسيلة لتحقيق أغراض ومنافع شخصية . .

«وأكثـر الجـامعـات لم تحقق المستوى العلمي ولا الحضارى المنشود . . وأكثر الجـامعات في العالم الاسلامي لم تلحق بالتقدم العالمي ولا الحضاري وليس لها مكانة علمية ، وليست قادرة على تكوين علماء وباحثين حقيقيين . . . » .

ونحن نردد مع الدكتور «سزكين» بأن العصر هو عصر العلم والعلماء الباحثين، وليس عصر الجهلاء والعساكر، وأن الله لن يعذرنا بجهلنا، ومن العار أن يعيش العرب والمسلمون عالة على ما تنتجه العقول غير المسلمة في جميع ميادين الحياة . .

ومن ثم فإننا نطالب بانقلاب وثورة في نظم التعليم عندنا حتى نستطيع التعامل مع العالم باللغة التي يحسن فهمها . . ألا وهي لغة العلم . .

* * *

ماذا تقرأ وكيف تقرأ؟

قيل لأرسطو: كيف تعرف إنساناً؟ قال: أساله: ماذا يقرأ؟ وكيف يقرأ.

فعلا.. فنوع القراءة وطريقتها تحدد جانباً كبيراً من شخصية الإنسان.. ولقد عرفت كثيراً من زملائي ونحن مازلنا بعد طلبة في الصفوف الثانوية الأزهرية.. عرفتهم يقرأون كثيراً.. ولكن للأسف لم نكن نرى ثمرة لهذه القراءة لا في أساليبهم، ولا في مناقشاتهم العلمية.. وبالطبع فان ذلك راجع الى أن طريقة القراءة طريقة فاشلة خاطئة..

نعود إلى السؤال الأول: ماذا أقرأ؟ نحن بالطبع لن نحدد لك بالضبط ماذا تقرأ، وإلا لكنا كمن يريد أن يصب عقول الناس في قالب واحد لتكون نسخاً متشابهة من كتاب واحد كما تفعل وسائل الإعلام..

ولكننا سنحاول أن نضع لك معالم على الطريق، وأنت عليك أن تكمل الطريق بنفسك..

إذا كنت بعد لم تتكون عندك عادة للقراءة، فلا تيأس، وابدأ من الآن فالطريق **الذي طوله** ألف ميل يبدأ بخطوة واحدة..

ابدأ أولا بقرأة الكتب المبسطة.. المبسطة في كل مجالات المعرفة سواء منها الدينية أو العلمية أو الادبية، وأمامنا الآن قائمة بسلاسل لهذه الكتب المبسطة، ولكننا سنترك ذلك لذوقك واختيارك، أو لاستشارتك لمعلمك أو أمين مكتبتك، وذلك لأنك ربما لا تعثر على هذه الكتب حيث أنت، وربما يكون قد برز على مسرح المعرفة دراسات أقوى مما يمكن أن نسوقه اليك والمهم أن تبدأ..

ولا شك أنك بقراءتك لهذه الكتب المبسطة ستشعر بأنك أضفت الى نفسك جديداً من المعرفة، وستلاحظ أن القرأة قد انعكست على أسلوبك في كتابتك وفي مناقشتك، وفي مقالاتك في الصحافة المدرسية أو الجامعية بل في شتى مجالات الحياة.. وانظر حولك الى الأعلام من العلماء والأدباء والمفكرين.. ما المؤهلات التى وضعت كلاً منهم فى مكانته؟

الاجابة: القراءة، ثم القراءة، ثم القراءة. . .

وأذكر أننى منذ سنوات كنتُ أصحح إجابة سؤال التعبير في إحدى الشهادات العامة. وبعد ما قرأت الموضوع، وجدت أنه يتحدث أن صاحبه قارىء جيد، وصممت على أن يأخذ الطالب الدرجة النهائية. . وهكذا فالكتابة الجيدة تنم عن القارىء الجيد. .

وتظل مدمنا على قراءة هذه الكتب المبسطة حتى تصير القراءة عندك ملكة، وعندئذ ستجد أنك تلقائياً تميل الى نوع من القراءة المتخصصة، ولكن هذا لا يعنى أن تهمل الجوانب الأخرى للمعرفة. .

وينبغى عليك قبل أن تبدأ صولاتك وجَولاتك مع أنواع المعارف ينبغى عليك أن تتعمق بعض الشىء فى القراءة الدينية وتطلع على حكم الإسلام فى مختلف القضايا، وكيف عالج مشكلات العصر، ولا أقول لك تعمق لتكون كأبى حنيفة والشافعى. . بل تعمقاً يكون عندك شيئاً إسمه (الذوق الإسلامى) الذي لا بد أن يتسلح به كل شاب مسلم يريد أن يلج ميادين المعرفة من أوسع أبوابها، لأنه ليس كل ما كتب وطبع أصبحت له القداسة المطلقة، ولأنك ستجد في هذا العالم من الغرائب والعجائب واالشطحات الفكرية، ما لا يمكن أن يعصمك من الوقوع في براثنه سوى الذوق الإسلامى الذى إكتسبته من مطالعاتك الدينية، وهذا الذوق بمثابة التطعيم الفكري ضد عدوى الأمراض الفكرية. .

كذلك أنصحك بالابتعاد عن كتب الجنس الرخيصة، لأنها ستشتت فكرك، **وتضيع وقتك، وتبدد طاقتك فى غير نفع. .**

ونأتى إلى إجابة السؤال الثاني:

كيف أقـــرأ؟. . .

وهنا بيت القصيد، ونقول لك:

اعلم ـ وفقك الله ـ أن مثل القارىء الذي لا يسجل مما يقرأ كمثل الراقم على الماء، والنافخ فى الرماد، ومن يدور فى حلقة مفرغة. .

وقد ضربت لك المثل آنفاً بالزملاء المدمنين على القراءة، ولكنهم لم يجنوا من

ثمارهـا شيئاً يذكر، لأن المعلومات ينسى بعضها بعضاً، وإذا بقى شيء منها في الذهن، فانها بقية باهتة لا تغني صاحبها شيئاً، ولا تسعفه عند الطلب . .

ولقد فطن أساطين العلماء العرب إلى هذا الأسلوب، فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ: «قيدوا العلم بالكتاب» وقال الخليل بن أحمد: «ما سمعت شيئاً إلا كتبته، ولا كتبته إلا حفظته، ولا حفظته إلا نفعنى» وسأعرض عليك طريقتين لست ملزماً بهما، وإنما ـ كما قلت لك ـ هى معالم على الطريق:

الطريقة الأولى: هى طريقة «ثمرة القراءة»: وهى أنك إذا فرغت من قراءة أي كتاب فاستحضر سجلا خاصاً، وأمام الأهداف الآتية دون رأيك فى صدق وصراحة.

١ ـ موضوع الكتاب: تاريخي ـ ديني ـ قصصي ـ طب ـ إجتماع ـ فنون . . .

٢ ـ ملخصه: في إيجاز واختصار (أو نقل أفكار وعبارات أعجبتك).

٣ ـ لغته: عربية فصيحة، دارجة (عامية)، للخاصة، للعامة، لهما معاً . .

٤ ـ أسلوبه: سليم، ركيك، قوي، عاطفي، قصصي، حواره: شعر، نثر، مزيج من الشعر والنثر . .

٥ ـ ألفاظه: منتقاة، صعبة، سلسة، سهلة . .

٦ ـ الحكم عليه: جيد، ردىء . .

٧ ـ فكرته: عالية، هزيلة، واضحة، غامضة . .

٨ ـ قدرة الكاتب على التحليل . .

٩ ـ طريقة عرضه: جذابه، شائقة، مملة . .

١٠ ـ الأثر الذي تركه فى نفسك . .

١١ ـ أحسن فقرة فيه: دوِّن الفقرات التي استهوتك في أثناء القراءة، وأحسست بمتعة في تكرارها . .

الطريقة الثانية: طريقة السجلات المتخصصة . .

يقوم القارىء بإعداد سجل خاص لكل فرع من فروع المعرفة، فعلى سبيل المثال يعد سجلا للمعارف الدينية، وثانياً للمعارف الطبية، وثالثاً للشعر، ورابعاً

للحكم، وخامساً للتعبيرات الرائعة. . . . وهكذا.

نفرض أنك قرأت كتاباً يضم هذه المعارف كلها، ورغبت فى تدوين بعض المعلومات للاحتفاظ بها. . قم بتدوين كل فرع من هذه الفروع فى سجله الخاص به، ولا تنسى أن تسجل في آخر المعلومات أو في أولها أسم الكتاب ومؤلفه والعام الذى طبع فيه ودار النشر التي قامت بنشره، ويمكن أن تضيف من معلومات الطريقة الأولى الى هذه الطريقة ما تجده مناسباً لك. .

وهنا سؤال يطرح نفسه: كيف يحدد القارىء المواضيع التي يريد تسجيلها بعد انتهائه من قراءة لكتاب. . ؟

أفضل طريقة ـ فيما نرى ـ هى الاستعانة بمحتويات الكتاب (الفهرس) فيضع القارىء علامة خفيفة (بالقلم الرصاص) أمام الموضوع الذي يريد التسجيل منه، وإن تقاربت المواضيع أو كثرت فلا مناص من وضع هذه العلامة فى هامش الصفحة أمام السطر أو الفكرة، وبذلك يسهل على القارىء الرجوع الى ما يريد تسجيله بدون عناء. .

وهذه المعلومات التي سجلتها تعتبر كما مهملا إذا لم تراجعها بين الحين والحين حتى تستوعبها أو تحفظ منها ما يستحق الحفظ، وهنا فقط تكون قد وصلت إلى ثمرة القراءة، ولو استطعت تسجيل هذه المعلومات على أشرطة تسجيل متخصصة أيضاً بعد تدوينها لكان ذلك أمتع وأوفر جهداً، لأن هذه الطريقة ستسهل عليك المراجعة عن طريق السمع فقط دون أن تجهد بصرك. .

وإلى هذا الأسلوب الذى وضحناه لك آنفاً يشير الكاتب الانجليزى «رسكن» قائلا:

«قد تقرأ كل ما في دار الكتب الانجليزية، وتصبح بعد ـ كما كنت ـ انساناً غير متعلم، ولكن إذ أنت قرأت عشر صفحات بامعان في كتاب طيب كنت إلى درجة ما انساناً متعلمًا».

وقال ابن المقفع: أكتبوا أحسن ما تسمعون، وأحفظوا أحسن ما تكتبون، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون.

وهذا الشاعر يصف من يجمع العلم الكثير، ولكنه لا يعي منه شيئاً فى ذاكرته بأنه بهذا الاسلوب يرجع القهقرى، فيقول:

أما لو أعي كل ما أسمع
وأحفظ من ذاك ما أجمع
ولم أستفد غير ما قد جمعت
لقيل هو العالم المقنع
ولكن نفسي إلى كل فن
من العلم تسمعه تنزع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت
ولا أنا من جمعه أشبع
ومن يك فى علمه هكذا
يكن دهره القهقري يرجع
إذا لم تكن حافظاً واعياً
فجمعك للكتب لا ينفع
أأحضر بالجهل في مجلس
وعلمي في الكتب مستودع

وقال آخر:

علمي معي حيثما يممت أحمله
بطني وعاء له، لا بطن صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي
أو كنت في السوق كان العلم في السوق

وبعد..

ينبغى أن يكون رحيق القراءة هو الإنفعال بها والتفاعل معها سلوكاً في الحياة إن كانت داعية إلى خير، وان كانت الأخرى، فكما قال الشاعر.

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقِّيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

* * *

القــراءة والطب

يتحدث الدكتور صبرى القباني تحت عنوان: «مرن عقلك كما تمرن ساعدك»، فيقول:

«ومن القواعد الطبية المعروفة، أن العضو العامل يأخذ حقه من الغذاء بالنسبة إلى كثرة مجهوده وقلته، فتحرك عضو من الأعضاء يستدعي هجوم الدم اليه بكثرة، وتغذيته بوفرة، وبالتالي يستدعي نموه، وازدياد فعاليته وكبر حجمه. . . .

«وكذلك الدماغ إذا أهمل ولم تقدم له التمارين الفكرية، بالأبحاث الدماغية التى من شأنها تشغيله، واستدعاء الدم إليه بغزارة - فإن مراكزه الحساسة، تبقى هاجعة ضعيفة واهية. .

«والمثابرة على الأطلاع في شتى العلوم والفنون تستدعي توسيع العروق ووفود الغذاء، فتنمو حجيرات الدماغ، ويتسع سطحه، ويزداد نشاطه، فيتصف صاحبه بالذكاء، ولنضرب على ذلك مثلاً: الطبيب: إنه يتخرج في الجامعة، وقد إمتلأ دماغه بشتى فروع العلم، فإذا اعتمد على معلوماته وذكائه ولم يوال البحث، وتنمية عقله، تقلصت معلوماته سنة بعد أخرى، وعفي الزمن على علمه وفنه. . .

«وقد تبين أخيراً من فتح أدمغة النوابغ والأذكياء، أنها لا تختلف عن أدمغة الاغبياء حجماً، أو شكلاً، أو تكويناً، إلا بإتساع العروق الدموية، وغناها بهذه الاوعية التي تنقل إليها الغذاء فتذكيها»(١).

وما قاله الدكتور هو عين المعنى الذي نقله ابن القيم عن الأطباء المسلمين . . يقول ابن القيم:

«وأي عضو كثرت رياضته قوي، وخصوصاً على نوع تلك الرياضة، بل كل قوة فهذا شأنها، فمن استكثر من الحفظ قويت حافظته، ومن أستكثر من الفكر قويت قوته المفكرة»(٢).

---

(١) طبيبك معك. (٢) زاد المعاد. .

الفراغ ومنهج الإسلام في استثماره

الفراغ . . هو ذلك الغول المخيف الذي يفترس الإنسان العاطل . . وهو من أقوى أسلحة الشيطان ضد الشباب . . والمجتمعات التي لا تستثمر طاقات شبابها إنما هي مجتمعات تنتحر انتحاراً بطيئاً . .

وإننا لنعجب كل العجب من تلك الدول المسلمة المتخلفة والتي تعيش عالة على ما تنتجه العقول الشرقيةوالغربية في شتى مجالات الحياة ـ نعجب إذ تترك شبابها نهباً للفراغ والضياع . .

لماذا لا نقيم معسكرات عمل للشباب على جميع الجبهات، وعلى كل المستويات، وكأنه استنفار عام، وتعبئة شاملة . . ؟!

لماذا لانقيم للشباب معسكرات للتدريب العسكري في فترات أجازتهم لتنمى فيهم روح البطولة، ولتكون بمثابة متنفس نظيف لطاقاتهم المذخورة فى كيانهم؟

لماذا لا تقوم الأجهزة المسئولة عن الشباب فى كل بلد مسلم بإقامة المعسكرات الإسلامية، وإقامة النوادى (النظيفة) التي تستمد لوائحها ونظمها من خلق الإسلام وسلوكه؟ .

والاجابة . . لا أدرى إلا أن ذلك ضرب من ضروب الكسل والاهمال وسوء التخطيط الذي أصبح سمة مميزة لعامة المجتمعات الاسلامية فى هذا العصر . .

ولقد مر بنا كيف كان موقع الشباب في صدر الإسلام، وكيف أن رسول الله ـ ﷺ ـ لم يترك شبابه وقوداً هشاً لنار الفراغ المحرقة . . فلا عجب إذا رأينا رجلا **لمونتجمرى وات** يقول فى كتابه «محمد في مكة»:

«إن الاسلام كان في الاساس حركة شباب».

نعم . . كان حركة شباب، وبسواعدهم ارتفع البناء شامخاً يناطح الجوزاء . .

وعلى هذا النهج السامي في تربية الشباب سار خلفاء رسول الله ـ ﷺ ـ فنجد عمر ـ رضى الله عنه ـ يخاف على الشباب غوائل الفراغ فينبه ولاته إلى ذلك قائلا لأحدهم: «يا هذا، إن الله قد خلق الأيدي لتعمل، فاذا لم تجد في الطاعة عملا

التمست في المعصية أعمالا، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية».

ويوجه رسول الله ـ ﷺ ـ النظر إلى أن الوقت من النعم التي لا يشعر بها الإنسان فيقول:

«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»(١).

ويصور الحق ـ تبارك وتعالى ـ مشاهد الحسرة التي تقطع نياط قلوب الغافلين عند الموت فيقول:

﴿حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب أرجعون. لعلى أعمل صالحاً فيما تركت، كلا، انها كلمة هو قائلها، ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ (٢).

﴿رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين. ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها، والله خبير بما تعملون﴾(٣).

ولأن هذه الأعمار كانت خراباً وصفراً من كل عمل نافع من الأعمال الصالحة.. فإن أصحابها يتوهمون أن عشرات السنين التى مكثوا فيها على الأرض ما هي الا ساعة، أو عشية وضحاها، أو يوم أو بعض يوم..

﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾(٤).

﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها﴾(٥).

﴿قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين. قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين﴾(٦).

فوقت الإنسان هو عمره، وهو أغلى من الذهب، لأن الذهب يذهب ويعود والعمر إذا ذهب.. فانه لا يعود:

---

(١) رواه البخارى. (٢) المؤمنون: ١٠٠.
(٣) المنافقون: ٩ ـ ١١. (٤) الروم: ٥٥.
(٥) النازعات: ٤٦. (٦) المؤمنون: ١١٢، ١١٣.

حياتــك أنــفــاس تعــد فكــلما
مضــى نَفَس منــك إنــتــقــصــت به جزءاً
فتــصــبــح في نقص وتمــســى بمــثــله
ومــا لك معــمــول تحس به رزءاً

وليته إذا مضي لا يخلف آثاراً ولا تبعات، ولكن يسئل عنه كل إنسان في ساحات القيامة قال ـ ﷺ ـ:

«ما تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه»(١).

إن مرحلة الشباب ـ يا شباب ـ هي مرحلة الطاقة المتوقدة، والحيوية المتدفقة، والعـطاء بغير حدود. . الفترة التي تستطيع فيها أن تصنع العجائب. . وآمالك وأحلامك ومستقبلك إذا لم يتحقق في هذه المرحلة فعليك العفاء. .

إذا المــرء أعــيتــه المــروءة ناشئــاً
فمــطلبــهــا كهــلا عليه عســير

يقـول عالم النفس وليم جيمس: «اذا قسنا أنفسنا إلى ما يجب أن نكون عليه لأتضح لنـا أننـا أنصـاف أحياء. فإننا لا نستخدم إلا جانباً يسيرا من مواردنا الجسمانية والذهنية، أو بمعنى آخر، إن الفرد منا يعيش في حدود ضيقة يصنعها داخل حدوده الحقيقية. . إنه يمتلك قوى كثيرة مختلفة. . ولكنه عادة لا يفطن لها، أو يخفق في استخدامها».

أتعرف يا صديقي الشاب أن الفراغ الذي تعاني منه قد حدا بعمالقة البشر الى أن يستثمروه في الحصول على بطولات رياضية، أو انتصارات علمية تنعم البشرية في ظلهـا اليوم، ففـرضـوا أنفسهم على النـاس أحياء وأمواتاً، ولم يذهبوا كغثاء السيل، ولم يرضـوا لأنفسهم أن يكـونـوا نسخـاً مكررة من ملايين النسخ التي

(١) رواه البيهقى والترمذى.

تشاهدها في النماذج البشرية كل يوم، وإنما رحلوا عن الدنيا وقد تركوا بصماتهم عليها . .

والفتاة المسلمة أيضاً ينبغي علينا أن نقيم لها النوادي المغلقة الخاصة بها لتمارس فيها نشاطها الاجتماعي والرياضي، وعليها أن تشغل أوقات فراغها بالتفصيل والتطريز والقراءة (وتمريض النساء) . . وأن تعد نفسها لتكون زوجة مثالية، وأمًّا مثقفة تنعكس ثقافتها على تربية أولادها وعلى مجتمعها المسلم أيضاً . .

تقول «دروثي كارنيجي» :

وكثيرون هم الناجحون الذين بلغوا ذورة النجاح معتمدين على ما جنوه من علم ومعرفة خلال أوقات فراغهم . .

كان «تشارلس فروست» أسكافياً ولكنه استطاع أن يصبح من المبرزين في الرياضيات بتخصيص ساعة واحدة من يومه للدراسة . .

وكان «جون هنتر» نجاراً . . ثم شرع يدرس «التشريح المقارن» في أوقات فراغه، مخصصاً لنومه أربع ساعات وحسب من الليل، حتى أصبح حجة في هذا الميدان . .

واستطاع «سير جون لايوك» أن يقتطع من يومه المزدحم بالعمل بوصفه مديراً لأحد المصارف ـ ساعات يقضيها في دراسة التاريخ حتى أصبح عالماً بين المؤرخين .

وتعلم «جورج ستيفنسون» الحساب في أوقات نوباته الليلية بصفته مهندساً، ووسعه مستعيناً بهذا العلم أن يخترع القاطرة . .

ودرس «جيمس واط» الكيمياء والرياضة في أثناء اشتغاله بالتجارة فأمكنه أن يخترع المحرك البخاري . .

والله كم كان يخسر المجتمع الإنساني لو أن هؤلاء الرجال قنعوا بأعمالهم المتواضعة، ولم يجدوا في أنفسهم دافعاً للاستزادة من العلم والمعرفة . .

ولايلومن أحد إلا نفسه إذا لبث مغموراً مجهولا لأنه تخلى عن متابعة العلم منذ

اللحظة التي أدرج اسمه فيها في كشف المرتبات»(١)

صديقي الشاب: إذا لم تشغل نفسك بالحق شغلتك بالباطل، وقد يهجس لك الشيطان فيغريك ويمد لك في حبال الأماني الكاذبة فيقول لك: انك ما زلت ترفل في حُمَيَّا الشباب وما زال العمر ممتداً لتحقيق الآمال، ولكنها وساوس خبيثة تجعل الشاب بعد أن يصبح في عداد الشيوخ ينظر الى عمره الذي ولى وكأنه حلم نائم . .

يقول «ستيفن ليكوك»: «ما أعجب الحياة، يقول الطفل: عندما أشب فأصبح غلاماً . . ويقول الغلام: عندما أترعرع فأصبح شاباً . . ويقول الشاب: عندما أتزوج . . فإذا تزوج قال: عندما أصبح شيخاً متفرغاً . . فإذا واتته الشيخوخة، **تطلع إلى المرحلة التي قطعها من عمره، فإذا هي تلوح كأن ريحاً اكتسحتها اكتساحاً . . إننا لا نتعلم إلا بعد فوات الأوان، ان قيمة الحياة في أن نحياها، وفي أن نحيا كل يوم منها وكل ساعة»**.

إننا في حاجة إلى الطبيب المسلم، والصيدلى المسلم، والمهندس المسلم، والمعلم المسلم، والمحاسب المسلم، والمحامى المسلم، والموظف المسلم، والمحترف المسلم . . في ميدان نحتاج إلى علماء مسلمين، حتى يقدموا العطاء الكبير لهذا الدين، ولن يتمكنوا من العمل لهذه الغاية النبيلة من خلال هذه المجالات إلا إذا كانوا علماء فيها، ولن يكونوا علماء فيها إلا إذا سخروا أوقات فراغهم لبلوغ هذا الهدف العظيم . .

وأخيراً تأمل معى قول الشاعر:

إثنان لو بكت الدماء عليهما
عيناي حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما
فقد الشباب وفرقة الأحباب

(١) إدفعي زوجك الى النجاح ـ لدروثى كارنيجى ص ٧٣، ٧٤.

الإسلام وتربية الإرادة

لو تأملنا ملياً أسرار العبادات التي فرضها الله على المسلم، لعلمنا أنها تربي في النفوس روح القـوة. . قوة العقيدة. . قوة الإرادة. . قوة السيطرة على جوامح النفس ونوازعها، ولذلك نجد أن صحابة رسول الله - ﷺ - بعد ما انتصروا على أنفسهم دانت لهم الدنيا بعد ذلك، وأسلست لهم قيادها. .

لم يستجيبوا للإحباط، **ولم يقعوا** فريسة لليأس والقنوط، لأن العقيدة قد أكتسبتهم قوة شكيمة وصعوبة مراس، وروحاً قوية **تؤثر في الأحداث** ولا تتأثر بها. . . وما لهم لا يكونون كذلك ورسول الله - ﷺ - مثلهم الأعلى عندما ساومه كفار مكة على دعوته، وعرضوا عليه كل ما يحلم به سيد وزعيم، يرسلها مدوية في أسماع الدنيا:

«ياعم. . والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته»(١).

ولو أن رسول الله - ﷺ - أستجاب للاغراء أو للإحباط لصار الإسلام في عداد الحركات الفاشلة التي تفور ثم تغور. .

فإذا كان الإسلام ينمي في أتباعه هذه الروح الوثابة، فينبغي إذن على كل شاب مسلم أن يرسم لنفسه طريقاً في الحياة، وأن يتخذ لنفسه مثلا يعمل على تحقيقه، وليعلم علم اليقين أن الله - عز وجل - دفع بالإنسان إلى هذه الحياة وهو مزود بمواهب معينة. . هذه المواهب تذبل وتموت عند الإنسان الخانع الكسول المحب للراحة والدعة. .

حب السلامة يثني هَمَّ صاحبه
عن المعالي ويغري المرء بالكسل
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقاً
في الأرض أو سلمًا في الجو فاعتزل

---

(١) حديث شريف.

هذا الشـاعر يقول: أنه لا مكانة لمن يريد السلامة في عالم المغامرة. . يقول لهؤلاء الـذين يريدون الاخلاد إلى الراحة، أفسحوا الطريق لأصحاب الرجولة والبطولة. . فلا مكان لكم في هذا الميدان، لأنه لا يصلح للنفوس المنهزمة والعزائم الراكدة.

ويقول «ديل كارنيجى»:

«انك شيء فريد في هذا العالم. . إنك نسيج وحدك، فلا الأرض منذ خلقت رأت شخصاً يشبهك تمام الشبه، ولا هي في العصور المقبلة سوف ترى شخصاً يشبهك تمام الشبه».

ويقول «جون كيندى»:

«إننا يجب أن نبحث بكل قدرتنا عن شيء يستحق أن نعيش من أجله، فالهدف العظيم يخلق الرجل العظيم، والهدف السامى ينظم وينسق جميع نشاط صاحبه، وكلما زاد سمـو الهـدف زاد سمـو الشخص، والرجال الأقوياء يصنعهم وضوح رؤيتهم لأهدافهم».

نعم لا بد أن تكـون رؤيتك لأهدافك واضحة، ولتكن خططك لبلوغها في حدود امكـانياتك وظروفك، وأحذر أن تبني قصوراً على الرمال، فتضع نصب عينيك هدفاً يفوق ما تملك من قدرات وخبرات واستعدادات. . فهذا نوع من أحلام اليقظة التي تصيبك في نهاية الطريق بالاحباط وخيبة الأمل. .

ولكن ألا يتعرض الشاب لعثرات في الطريق؟. . نعم وما دمت تعمل فإنك ستجـد العقبات، ولكن علينا أن نأخذ من الفشل الدورس والعبر لنقتحم من جديد، ولنجعل من الإخفاق حجراً نقف عليه لنرفع البناء شامخاً في جو السماء. يقول «شكسبير»: «معاودة الكفاح بعد الفشل يثبت من أي معدن صنع **الرجال؟**».

ولو كان كل مخترع أو مبتكر استجاب للإحباط من أول مرة ـ ربما لم تر هذه السيارات وهذه النفاثات وربما تأخر ظهرها عشرات السنين. .

لقد قضى «جيمس واط» فى عمل آلته البخارية ثلاثين عاماً حتى انتهى من عملها وذلك مع فقره واستدانته ليحقق حلمه الكبير. .

وقضى «جورج ستيفنسون» خمسة عشر عاماً يعمل في تحسين مركبه البخاري رغم أنه بدأ أمياً وتعلم القراءة والكتابة بعد أن وصل إلى الثامنة عشرة. .

ان المبرزين من العلماء تغلبوا على بيئاتهم وظروفهم. . تحدوا الواقع، وقهروا الظروف، وارتفعوا فوق مستوى البيئة، وتربعوا فوق عروش المجد، وكل منهم وراء نجاحه قصة نسجت خيوطها من الألم والعرق والجهد والكفاح المرير. .

وأغلب الصفات المميزة لهؤلاء العلماء والعباقرة الذين كان لهم أعظم الأثر في حياة البشر ـ هي الصبر والمثابرة وطول النفس حتى حققوا أهدافهم التي غيرت وجه الحياة على الأرض. .

ولو أننا ذهبنا نستقصى هذه النماذج لأعيانا الحصر:

فهذا الإمام أبو حنيفة كان خزازاً. .

وهذا أبو العلاء المعري كان رهين المحبسين. .

وهذا أبو الطيب المتنبى كان ابن سقاء. .

وهذا أبو عثمان الجاحظ كان بائع سمك. .

وهذا العقاد صاحب العبقريات، وصل إلى القمة بقراءته ولم يحصل على شهادات، وهذا أديب العربية الفذ مصطفى صادق الرافعي كان أصم لا يسمع. .

وشكسبير شاعر انجلترا الشهير كان أبوه خشاباً. .

وفولتير شاعر فرنسا كان ابن عامل فقير. .

وكولومبس مكتشف أمريكا كان أبوه خياطاً. .

وأديسون أول مخترع للآلات الكهربائية بائع صحف. .

فهؤلاء وغيرهم لم تقعد بهم الظروف أو الفقر أو العاهات عن الوصول إلى أهدافهم بل إنهم وصلوا إليها بكل قوة ودخلوا التاريخ من أوسع أبوابه. .

ولكن ينبغي علينا أن نعلم أنه إذا كان الإيمان بالله ـ عز وجل ـ يكمل عدد الجيوش المقاتلة في سبيله، فانه أيضاً يضيف إلى طاقة النفس البشرية التي أخلصت وجهها لله ـ قوة لا تنفد، لأنها بذلك تستمد شحناتها من الله الذي يمد

هذا الوجود بروح الحياة..

وقبل أن نغادر هذا المبحث، أدعوك إلى أن تتأمل روح هذين البيتين:

لا تُنَال العلا بليت، ولكن
وعكوف الفتى على مرآته
آلة الفوز همة تطحن الصخر
وتسمو للنجم في سبحاته

* * *

الفصل السادس

العوامل المؤثرة في الشباب هدمًا وبناءً

- وسـائل الإعـلام.
- الإزدواج والتناقض في أساليب التربيـة والتعليم.
- المسـجد ودوره في إعـداد الشـباب.
- دور الأسرة في تربية الأجيال.
- التقليد ومركب النقص.
- تربيـة الضـمير
- تعليـم الجنـس.
- على من تقع المسئولية؟
- الشباب المسلم بين تيارات الفتن.
- من فتاوى الشـباب.

وسائل الإعلام

إلى عهد قريب كان كثير من الناس يعتقدون أن مسئولية التربية والتعليم تنحصر في البيت والمدرسة، وهذا الإعتقاد كان صواباً إلى حد ما، قبل أن يستفحل الخطر الإعلامي وتتعدد وسائله وتتنوع أساليبه، أما بعد أن تربعت وسائل الإعلام على عرش القلوب والعقول، فقد انقلبت المفاهيم، وتغيرت كل الموازين، وأصبحت التربية والتعليم عملية مشتركة بين وسائل الإعلام، والبيت والمدرسة، بل أصبحت وسائل الإعلام هي المدرسة الأولى التي تتخرج فيها الأجيال، وكلمتها الكلمة، وقولها القول. .

ولو وقف مدرس الدين يخطب عاماً في التلاميذ ثم عرضت شاشات الإعلام فيلمًا ساقطاً يتملق غرائز الجنس في الشباب، لنسفت مفاهيم الفيلم من أعماق الشباب كل معنى نبيل غرسته المدرسة فى نفوسهم. .

ومن هنا كان الخطر المروع لوسائل الإعلام، ودورها الخطير في صياغة شخصية الشباب، بل في صياغه عقلية المجتمع بأسره. .

والى هذا الدور التعليمي الخطير يشير محمد إقبال فيقول:

«يا لبلادة فرعون الذي لم يصل تفكيره إلى تأسيس الكليات، وقد كان ذلك أسهل طريق لقتل الأولاد، ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الأحدوثة في التاريخ».

حقاً ما قاله الشاعر المسلم، فان التعليم يمكن أن يقتل الفطرة في الإنسان السوى، وخاصة إذا كان من خلال وسائل الإعلام التي تستطيع بأساليبها الجذابة، ومداخلها الساحرة، والحاحها على الآذان ـ تستطيع أن تخلق أمة تفكر بعقلية القطيع، وبذلك يستطيع أي طاغية أن يصب عقول عامة الشعب ـ من خلال الإعلام ـ في قالب واحد، وبين عشية وضحاها، تسبح الجماهير بحمده، ويتعبدون في محرابه، ويسجدون له من دون الله، وتصبح الهزائم المنكرة على يده نصراً مؤزراً. . فهو النبي الذي لا ينطق عن الهوى، وكلماته تنزيل من حكيم حميد!!

ويستطرد الفيلسوف المسلم فيقول:

«ان التعليم هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي، ثم يكونها كما يشـاء، وإن هذا الحـامض هو أشد قوة وتأثيراً من أية مادة كيميائية.. هو الذي يستطيع أن يحول جبلا شامخاً إلى كومة تراب».

وعن هذا الدور المؤثر يقول الكاتب الاجتماعي «ج. س. يولاك» في مقال له عن السلوك الشاذ للشباب في الغرب:

«انه من طبيعة الفتيان الذين لم يبلغوا بعد إمكانية الحكم على الاشياء حكمًا صحيحاً، أن ينقلوا صور هذا العالم الثنائي البعد، عالم الكلمة المطبوعة، وعالم الصور المتحركة على الشاشة البيضاء، إلى التنفيذ العلمي، وتحت هذا الفيض الزاخر من عمل العنف وارتكاب الجنايات تنطفىء كل دوافع المسئولية وإحترام الإنسان، وبهذا ينحنى سلوك الفرد، وتصبح عوامل العنف عنده أمراً طبيعياً، وبقدر ما يوجد من آباء واعين مسئولين، ويمكن أن تدرك هذه الحقائق كما يدركها آلاف من المربين والقساوسة وأطباء النفس».

«ولكن لماذا لا نبحث عن مخططات لمعالجة الموقف؟ أما يشغل الوزارات غير رؤوس نائمة لا تدرك خطر الأفلام والكتيبات؟»(١).

وعن نفس الأثر الذي تخلفه وسائل الإعلام في نفوس النشء يقول الدكتور «الكسيس كاريل»:

«إن أطفال وطلبة المدارس يكونون عقولهم من البرامج السخيفة التي توضع لوسائل التسلية العامة، ومن ثم فإن البيئة الاجتماعية تناهض نمو العقل بكل قوتها بدلا من أن تعمل على هذا النمو».

نعم.. فالطفل الصغير الآن أصبح يسأل عن المسلسل، وعن الفيلم، وعن مباراة كرة القـدم، والكبير يعد مرجعاً علمياً منظمًا في هذه الشئون.. في أسماء لاعبى الكرة والفنانين والفنانات، والراقصين والراقصات.. يعرف عنهم ما لا

(١) المرأة بين الفقه والقانون ص ٣١٢.

يعرف عن أقاربه، فالفنان الفلاني متزوج وعدد مرات زواجه كذا، وعدد مرات طلاقه كذا، ويعرف - أيضاً - عدد أحذيته ومناديله وجواربه، ورحلاته، وحركاته، وسكناته وغرامياته، وعشيقاته.. مرجع منظم.. ولم لا وقد أكدت الاحصائيات العلمية أن ٧٥٪ من جمهور السينما في مصر من الشباب(١).

يقول الأستاذ محمدالسمان مشيراً إلى حلقة «تلفيزيونية» استضيف فيها بعض طلبة مدرسة معروفة للمتفوقين.. يقول:

«وكان المتوقع أن تكون الحلقة إلى آخر دقيقة فيها، من الحلقات الجادة التي يتلقى منها سائر الطلبة دروساً في التفوق، ولكن مقدم البرنامج سأل الطلبة واحداً واحداً عن مثله الأعلى في الحياة.. وكانت الاجابات مذهلة.. فالمثل الأعلى لدى الطلبة المتفوقين هم على الترتيب، ولست أدرى أهو ترتيب تصاعدي أم تنازلي؟؟: عبد الحليم حافظ، بليغ حمدي، نزار قباني، محمد عبد الوهاب، أنيس منصور.. وقلت تعقيباً على هذه الاجابات: لم أكن أنتظر من هؤلاء الطلبة المتفوقين أن يقولوا: أن مثلنا الأعلى: أبو بكر، أو عمر، أو على، أو خالد بن الوليد، بل كنت أتوقع أن يقول واحد منهم: أن مثله الأعلى هو أبي»(٢).

ان نظرة على وسائل الإعلام - المسموعة والمرئية - في مصر تجعلنا نستطيع أن نضعها تحت عنوان واحد ألا وهو «إعلام الجنس».. وإلا فإننا نريد أن نرى فيلمًا واحداً، أو مسلسلاً واحداً، أو أغنية واحدة خالية من الحديث عن الحب الجنسي.. لن نجد، لأن عامة القائمين على وسائل الإعلام صنعت عقولهم العبقرية خارج ديار الإسلام.. فهم يزرعون في أرض الغرب ويحطبون في حبال اليهود..

ونظرة ثانية على الملصقات الدائمة على جدران شوارع قاهرة المعز تجعلك تصاب بالاشمئزاز والغثيان، دليل على الوحل الخالص الذي غرقت فيه مصر الإسلام ومصر الأزهر «الشريف»!!

---

(١) الأخبار في ٢٠ من مارس ١٩٧٩.

(٢) العقيدة والقوة معاً ص ٢٦٧.

إن وسائل الإعلام عندنا تقوم بعملية غسل مخ للصغار والكبار، واستعملوا هذا «الحامض» في تخدير المشاعر، وتنويم الإحساسيس، واستنزاف الطاقة، والتهييج المستمر للغرائز، وهذا مقصود ومخطط له . .

هذه الجماهير الغفيرة التي تنتظر فيلم يوم معين يعرض على شاشة الإعلام، أو تنتظر بلهفة مسلسلا رخيصاً يوماً بعد يوم . . هذه الجماهير تراها وهي تنتظم أمام الشاشات كأنها تؤدى شعائر صلاة الجمعة . .

هذه العقلية التي صيغت في هذا القالب الطفولي، هل ستنطلق يوماً لتعلن في صراحة وشجاعة رأيها في قضية قد تجعل الأرض تميد من تحت أقدام الأمة . . ؟

كلا . . إنها ستفضل النوم على هدهدة الجنس، والقيام على صراخه في أعماقها . .

لقد زرعت وزارة الإعلام في شبابنا روح الميوعة، وقتلت فيهم روح البطولة والرجولة . . سممت أفكارهم، وقدمت لهم النماذج المنحرفة، حتى سرت في عقولهم الغضة سريان السم في الجسم السليم . .

ورغم ذلك فاننا لا نكف عن دعم الخلاعة والمجون ـ وبالأمس القريب حققت مؤسسة السينما في مصر خسارة بلغت سبعة ملايين من الجنيهات، وحقق المسرح خسارة قدرها: مليون جنيه ولله في خلقه شئون!!

حتى أصبح شبابنا لا يتنفس إلا جنساً، ولا يفكر إلاّ في الجنس، ولا يخفق قلبه إلا بالجنس . .

إن رائحة الطعام الشهي النفاذ تثير الغدد اللعابية، فتنسال افرازاتها طالبة الاشباع ليسكن داعى الجوع في الجسم البشري . .

وبنفس هذه الطريقة التي تثار بها الغدد اللعابية تثار الغدد الجنسية عندما تتحرك بمنظر عارٍ، أو فيلم عار، أو بصورة عارية، عند ذلك يندفع الشاب لا يلوي على شيء ليلقى بهذا الحمل الرهيب الذي نأي به كاهله . . ثم نشكو من انحراف الشباب!!

* * *

● **بيت المهمل يخرب قبل بيت الظالم:**

فى تحقيق من الصين الشيوعية جاء ما يلى:

«الرقابة على الأفلام مشددة في الصين، فلن تستطيع هوليود غزوها، واعتبرت الأفلام التي تحتوى على القبلات ممنوعة ومفسدة للأخلاق، والرقص ممنوع لأنه نوع من الغزل والغزل ممنوع.. ولكن للأجانب مطلق الحرية في إقامة حفلات راقصة فيما بينهم بشرط ألا يحضرها أي صينى، وفي جامعة «قودان» بشنغهاى طرد طالب أجنبي كان يريد دعوة أحد المشرفين إلى حفلة راقصة، واعتبر مغضوباً عليه، لأنه حاول إفساد مواطن شريف بمغريات الرأسمالية..

«كذلك المقدمات العادية للغزل غير معروفة في الصين، فالابتسامة الواسعة نوع من الأدب، ودليل على شدة الحياء، بعكس كل الشعوب، فالوجه الذي لا يبتسم في الصين دليل على الحزن والتعاسة، ويستوجب استدعاء رجال «الكادر» بواسطة الجيران لمعرفة أسباب العبوس، فالأجنبى الذي لا يعرف هذا قد يجد نفسه أمام المرأة الصينية مندفعاً لمغازلتها، ولكنها تضعه عند حده فوراً، لأن الفتاة الصينية تقف كالحائط المنيع أمام أية محاولة للغزل.. فاذا تجاوزت الزمالة حدودها، وتعددت لقاءات أي شاب وفتاة بمفردهما واجها النقد وطولبا من الآخرين بالعودة إلى العقل..

«وإذا سرت في الشوارع فلن تجد حبيبين يتنزهان.. فإذا تصادف أن جلسا على دكة خشبية عامة في الطريق، فذلك يكون في غياب البوليس، ولا يجرؤان على الاقتراب من بعضهما»(١).

ألستم معى أن بيت المهمل يخرب فعلاً قبل بيت الظالم..؟؟

* * *

(١) مجلة أكتوبر.. العدد ٦٨. الخامس من ربيع الأول ١٣٩٨هـ.

احذروهم يا شباب

ولا بد أن يعلم شبابنا حقيقة هؤلاء من خلال نظرة الإسلام، لا من خلال وسائل الترويج والتضليل . .

هؤلاء يا شباب مهمتهم الإفساد في الأرض، وهم يعيشون في كل المجتمعات على حساب الفضيلة، ولا تحلوا لهم الحياة إلا في مستنقعات الجنس.

والا . . .

فمن أين تعظم أرصدة البنوك؟(١)

ومن أين يكون بناء العمارات الشاهقة؟

ومن أين تركب السيارات الفارهة؟

ومن أين يكون التصييف في أوربا؟

فكيف تتخذون منهم أسوة وقدوة، وهم في كل واد يهيمون، ولكل طاغية يهتفون وينشدون ويغنون؟!

ولذلك فلا تعجبوا إذا جعلوهم أعلى مرتبة من العباقرة والمفكرين، والعلماء العاملين، وصوروهم بالقواد والفاتحين، وجعلوا من الهلكى منهم شهداء صالحين. . .

ان الإسلام لا يمنع الترفيه . . فهو دين الفطرة السمحة، ودين يمنع الرهبانية ويمقتها، ودين يلفظ التشدد ويكره التعسير على الناس . .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: «قالوا يا رسول الله، إنك لتداعبنا. قال: إني لا أقول إلا حقا»(٢).

ويقول حجة الاسلام أبو حامد الغزالي في معرض الحديث عن اللهو المباح «اللهو مروح القلب، ومخفف عنه أعباء الفكر، والقلوب إذا أكرهت عميت، وترويحها إعانة لها على الجد، فالمواظب على التفقه مثلا، ينبغى أن يتعطل يوم

---

(١) من الألفاظ التى أقر المجمع اللغوى المصرى استعمالها.

(٢) أخرجه الترمذى.

الجمعة، لأن عطلة يوم تبعث على النشاط في سائر الايام . . فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجد، ولا يصبر على الجد المحض، والحق المر إلا نفوس الأنبياء عليهم السلام، فاللهو دواء القلب من داء الاعياء والملال، فينبغى أن يكون مباحاً،ولكن لا ينبغى أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء، فاذن اللهو على هذه النية يصير قربة»(١).

فهناك ألف موضوع وموضوع صالح لأن يكون فيلمًا جاداً، أو مسلسلا هادفاً. . ولكننا ـ دائما ـ نعشق السقوط!!

فاللهو البرىء لا شىء فيه، والاستجمام والمزاح مطلوبان للترويح عن النفس وتجديد نشاطها. . ولكن أن يصير الهزل قاعدة والعمل شذوذاً، وأن يصير المغنون والممثلون في مكانة العباقرة والمفكرين. . ترصد لهم الجوائز، وتقام من أجلهم الأعياد والمهرجانات، وتخفف عنهم الضرائب رغم أن أجر الراقصة أو الممثلة في فيلم ساقط قد يعادل مرتب خريج جامعة مكافح أطفأ نور عينيه في البحث والدرس ـ يعدل أجره طول حياته. . فأي إحباط هذا؟ وأي تناقض يعيش الشباب فيه اة؟.

يا شـــباب . .

هؤلاء يمثلون لكم قصص الحب والغرام والوجد والهيام، وهم لم يعرفوه إلا من رواية الجنس. . يمثلون لكم قصص السعادة في الحياة وهم لم يشعرو بهذا الاحساس قط . .

«منذ بضع سنين أصيبت الممثلة «فيفيان لى» بالانهيار العصبي، ومنذ أمد غير بعيد دخل المستشفى حشد من الفنانين مثل «جاك شاربيه» و«مارلين مونرو» و«بريجيت باردو» و: ايف ماتيو» و«سان لوران». . مكثوا بضعة أسابيع يعالجون من المرض نفسه»(٢).

---

(١) احياء علوم الدين: كتاب «آداب السماع»

(٢) طبيبك معك ـ للدكتور صبرى القبانى ص ٢٥.

وإلى الشباب المعجب والشابات المعجبات بالفنانين والفنانات أهدى اليهم نص الوصية التي تركتها ممثلة الإغراء العالمية «مارلين مونرو» بعد أن ودعت الحياة بأسوأ ما تودع به الحياة. . .

تقول في وصيّتها المحفوظة في «مانهاتن بنك» في نيويورك:

«أحذري المجد. . أحذري كل ما يخدعك بالأضواء. . اني أتعس امرأة على هذه الأرض. . «لم أستطع أن أكون أماً» اني امرأة أفضل البيت. . الحياة العائلية الشريفة على كل شيء. . إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة، بل إن هذه الحياة العائلية لهي رمز لسعادة المرأة بل الإنسانية. .

لقد ظلمني الناس. . وإن العمل في السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة. .

إنني أنصح الفتيات بعدم العمل في السينما والتمثيل - إن نهايتهن إذا كن عاقلات كنهايتي»(١).

هؤلاء هم وهن الذين يعرضون أفلام الحب وقصص السعادة:

هؤلاء هن:

البائسات المائسات
كآلة من غير روح
الناشرات شذى، ومن أعماقهن أذى
يفوح
الضاحكات وقد طوين
قلوبهن على جروح
آلامها الحرى، مع
الزفرات، في لهف تفوح!!(٢).

* * *

(١) المرأة بين الفقه والقانون ص ٣١٦.

(٢) من شعر الأستاذ. . عمر بهاء الدين الأميرى.

الصحافة

وعن الصحافة، فحدث ولا حرج، فقد انضمت هي الأخرى إلى الركب. . إلى الزفة . . زفة المهرجين والهتافين والمصفقين، وأشتركت مع الوسائل الأخرى فى بث السموم، والافكار الهدامة في نفوس الشباب، فأفسدت أخلاقهم وضمائرهم، وأثرت على أسلوب تفكيرهم تجاه كل الأمور، بل كونت لهم فلسفة حياتهم، ووضعت لهم المثل العليا راقصين وراقصات، وممثلين وممثلات، ونجوماً لامعة في سماء الفن والكرة. .

وما أن يهوى نجم من هذه النجوم اللامعة ليستقر في باطن الأرض إلا قامت قيامة الصحافة، فترى النبأ العظيم لوفاته يحتل صدر الصفحات الأولى مكتوباً بالخط العريض، وتجند الصحف جميع صفحاتها للحديث عن «شهيد الفن»، وتقوم بعرض تاريخ حياة الشهيد الحافلة بالأمجاد والبطولات والفتوحات العظيمة في عالم الفن، وتتساءل الصحف ـ في أسف وحسرة ـ عمن سيملأ هذا الفراغ الكبير الذي تركه الراحل الخطير. . ؟!

واظهاراً لمشاعر الحسرة والألم على الفقيد «الشهيد» تغص الصفحات الداخلية بلقطات للموكب المهيب الذي اشتركت فيه الملايين من محبي فنه الرفيع، وبحور الدموع التي ذرفت ـ في تهطال ـ من المحبين والعاشقين، ولا تنسى الصحافة أن تدبج عدداً من قصص الذين واللائي انتحرن من أجل هذا النجم الذي هوى والغصن الذى ذوى!!

هذا الغثاء كله في الوقت الذي يكون نصيب الدين في صحفنا يتذبذب عند درجة الصفر، وإذا كان، فزاوية فى مكان قصي، وحديث باهت لا يشحذ همة ولا يرسخ عقيدة ولا يقوي إيماناً. .

ولقد رأينا عشرات من علمائنا الأفذاذ يوافيهم الأجل المحتوم، فلا يشغل ذلك من صحافتنا المبجلة الا بضعة أسطر فى صفحات الوفيات مدفوعة الثمن. . .

وعندما نرى هذا الوضع المعكوس المنكوس، فإننا لا نملك إلا ان نقول لكل

عظيمة: لا حول ولا قوة إلا بالله «وانا لله وانا اليه راجعون».

ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً
تجاهلت حتى ظن أني جاهل
إذا وصف الطائي بالبخل مادِر
وعَيّر قِساً بالفهاهة باقل(١)
وقال السها للشمس أنت خفية
وقال الدجى يا صبح لونك حائل(٢)
وطاولت الأرض السماء سفاهة
وفاخرت الشهب الحصى والجنادل(٣)
فيا موت زُرْ إن الحياة ذميمة
ويا نفس جدى إن دهرك هازل

واترك المجال لأستاذنا الشيخ محمد الغزالي ليتحدث عن الدور الخطير الذي تمارسه الصحافة في أخلاق الشباب.. يقول:

«إن المجتمع البريء تشب فتياته زهرات ناصعة لا يعرفن الإثم إلا كما تعرف البساتين النضرة غيوم المداخن الكدرة.. ولبعد أذهانهن عنه ونزاهة ساحتهن منه صح أن يوصفن بالغفلة مثل قول الله:

﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة﴾(٤).

---

(١) الطائى: حاتم بن عبد الله من سادة طىء شاعر اشتهر بالكرم حتى ضرب به المثل توفى قبل الاسلام بنحو عشر سنوات.. مادر وهو مخارق ابن هلال ضرب به المثل فى البخل.. قس بن ساعدة أشهر الخطباء والحكماء فى العصر الجاهلى عاش مائة وثمانين سنة.. باقل: هو باقل الربعى ابن عمرو بن ربيعة الايادى ضرب به المثل فى العي والبلاهة فى الجاهليين.

(٢) السها: كوكب صغير خفى الضوء.

(٣)الشهب: الدرارى من الكواكب لشدة لمعانها. الجنادل: الصخور الكبيرة.

(٤) النور: ٢٣.

«انها غفلة القلب الملائكي عن لوث الطباع السافلة، فانظر أية بيئة تتعاون الأقلام الساقطة على خلقها حين تتسابق في شرح وفضح أسرها، وفتح عيون الصغار والكبار عليها . .

«فى مصر وحدها تصدر عدة صحف يمكن أن يؤلف من أوراقها كتاب متوسط الحجم ينشر بين الناس مطلع كل صباح . .

« تصور أنك قرأت في عام واحد نيفاً وستين وثلثمائة كتاب . .

لو كانت في الدين لكنت إماماً. ولو كانت في الأدب لكنت باحثة حجة . لو كانت في العلم لحطمت الذرة . . لو . . لو . . لكنها في اللغو والهزل، فهي شر ذو حدين، حد يقطعك عن الجد وعن القراءة النافعة . . وآخر يشتت قواك في عالم الفراغ ويفسد ذوقك، وينقل إليك حركات الغرائز الدنيا ومجارى الشهوات في أعماء الظلام . .

«إن بث الاثم في المجتمع ثم محاولة تنميته بالمقالات والروايات والاذاعات وضروب الغناء الأخرى أمر لا يبقى معه دين ولا تستقر معه فضيلة»(١) .

وقد أشار الشيخ بعد ذلك إلى ضرورة التصدي لهذه الأساليب وعدم الفرار أمام قلة من الصحافيين الماجنين، والعمل على بناء محاضن للجيل المسلم، وأن تكون المساجد مثابات يلتقي الأخيار فيها ليأنس بعضهم بالبعض، ويتواصوا بالحق ويتواصوا بالصبر . .

* * *

(١) ظلام من الغرب ص ٢٣٧ .

من بركات الإعلام في مصر

أنقل هذه الفقرات من كتاب «المرأة والصراع النفسى» والذي يعرض ـ فيما نرى ـ الحصاد المر للأعاجيب التي يصنعها إعلام الاثارة والجنس في تحطيم المناعة في نفوس شبابنا، لينسف ما بقي لهذه الامة من كرامة إن كانت لا تزال تتمتع بشيء منها!!

تقول الدكتورة «نوال السعدواي» وهي شاهد من أهلها:

«والكبت الجنسي في مجتمعنا كان يمكن أن يكون أقل خطراً على صحة البنات والنساء النفسية، لو أن الثقافة والإعلام والفنون في مجتمعنا تخضع للقيم الأخلاقية نفسها التي تتحكم في تربية البنات ولكن هذا لا يحدث لأن الذي يتحكم في وسائل الثقافة والفنون والإعلام عامة ليست هي القيم الأخلاقية القائمة على الكبت الجنسي، وإنما هي القيم التجارية القائمة على الربح من وراء عرض أفلام الجنس والرقصات العارية وأجساد النساء، وتأوهات المطربين والمطربات ليل نهار فى الراديو والتليفزيون، وعرض الأفخاذ والنهود العارية في صفحات المجلات.

«ويصبح على البنت المصرية أن تحل وحدها المعادلة الصعبة. . عليها أن تشبع بهذه الأفلام والصور والأصوات الصارخة بالجنس والشبق، وعليها في الوقت نفسه ألا تتأثر بها، وإن تأثرت ـ وهذا ما يحدث ـ فعليها أن تخفي هذا التأثر وأن تتظاهر بشيء آخر أما أن يتحول هذا التأثر إلى فعل ـ وهذا أمر طبيعي عند الإنسان السليم نفسياً وجسدياً فهذه الطامة الكبري التي تقع في حياة البنت، سواء انكشفت أم لم تنكشف. . إن انكشافها يقودها إلي إحساس طاغ بالخوف أو الذنب يلازمها طوال حياتها ويسبب لها البرود الجنسي أو العصاب أو ما شابهه.

«وفي جميع الأحوال لا يؤدي الكبت والتناقضات التي يفرضها المجتمع على البنت إلا إلى التعاسة العامة التي تشعر بها النساء والفتيات من جميع الأعمار. . المتزوجات منهن وغير المتزوجات، وقد تنكر بعض النساء هذه التعاسة ويتوهمن أنهن سعيدات لكن المرأة منهن لا تصمد طويلاً أمام الاسئلة التي تجعلها تعيد

التفكير في حياتها وفي سعادتها السطحية . .»(١) .

وفي نهاية حديثنا عن وسائل الإعلام يهمنا أن نتعرف على رأى الطب النفسي في وسائلنا الإعلامية . .

يقول الدكتور «عادل صادق» أستاذ الطب النفسي في جامعة عين شمس في معرض حديثه عن إحساس الشباب بالغربة والصراع والقلق : «وقد يبدو غريباً أن يكون من بين أسباب حيرة الشباب ومحنته هو أن روح الإيمان موجودة ومتأصلة لديه تهز قلبه وتحاول الاقتراب من عقله . . وتلك مسألة بديهية . . فالمشكلة أساسها صراع يعيشه الشباب . . صراع بين ما يتفاعل في نفسه واحساسه ، وبين تناقضات تنهال على عقله . . وحياته اليومية لا تساعده في تأكيد إحساسه الديني بل تناقضه ، وتشده إلى صراعات ومتاهات ، وما ينجم عن ذلك من حيرة أو تخبط ، فبعض شبابنا حائر ، وبعضه متخبط ، ولب المشكلة أننا نتجاهل عقل الشباب ، ولعل هذا أصبح سمة من سمات حياتنا اليومية . .

وبعد أن يسوق الدكتور الأمثلة الصارخة لهذا الصراع الذي يعيشه الشباب وعدم اضطلاع المسئولين بدورهم في تعميق الإيمان في نفوسهم يقول : «يقف الشباب في وسط التيار وحيداً ممزقاً ، وربما يتعلق بقشه واهية لا تنقذه بالقطع وإنما تأخذه الى القاع المظلم . . ثم يأتي المجتمع ليجهز على الشباب . . يفتح «الراديو» أو يشاهد «التليفزيون» أو يذهب إلى السينما فلا يجد إلا موضوعاً واحداً متكرراً يلح على كل غرائزه «الحب والجنس» ويذهب إلى جده(٢) فيقول له : كل شيء حرام . . وأي ممارسة خارج نطاق العلاقة الزوجية حرام ، وإذا التزم رغم كل الضغوط الهائلة حوله من وسائل الإعلام فإنه يقرر الزواج . . ويرتطم رأسه تماماً في الحائط إلي حد حدوث إرتجاج في المخ حين يعجز كلية عن توفير سكن له . . إن ذلك يستدعي أن يدخر كل مرتبه لمدة عشرين عاماً أو أكثر . يواجه كل هذا وهو ضعيف لم يسلح منذ نشأته بالعقيدة السليمة والمفاهيم الصحيحة . . يواجه كل

---

(١) المرأة والصراع النفسي ص ٦٩ .

(٢) يرمز الى الموجه بالجد بإعتباره رمزاً للحكمة .

هذا والضغوط من حوله . . «الراديو» يقول كلاماً مختلفاً تماماً عن كلام جده . . تأثير الراديو والتليفزيون قوي لأن هناك الحاحاً واستمراراً تساندهما أجهزة الإعلام كلها وليس هناك إلا موضوع واحد وهو الحب . . الحب الجنسي . . لقد آمنت أخيراً كطبيب نفسي أن «الشيز وفرينيا» أي انفصام الشخصية لا تصيب الأفراد فقط ولكنها من الممكن أن تصيب المجتمعات أيضاً . .

وعلى طريق الخلاص يقول الدكتور في نهاية حديثه: وأما بالنسبة لأجهزة الإعلام والصحافة فجميعها لا تؤدي إلا دوراً ضئيلاً محدوداً في مجال التعليم والتوعية والتوجيه من أجل الشباب . . لابد من ثورة إعلامية للقضاء على الاسفاف والاستخفاف بالقيم والتعاليم السماوية، ولابد من دور إيجابي كبير الحجم لتنشئة الشباب النشأة الدينية السليمة، وتعميق روح الإيمان في قلوبهم وعقولهم . .

والمؤسسات السياسية بما لها من هيمنة على حياتنا تنظيمياً واشرافاً ومتابعة فان لها دوراً هاماً وبارزاً في تعميق الإحساس الديني لدى الناس وبخاصة الشباب . . وأخيراً لقد عرضت بأمانة ووضوح معالم الأزمة والمحنة التي يعيشها شبابنا اليوم . . . وتصورى لمعالم الطريق الذي يمكن أن نسلكه من أجل خروجه من التوتر والقلق الذى يعيشه . .

بقي شيء أضيفه من خبرتي الشخصية في مجال عملي كطبيب نفسي، وهو أن قدراً كبيراً من اضطراب الشباب على المستوى الشخصي وإصابتهم بالقلق والاكتئاب والشعور بالاغتراب ـ يحدث بسبب ضعف الوازع الديني، وحين يخبو نور الإيمان في العقول والقلوب . . لك أن تتخيل أي اضطراب يصيب حياة أي انسان ويحرمه من الاحساس بالاطمئنان والاستقرار النفسي»(١).

ونعتقد أن ما ذكره الطب النفسي حول وسائل الإعلام، وأسلوب تربيتنا للشباب ـ غنيٌّ عن كل تعليق . .

* * *

---

(١) يوميات الأخبار في ٦ من يناير ١٩٧٩، ١٣ من يناير ١٩٧٩.

﴿كان خُلُقُه القرآن﴾.

عبارة وصفت بها السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ خلق رسول الله ـ ﷺ ـ وبهذا المعلم.. يبين لنا رسول الله ـ ﷺ ـ أن الإسلام ليس نصوصاً نظرية تشحن بها العقول، أو تحفظ عن ظهر قلب في قاعات الدراسة، أو قرآناً تفتتح به برامج الإعلام إرسالها، أو أحاديث باهتة عن الدين تبث عبر موجات الأثير. وإنما هو منهج حياة، وسلوك مجتمعات، وروح تسري في شرايين الأمة..

هذا هو الإسلام.. الذي لا ينفصل فيه الايمان بالقلب عن العمل بالجوارح:

﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا﴾(١).

﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾(٢).

﴿اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة﴾(٣).

وان القرآن قد نعى على قوم تخالف أقوالهم أفعالهم:

﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾(٤).

ولقد كان صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ رضوان الله عليهم يحفظون الآيات من كتاب الله ـ تعالى ـ فلا ينتقلون إلى غيرها إلا اذا ترجمت واقعاً حياً يعيش فى سلوكهم...

وإذا انتقلنا من هذا المفهوم البديهي في الإسلام إلى واقع أساليب التعليم عندنا فلن نجد ظلا لهذه التوجيهات الربانية تنعكس على مناهج التعليم، بل سنرى تناقضاً وازدواجية تصيب طلبة العلم بالتمزق والصراع النفسي..

---

(١) الكهف: ١٠٧. (٢) البقرة: ٢٧٧.

(٣) العنكبوت: ٤٥. (٤) الصف: ٢، ٣.

فمنـــاهـج التعليم في مصر ما زالت بها بصـمات واضحـة من أيام أسيادنـا المستعمرين . . ساهم في المحافظة عليها جماعة من المستغربين في ديارنا . .

عنـدما يدرس الطالب في مادة «الأحياء» نظرية «تشارلس دارون» في أصل الأنـواع وهي النـظرية التى منعت دراستها في كثير من دول أوروبا . . النظرية المهترئة التي قامت على فروض وهمية بإعتراف صاحبها الذي قال عن كتابه «أصل الأنواع» :

«إنني واثق تماماً أن كثيراًمما جاء فيه سوف يثبت أنه هراء ولكنني أتوقع كما أرجو أن يظل الهيكل ثابتاً» .

النظرية التي قام العلماء الباحثون بدحضها حتى وصفها بعضهم بأنها أدخل رأي في الجنون قاله رجل في تاريخ الإنسان، حتى المحايدون قالوا بأنها أفكار للتأمل . .

يقول العلامة «فون باير» مؤسس علم الامبريولوجيا «الأجنة» وهو من أقطاب الفزيولوجيين والحفريين والبيولوجيين ـ يقول في كتابه : «دحض المذهب الداروينى» :

«إن الـرأي القـائل بأن النوع الإنساني متولد من القردة السيمائية «الغوريلا والشمبانزى والقردة العليا» هو أدخل رأى في الجنون قاله رجل فى تاريخ الإنسان» .

شيء عجيب حقاً أن نبقى على مثل هذه النظرية الوهمية التى تصادم حقائق الإسلام مصادمة تامة في الوقت الذي يقول فيه «هـ . ج . ويلز» :

«ان موضوع تسلسل الإنسان الحيواني لا يزال ينكره بغاية من الشدة الكثير من الرجال المقتدرين ، بل كثير من رجال العلم ، فحكومة ولاية «تينسي» مثلا بلغ من اقتناعها بنقيض هذه النظرية أن منعت تدريسها في جميع مدارسها وكلياتها»(١) .

---

(١) راجع نظرية دارون بين المؤيدين والمعارضين للأستاذ قيس القرطاس .

وبعد حصة الأحياء يدخل مدرس الدين ليتلو ويفسر قوله تعالى:

﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين﴾ (١).

«وبدأ خلق الانسان من طين»(٢).

من يصـــدق؟

أيصدق معلم الأحياء أم يصدق معلم الدين؟

أيصدق «تشارلس دارون» أم يصدق خالق دارون والخلق أجمعين؟

أيصدق العلم أم يصدق الدين أم يكفر بأحدهما ليسلم له عقله؟

سؤال كبير. لاأجد له جواباً!!

وهذا الطالب الذي لقنه مدرس الدين قوله تعالى:

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن ألا ما ظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن﴾(٣).

ويخرج من المدرسة إلى الشارع ليجد ثلة من زملائه يقفون على النواصي ليلتهموا بأعينهم الزائغة أجساد الرائحات الغاديات، وليجد الفتنة ذات أنياب وأظافر..

وذلك الشاب الذي يستمع في المسجد إلى موعظة توجل منها القلوب وتذرف منها العيون ولدى خروجه من المسجد تصطك مسامعه بمذياع يرسل على موجاته صوت أنثي رقيعة أضناها الهجر فهي تشكو لذعة الأسي وحرقة الجوي..

وهذه المعلمة المربية الفاضلة التي تذهب إلى المدرسة (معهد التربية والتعليم) وقد تزينت كالراقصة، وارتدت ملابس أشبه ما تكون بملابس الممثلات على الشاشة.. هل يرجى منها نشر الفضيلة بين شبابنا.. مستقبل الأمة ولسانها الناطق وعقلها المفكر ويدها البانية؟..

---

(١) المؤمنون: ١٢، ١٣. (٢) السجدة: ٧.

(٣) النور: ٣١.

إنها إن كانت تدرس في مدارس البنين فانها معول هدم في بناء شامخ، لأنها تثير الشهوات في نفوسهم. وتجعل التلاميذ وكلهم في سن المراهقة ينفقون وقتهم في الاستمتاع بالنظر إلى السيقان العارية، والفتنة الطاغية، ليطفئوا بعضاً من نار الشهوة التي سعرتها في نفوسهم. .

وقد سألني تلميذ إذاكانت النظرة الأولي لي والثانية علي فماذا أصنع بالفتنة المتحدية داخل الفصل؟ أو كيف أغض من بصري كما أمر الله ؟ فقلت له: الق إليها سمعك، وغض عنها بصرك، وركز انتباهك على المكتوب دون الكاتبة

وإن كانت تدرس في مدرسة خاصة بالبنات. . فالمصيبة لا تقل خطراً، إذ كيف تكلف امرأة عارية من الفضيلة بتدريس الفضيلة؟ بل كيف تكلف التلميذات بإرتداء الملابس المحتشمة وتترك المدرسات الفاضلات على حل شعورهن، وكيف تكون التلميذة مثلاً أعلى وأسوة حسنة لمعلمتها، بل كيف يستقيم الظل والعود أعوج؟

أعمى يقود بصيراً لا أباً لكم
قد ضل من كانت العميان تهديه

إن التلميذة عندما ترى هذا التناقض الصارخ بين ما يفرض عليها وبين ما تراه يلح على أنظارها ومسامعها تكفر بكل قيمة فاضلة ومثل رفيع، وحالما تخرج من المدرسة فإنها ستسارع إلى خلع ثياب الحشمة لترتدي زي الشيطان. .

وتعظم المصيبة عندما يسند تدريس مادة «التربية الإسلامية إلى أستاذة ترتدي الميني جيب.

وكتب الدين تحوى بين موادها موضوعات كاملة عن التبرج وآياته. . فإناً لله وإنا إليه راجعون. .

إن هذا التناقض وهذه الإزدواجية في أساليب التربية والتعليم تسببت في توزيع فكر الشباب، واهتزاز القيم في نفسه وإصابته بالصراع النفسي. .

في هذا الجو يعيش شبابنا المفتري عليه، ممزق النفس، حائر اللب، مشتت الفكر، موزع المشاعر بين نداء الدين والفطرة من جهه وبين الحاح الغريزة والطرق الرهيب عليها من جهة أخرى . .

ويتحير الشـــاب . .

من يصدق؟ أيصدق ما سمع في المدرسة والمسجد من قيم عليا ومثل رفيعة؟ أم يصدق ما يضغط به المجتمع على أعصابه ليلاً ونهاراً محطمًا كل ما سمع وقرأ عن العفة والسمو بالذات؟

وفي هذا الخضم من الصراع يسـأل الشـاب نفسـه: هل أحيا مع المجتمع وأتكيف معه أم أقف ضد المجتمع ورغباته التي تخالف وتصادم ما تلقنته من مثل عليا وأتمسك بالدين ولتكن النتيجة ما تكون، أم أنشد مع الشـــاعر:

لقـــد صار قلبـــي قابـــلا كل صورة
فمـــرعـــى لغـــزلان ودير لرهـــبـــان
وبـــيت لأصـــنـــام وكـــعـــبـــة طائـــف
وألـــواح توراة ومـــصـــحـــف قرآن؟؟

وبعد ذلك نشكو مر الشكوى من وجود تنظيمات سرية للشباب تعمل تحت الأرض وفـوقهـا، ونقيم الـدنيا ولا نقعـدهـا، ويجـد رجـال الشرطة في البحث والتحـري، وتعقـد المحـاكـات العسكرية، لشباب جنى عليه ازدواج التعليم وتناقض المجتمع . .

بعـد كل هذا من يستـطيع أن يقول لي: إن الشباب في ظل هذه الأوضاع المعكوسة المنكوسة يستطيع أن يحيا في سلام نفسي، وفي تكيف مع نفسه ومع المجتمع؟؟

* * *

● **مدرس الدين :**

داعية الإسلام بين صفوف التلاميذ . . ماذا يفعل في هذا الجو المشبع بالفساد . . ؟

ينبغي عليه ألا يفر من الميدان ، وألا تكون تناقضات المجتمع والأساليب الفاشلة في التعليم مسوغاً لكي يصاب بالإحباط ويؤدى حصة باهتة خالية من روح الإسلام الحية المتوقدة . .

وهنا لن نضع لأخواننا قوائم بأسماء الجماعات الدينية وكيفية تنظيمها فكثيراً ما يكون هذا الهيكل التنظيمي عملا روتينياً مظهرياً لا يمت الى روح العقيدة بصلة .

والداعية المخلص يمكنه بحيوية مشاعر الإيمان في قلبه أن يفتح مجالات متعددة لدعوته بين صفوف التلاميذ . . يمكنه أن يجد مجالا في إذاعة المدرسة ، بتخصيص يوم يجيب فيه عن أسئلة التلاميذ ، ومن خلال الندوات والمحاضرات ، وصلاة الجماعة فى مسجد المدرسة ، وحديث مركز بعد الصلاة لدقائق يصلح فيه فساد عبادة أو يعلق فيه على حدث عارض يوضح فيه حيوية الإسلام الذي هو كفيل بحل جميع معضلات الحياة . .

ولست أقصد بذلك أن يكون مدرس الدين هو العنصر الإيجابي الوحيد . . كلا . . فهذه طريقة تربوية فاشلة ، وإنما عليه أن يحول جموع الطلبة إلى دعاة إلى هذا الدين ، فإن الطالب عندما يرى نفسه في موقع القدوة ، يستحى أن يرتكب مخالفة لما يدعو إليه . .

إن معلم الدين في استطاعته الكثير ، وبحسن توجيهه وثقة تلاميذه فيه ربما استطاع أن ينقذ فتى أو فتاة من أزمة نفسية أو عاطفية يمكن أن تحطم مستقبل هذا الفتى أو هذه الفتاة . .

ودور المعلم هنا لا نفصله عن دور المسجد ، لأن كلا منهما مكمل للآخر ، وللحديث بقية فى دور المسجد فى بناء الشباب . .

* * *

المسجد ودوره في إعداد الشباب

مرحلة الشباب هي المرحلة الحرجة التي يمر فيها الشباب بتغيرات جسمية ونفسية وعاطفية، ويتعرض فيها للصراع بين المثل العليا والسقوط في حمأة الرذيلة، وللتناقض والازدواجية بين ما يلقنه وما يعيشه وبين ما يسمعه وما يراه.

والمسجد بالنسبة للشباب في هذه المرحلة هو طوق النجاة، والداعية الناجح هو السباح الماهر الذي يستطيع أن ينتشل هذا الغريق من بين أمواج الفتن والظلمات التى تكتنفه من كل جانب. .

ونحن نوجه الحديث هنا إلى الدعاة فقط، ولا نخاطب الموظفين من أجل «لقمة العيش» فهؤلاء نسقطهم تماماً من الحساب. . لله نتحدث مع الدعاة الذين حملوها أمـانـة ملكت عليهم أنفسهم، وسرت في شرايين أجسامهم، فأصبحت هي شغلهم الشاغل وهمهم المقعد المقيم. .

نتكلم مع ورثة الأنبياء لا مع ماسحي «الجوخ» ومصدري الفتاوي وهواة الكراسي الذين انسلخوا من آيات الله، فإن مثل هؤلاء كما قال سيدنا المسيح:

«مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم نهر لا هى تشرب الماء، ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع».

وهؤلاء هم الذين عناهم الشاعر بقوله:

فأمـا الـقـتـال لا قتـال لديكـم
ولكنّ سيراً فى عراض المـواكـب

إن الداعية الذي أخلص لله نفسه هو الذى يجعل من رسول الله - ﷺ - قدوته ومثله الأعلى، فقد كان أباً لكل صغير، وأخا لكل كبير، وملاذاً يلجأاليه الناس لحل ما استعصى عليهم من مشاكلهم، وقد كان المعلم والمشرف الاجتماعي والطبيب النفسي، ولن يستطيع الداعية إلى الله تمثل هذه القدوة إلا بثقافته العالية

التى تنمو يوماً بعد يوم، فرسالته وعلمه هما اللذان يفرضانه على الناس، والعمل الجيد يفرض نفسه. .

وبالطبع لن نستطيع إستيعاب دور المسجد في هذا المجال الضيق ولكننا سنركز على ما يمكن أن يقدمه المسجد للشباب، فالمسجد وحده هو الذي يستطيع أن يقدم للشباب ما عجزت أن تقدمه لهم المدرسة والبيت والشارع ووسائل الإعلام.

يقول علماء النفس في هذا المجال:

إن مرحلة المراهقة هى الفترةالتي يكون الدين فيها بالنسبة للشباب، هو المخرج والمتنفس الوحيد، الذي يحقق له الأمان من الضغوط النفسية، والمشاكل الانفعالية، التي تقع عليه من داخل نفسه وخارجها. .

فليتذكر إخواننا الدعاة أن المعركة ميدانها عقول الشباب، والشباب الذي يعاني من الفراغ الديني يقع فريسة سهلة لا تكلف شيئاً للشيوعية والمذاهب التي تدعو ـ إلى التحلل من ضوابط الدين.

وإن الشيوعيين على ما عندهم من البضاعة المزجاة، فانهم عرضوها على الشباب عرضاً أنيقاً منمقاً، جعل بعضهم يفتتن بهذا المسخ المنحرف للفطرة البشرية. . فكيف بنا ونحن أصحاب الدين الحق نفشل في عرض ديننا عرضاً قوياً مغرياً ينبىء عن حقيقته الرائعة. . ؟

وإن نصيباً كبيراً من هذا التحلل الذي ينتاب الشباب يقع العبء فيه والمسئولية عنه أمام الله في ساحات القيامة على عاتق السادة الذين تخرجوا في جامعة الأزهر، ورضوا من الغنيمة بالشهادات وأكل العيش، وجلهم يعملون في مجالات التدريس كمعلمين ويوهمون أنفسهم أن وظيفتهم الرسمية ليست الدعوة، وليست الوعظ والارشاد، وليست القيادة والتوجيه. .

وهذه المساجد الخاوية على عروشها. . أنذهب الى كليات اللاهوت لنأتي منها بدعاة إلى الله؟

انهم أمام الله يوم العرض لمسئولون، وعن عملهم ماذا عملوا فيه، والى الله نشكوا!!

● **ما الذي يمكن أن يقدمه الداعية إلى الشباب؟ :**

إن شبابنا في طول الوطن الإسلامي وعرضه ما زال بخير رغم حملات التضليل الضارية التي تشن عليه من كل الجبهات المعادية للإسلام . . وشجرة الإيمان مازال أصلها ثابتاً في قلوبهم ، ولكنهم يفتقدون القيادة . . يفتقدون القدوة ، بعد أن أصيبوا بالإحباط وبالغصص في حلوقهم وهم يرون الأكابر كل يوم يقولون ما لا يفعلون . . يسمعون كلاماً رناناً ووعوداً جوفاء يصرح بها اليوم لتبتلع غداً .

والشخصية الوحيدة التي يمكن أن تقدم هذه القدوة حية متجسدة هي شخصية الداعية المخلص ، فيصبح بذلك أجمل عنوان لأعظم رسالة . .

ومهمة الداعية هي أن يقوم بعملية حصار الأباطيل والمبادرة إلى الرد على محاولات النيل من العقيدة ، وتصحيح مفاهيم الشباب من الخلط والخبط الذي تمارسه وسائل الإفساد . .

نريد أن تتحول خطبة الجمعة «مدرسة الجمعة» مدرسة تعالج فيها موضوعات الساعة وقضايا الشباب ، مدرسةتعرض عظمةالإسلام فيمعالجة مشكلات العصر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ونحن لا نلقي بالا للذين يهرفون بما لا يعرفون ويقولون بفصل الدين عن الدولة .

﴿**قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون**﴾(١) .

ولا نريد من الداعية أن يكون دوره هو الدور الايجابي الوحيد . .

فما المانع أن يكوِّن الداعية مكتبة في مسجده بالجهود الذاتية يستطيع كل رواد المسجد الاستعارة منها بموجب إيصال مطبوع يكتب عليه المستعير بياناته فتكون استعارة الكتب منها خالية من تعقيدات المكتبات العامة؟ . . إننا بمثل هذا العمل نستطيع جذب المزيد من الشباب المسلم إلى المسجد وربطه به . .

ما المانع أن يتنازل الداعية عن الدرس بعد صلاة الجمعة ، ليقدم أحد الشباب من رواد المسجد ليلقي موعظة يكون قد أشرف على إعدادها أو يقدم طالباً من كلية

---

(١) الأنعام : ٩١ .

الزراعة، أو الطب، أو الصيدلة، ليقدم إلى جماهير المصلين وجبة علمية إسلامية من خلال تخصصه يفيد منها المسلمون في حياتهم العامة.. إن هؤلاء الشباب سيكونون صفاً ثانياً للدعوة إلى الله..

ومن أحلّ الأعمال التي يمكن أن يقدمها المسجد للفتاة المسلمة أن يخصص الداعية ساعة معينة من يوم معين من أيام الأسبوع لتكون درساً للمرأة المسلمة، والمرأة ليست أقل تأثراً من الرجل في شئون العقيدة وليس هذا بدعاً من الأعمال، فعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال: جاءت إمرأة إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال: «إجتمعن يوم كذا وكذا» فاجتمعن، فأتاهن النبي ـ ﷺ ـ فعلمهن مما علمه الله، ثم قال: «ما منكن من امرأة تقدم ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجابا من النار» فقالت إمرأة: واثنين؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «واثنين»(١).

ومما يزيد من حيوية المسجد واشعار المسلمين بعظمة الإسلام أن تقدم من خلال المسجد نماذج تطبيقية للسلوك الإسلامي في مجال التكافل الإجتماعي بأن يقوم الداعية بمساعدة شباب المسجد بقيادة حملة التبرعات من الملابس والأغطية وغيرها وذلك في بداية فصل الشتاء، ثم يقوم بعد ذلك بتوزيعها على الفقراء..

كل هذا النشاط يمكن أن يقوم به الداعية لمزيد من ربط الشباب بالعقيدة من خلال المسجد، ونحن نقدمها كأمثلة ولكنها ليست نظرية، لأنها طبقت وآتت ثماراً طيبة والحمد لله رب العالمين..

ولعل بعض الأخوة الدعاة قد تجاوزوا هذه المرحلة فهنيئاً لهم توفيق الله لهم..

* * *

---

(١) متفق عليه.

● المسجد ومشكلات الشباب الجنسية والعاطفية:

كما قلنا آنفاً: إن الإسلام لا يدفن رأسه في الرمال، ولا يعامل البشر كملائكة ولم يجعل الجنس عيباً ولا دنساً ولا قذراً إذا كان في إطار من الحدود التي حدها الله ـ عز وجل ـ، وتأسيساً على ذلك فليس هناك مانع على الإطلاق من التعرض لمشكلات الشباب الجنسية والعاطفية سواء أكان ذلك على المنبر أو في الدرس بعد الجمعة..

وليس من المعقول أن تعرض الفضائح على الشاشات، وعندما نأتي لنعالج نتحرج من العلاج، فنكون قد أخلينا الميدان تماماً لهذه الوسائل لتمارس الهدم كما يحلو لها..

ولأن الكلام عن الجنس سلاح ذو حدين، فاننا سنضع بعض الضوابط التي تساعد الداعية في هذا المضمار..

أولا ـ توعية المستمعين بأن الكلام في الجنس للاصلاح أو للتعليم ليس حراماً، فان العلم يضيع بين الكبر والحياء، وهذا رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «يا أيها الناس.. إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن»(١).

ثانياً ـ معالجة الموضوعات الجنسية بصورة مهذبة، وألفاظ غير جارحة للحياء والمشاعر، ولنا في كتاب الله ـ عندما يتحدث عن الجنس ـ أسوة حسنة ومنهج راشد..

ثالثاً ـ عدم تسليط الأضواء على الأفعال الجنسية والدخول في التفصيلات التي تثير الشهوات، فإن الله ـ عز وجل ـ عرض في القرآن قضية الشذوذ الجنسي، وتحدث عن اللحظات الحرجة التى يعلو فيها نداء الغريزة فوق كل نداء.. تحدث عن يوسف وامرأة العزيز.. مشهد جرت تفاصيله داخل حجرة نوم إمرأة العزيز، ومع ذلك لم يكن تركيز القرآن على أنواع العطور التي وضعتها، ولا الملابس التي لبستها، ولا على صنوف المغريات والمهيجات، ولكن التركيز كان مسلطاً على

---

(١) سنن الدرامي.

موقف الترفع والتسامي والاعتصام بالله، وتفضيل النوم وراء القضبان على النوم على الأثاث والرياش ونيل المتعة، فينبغى على الداعية أن يكون غاية همه ليس الفعل في ذاته وإنما الأضرار المترتبة عليه . .

رابعاً ـ على الداعية أن يكون محيطاً بالموضوع الذي يتحدث فيه إحاطة كاملة من شتى جوانبه، وأن تكون عنده خلفيات عنه يحتفظ بها لنفسه، فليس كل ما يقرؤه أو يعلمه يتحدث به إلى الناس، وذلك لأن نسبة عالية من الشباب الذي يستمع إليه قرأ الكثير عن الموضوع الذي يعرضه، فإذا لم يشعر الشباب الذين يستمعون إليه أنهم أضافوا إلى معلوماتهم جديداً، وصححوا مفاهيمهم الخاطئة من منطق الإقناع والحجة، فإن النتيجة ستكون فقدان الثقة بالداعية ومعلوماته معاً . . ولعل في الكتاب الذي بين يديك وفي المراجع التى رجع اليها ما يعينك على كثير مما تريد، وفقنى الله وأياك إلى سبيل الرشاد.

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وان الله لمع المحسنين﴾(١).

* * *

(١) العنكبوت: ٦٩.

أولادنا ثمار قلوبنا، وفلذات أكبادنا، وامتداد لحياتنا بعد فنائنا . .

ونحن إذ نتحدث عن دور الأسرة في تنشئة الأجيال . . فإننا نتحدث عن موضوع له خطره . . فالطفل الصغير أمانة كبيرة بين يدي أبيه وأمه . . وعقله الصغير أرض بكر لم تزرع، وورقة بيضاء لم يخط فيها حرف .

وإذا كنا قد وضعنا وسائل الإعلام في قفص الاتهام بإعتبارها المخرب الأول للأجيال، فإن دور الأسرة في التربية، قد يكون بمثابة الطعم الواقي الذي يجعل عقل الطفل مدرعاً ضد قاذفات الفساد والانحراف، وإلى هذا الدور الخطير الذي تقوم به الأسرة يقول الرسول ـ ﷺ ـ:

«كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه، فأبواه يُهوِّدانه، أو يُنصِّرانه، أو يُمجِّسانه»(١) .

وقبل أن نسترسل في الحديث، فإننا نلفت النظر إلى أننا لن نستطيع تغطية الموضوع من كل جوانبه الدينية والنفسية والاجتماعية . . وربما نعود إليه ـ إن شاء الله ـ في بحث مستقل إذا انفسح العمر . ولكننا سنتكلم عن جوانب أساسية فى التربية يغفل عنها كثير من المسلمين . .

فبعض الناس يعتقدون أن رسالتهم في الحياة هي إنجاب الأولاد، ومنتهى فهمه في تربيتهم هو أن يوفر لهم الطعام والشراب والملبس والمسكن، وأحياناً يرهق نفسه في سبيل تزويدهم بالكماليات والمرفهات . .

وغاية ما يصل اليه في تربيتهم هو أن يجتهد في تعليمهم حتى يحصلوا على درجات عالية تؤهلهم لأن يأخذوا أوضاعهم المادية والأدبية في المجتمع . . وبذلك يكون قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة . . هذا مبلغ علم الكثير من المسلمين . .

وهى ـ لعمر الحق ـ أفكار ومعتقدات لا تنسجم مع مفهوم الإسلام في التربية . . فمطالب الطعام والشراب . . مطالب يشترك فيها الحيوان مع الإنسان،

---

(١) رواه أبو يعلى والطبرانى والبيهقى .

وفهم الأسرة لرسالة التربية والتعليم بهذا الأسلوب الشائع وسيلة من وسائل الدمار والخراب. فالإسلام لا يعامل الإنسان ككتلة من لحم غايتها في الحياة هو «العلف» أو التزود من ماديات الحياة بقدر المستطاع، وإنما يعامله جسداً وروحاً، فتربية الجسم تسير جنباً الى جنب مع تربية الروح، إذا جار أحدهما على الآخر حدث الخلل والأضطراب في النفس البشرية..

ما فائدة أن ألقن ابني العلم، وأسعى في الحصول على مدرسين متخصصين ليكون من المتقدمين في نفس الوقت الذي هو في الأخلاق صفر من كل فضيلة وأدب وتهذيب؟.

إن العلم في هذه الحالة سيكون وسيلة تدمير وهدم وشقاء..

والعلم إن لم تكتنفه شمائل
تعليه كان مطية الإخفاق
لا تحسبن العلم ينفع وحده
ما لم يُتَوَّج ربه بخلاق

ولقد رأينا كثيراً من الأبناء لا أقول تربوا ولكن أقول درجوا على هذا الأسلوب، فصار الواحد منهم بعد ما شب عن الطوق، يصعر خده لوالديه، ويثني عطفه عليهما، ويتنكر لهما إذا كانا من بسطاء الناس..

وشاهدت بعيني رأسى شاباً «متعلما» ـ كان يترك والدته العجوز في البيت.. بيتها الذي سكنه هو وزوجته ـ يتركها ليأتي إليها المتطوعون من الناس يقومون لها ببعض شئونها حتى ودعت الحياة ساخطة عليه وعلى زوجته.. ولقد شاهدته ـ بعد ما أحاط به نكد الحياة ـ يزور قبرها بعد موتها، فقلت في نفسي:

لا ألفِيَنَّك بعد الموت تندبني
وفي حياتي ما زودتني زادي

ثمار مرة يجنيها الآباء والأمهات من عدم التزامهم في تربية أولادهم بهدى الإسلام..

إن رسول الله ـ ﷺ ـ الذي لا ينطق عن الهوى ـ يوجهنا إلى أن نربي أبناءنا على تقوى الله وطاعته وحبه وحده والإخلاص له فيقول:

«مـروا صبيانكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع»(١).

وتقول «كوادينف» وهى باحثة نفسية:

«ان ثمة دلائل على أن نصف البناء العقلي للفرد يتم خلال السنوات الثلاث الأولى من الحياة، والسنون قبل المدرسة، وأعوام المدرسة الابتدائية تمثل الفترة التي يتم فيهـا النمـو الجسدي والعقلي والاجتماعي بصورة سريعة، والعادات التي تتكون في أثناء هذه الفترة صعب تغييرها في فترات النمو التالية كما أن العادات التي لم تتم خلال هذه الفترة عسير انماؤها فيها بعد»(٢).

وهكذا فإن هذه الفترة التي حددها حديث رسول الله ـ ﷺ ـ تمثل أخصب الفترات التى يمكن أن تنمى آداب الإسلام وأخلاقه في نفس الصغير. .

ولكن للأسف فان الغالبية العظمي من الآباء لا ينتبهون إلى توجيهات الإسلام في هذا الشأن. .

فمَنْ مِن الآباء يجلس مع أولاده جلسة عائلية ليناقشوا فيها موضوعاً أخلاقياً على ضوء الإسلام وهديه. . ؟

مَنْ الآباء. . يجلس مع أولاده ويكلف أحدهم بقراءة كتاب مبسط عن منهج الإسلام في معالجة مشكلات الحياة. . ؟

من من الآباء. . يجمع أولاده ليلفت نظرهم إلى أن ما قد تقع عليه أبصارهم على شاشات الإعلام لا يمثل الحقيقة خاصة في قضايا الحب والجريمة. . ؟

من من الآباء يفهم أنه إذ يربي أولاده في المدارس غير الإسلامية إنما يزرع بذور الكفر في قلوبهم النقية. . ؟

(١) رواه أحمد أبو داوود.

(٢) علم النفس التربوى.فاخر عاقل ص ١١٤.

إن الله ـ عز وجل ـ عندما يذكر في القرآن الكريم وصايا لقمان لابنه فإنه يذكر الآباء بمسئولياتهم في التربية . .

﴿واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم . . . . ﴾(١) .

﴿يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير ، يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر(٢) خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً ، ان الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾(٣) .

غرس في قلبه عقيدة التوحيد ثم علمه المراقبة لله الذي يعلم السر وأخفى ، ووجهه إلى إقامة الصلاة ، وعلمه أن يكون عضواً ايجابياً في المجتمع المسلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويصبر على الأذى الذي ربما يصيبه من جراء القيام بهذين الأمرين ، وعلمه أن يمشي متواضعاً ، وأن يتحدث في هدوء بغير صخب أو ضجيج . .

كل ذلك ليوجه الله أنظار الآباء إلى الأمانة التي وضعها بين أيديهم ، والتي سيسئلون عنها في عرصات القيامة «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . . » .

* * *

(١) لقمان : ١٣ .

(٢) الصُّعَر : داء يصيب الابل فيلوى اعناقها .

(٣) لقمان : ١٦ ـ ١٩ .

معاملة الأبناء

من الأساليب التي يعاني منا الكثير من شبابنا أن الولد مهما كبر سنه وعمق فكره ـ فهو في نظر أبويه طفل صغير. .

وهذا الأسلوب من أسوأ أساليب التربية(١)، وقبل أن يقول العلم الحديث في هذا الأسلوب. . قالها نداء الفطرة.

استشاط معاوية غضباً على ابنه يزيد. . فأرسل إلى الأحنف بن قيس، فقال له: يا أبا بحر، ما تقول في الولد؟ قال: يا أمير المؤمنين، ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة، وبهم نصول على كل جليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم، ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً، فيملوا حياتك ويودوا وفاتك، ويكرهوا قربك. . فقال له معاوية: لله أنت يا أحنف، لقد دخلت عليّ وأنا مملوء غضباً على يزيد ولقد أصلحت من قلبى له، فأرسل إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتى ثوب، فأرسل يزيد نصف ذلك إلى الأحنف. .

وكان العرب يقولون: الولد ريحانك سبعاً، وخادمك سبعاً، وهو بعد ذلك صديقك أو عدوك أو شريكك. .

ومن أساليب التربية الناجحة ما وجه اليه رسول الله ـ ﷺ ـ بقوله:

«من كان له ولد فليتقارب له، وليكن معه كما يكون الصبي مع الصبي ملاحقة له».

وقال أيضاً: «من كان عنده صبي فليتصاب له»(٢).

ولقد عرفنا كيف كان رسول الله ـ ﷺ ـ عارفاً بنفسية الشباب وكيف كان يترك لهم الفرص للتعبير عن أنفسهم حتى من خلال خوضهم للمعارك وهم في سن الخامسة عشرة، وكيف كانت أساليب الإقناع التي أقنع بها الشاب الذى جاءه يريد

---

(١) ينبغى على الأبناء في مثل هذه الأحوال أن يعذروا آباءهم فقد يكون حظ الأبناء من التعليم أوفرمن حظ الآباء.

(٢) رواه ابن عساكر وابن بابوية.

الزنا . . معان ساميه في منهج التربية الإسلامية وهذه المعاني نفسها هي التي يدور في فلكها علم النفس المعاصر . .

إن الأب الذكي هو الذى يكسب ثقة أولاده ويشجعهم على الافضاء إليه بمشكلاتهم التي تؤرقهم حتى يستطيع مساعدتهم في حلها، وذلك أجدى للآباء قبل أن يصبحوا آخر من يعلم بعد فوات الأوان . .

وإن الأب الذي يعامل أبناءه بمنطق العصا والأوامر العسكرية يفشل في تربية أولاده، ويعمل على إلغاء شخصية أولاده الغاء كاملاً، ويشعرهم بأنهم عالة عليه، وما زالوا أطفالاً لا يفقهون في شئون الحياة صغيرة ولا كبيرة. . هذا الأب يصيب أولاده بالإحباط والأمراض النفسية، ويدفعهم دفعاً إلى عمل يثبتون به وجودهم، وقد يكون هذا العمل جريمة تؤثر على مستقبلهم ومجتمعهم، وقد يكون المردود ضعفاً في الشخصية، وسلبية في الحياة وفقدان القدرة على التصرف ازاء أي شأن من شئونها يستوى في ذلك الحقير منها والعظيم . .

والحب الذي تفتقده الفتاة، ولم تعثر عليه في بيت أبيها، فإنها ستبحث عنه بظمأ ملح خارج جدران البيت لتسلم نفسها لقمة سائغة لأول طارق أياً كان . .

وهذه توجيهات من وحي أساليب الإسلام في التربية نسوقها كمعالم هامة لتوضيح الطريق أمام الآباء والآمهات . .

● لابد من اتفاق الوالدين على خطة موحدة لتربية الأولاد وتوجيههم حتى لا تهدم الأم ما يبنيه الأب أو العكس، لأن التناقض في أساليب التربية يؤدي إلى عواقب وخيمة في هذا المجال . .

● القدوة الحسنة في الأبوين، فعين الولد معقودة بشخصية أبيه، وعند الأب تقف تطلعات الإبن، وفي تصرفاته تكون نهاية المثاليات بالنسبة له ومن ثم كانت خطورة دور الأسرة التي تضع الخميرة الأولى في صنع لبنات المجتمع . .

عن عبد الله بن عامر قال: «دعتني أمي يوماً ورسول الله ـ ﷺ ـ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطك، فقال لها رسول الله ـ ﷺ ـ «ما أردت أن تعطيه»؟ قالت: أردت أن أعطيه تمراً. فقال لها رسول الله ـ ﷺ : «أما أنك لو لم تعطه شيئاً كتبت

عليك كذبة» (١) .

قال الشاعر:

ينشأ الغلام على ما كان والده
ان الأصول عليها ينبت الشجر

■ يراعي الأبوان العدل بين الأولاد، ونحذر الآباء كل التحذير من الجور في معاملة أبنائهم أو تمييز أحدهم على حساب الآخر وبخاصة إذا كان هذا الآخر من زوجة ثانية . . فتصنيف الأولاد إلى درجة أولى وثانية من الجرائم التي يرتكبها كثير من الآباء في حق أولادهم . . فينبغى على الأب أن يعلم أن التمييز بين الأولاد ـ بغير عذر شرعي ـ يزرع بينهم الأحقاد المرة، والضغائن التي تعمي وتصم، وبذلك يكون الأب قد ساهم في قطع صلة الأرحام فيدخل تحت قوله تعالى:

﴿فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمي أبصارهم﴾(٢) .

فليقدم الأب لنفسه حتى تصله ـ بعد موته ـ دعوة صالحة من ابن غير موتور . .

عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما أنه أتى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: اني نحلت إبني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «أكل ولدك نحلته مثل هذا»؟ فقال: لا، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «فارجعه» وفي رواية: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم»، وفي رواية «فلا تشهدني اذن، فاني لا أشهد على جور». وفي رواية «لا تشهدني على جور» (٣) .

● ينبغي على الوالدين الإشراف التام على الصداقات التي يعقدها أبناؤهم، فان سوء الخلق يعدي، ولا يزال الماء العذب عذباً حتى يختلط بالماء المالح، فيصير ملحاً أجاجاً . .

---

(١) رواه أبو داود والبيهقي في شعب الايمان.

(٢) سورة محمد: ٢٢ ، ٢٣ . (٣) من حديث متفق عليه.

من جالس الجـــرب يومـــاً في أماكنها
لو كان ذا صحـــة لا يأمـــن الجـــربـــا

● ليحذر الأبوان كل الحذر من الشجار على مسمع أو مرأى من أبنائهم فإن ذلـــك يسبب لهم الصراع النفسى والانحراف الخلقي، ويولـد لديهم عاطفـة الكراهيةنحو الطرف الظالم، وقد ينعكس ذلك مستقبلا على حياتهم الزوجية . .

﴿وعاشروهن بالمعروف فأن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ (١).

● التفرقة بين الأولاد في المضاجع قدر الامكان، والزام البنات على الأخص بلبس السراويل(٢) الطويلة عند النوم . .

«وفرقوا بينهم في المضاجع».

● تعويد الأولاد ـ ذكوراً واناثاً ـ على العادات الصحية . . وذلك كتعويدهم على ألا يلبس الإناث ملابس الذكور على الاطلاق . .

● الاشراف على نوع الثقافة والكتب التى يقرؤها الأولاد وتؤثر في تشكيل عقولهم .

● إشعـار الأولاد بشخصياتهم، وذلـك بتحميلهم المسئولية، وإشراكهم في الرأى، ولو كان على سبيل اشعارهم بذواتهم . .

● في مرحلة المراهقة قد تكون مناقشة الأولاد من منطق العقل والاقناع أجدى من أية وسيلة أخـرى . . والأب الذي تكون عصاه كسيف الحجاج بن يوسف يفشل فشلاً محققاً في تربية أولاده وتوجيههم . .

نعم قد يجدى هذا الأسلوب في بعض الأحيان، ولكنه يأتي بمردود سلبي إذا كان هو الأسلوب الوحيد . .

● الاهتمام باستثمار طاقات الأولاد وخصوصاً في مرحلة المراهقة وتشجيعهم على

---

(١) النساء: ١٩.

(٢) وردت أحاديث كثيرة تحض على ذلك.

ممارسة الرياضة والقراءة، وشغل أوقات الفراغ، فأنفسهم إن لم نشغلها بالحق شغلتنا بالباطل، وحتى لا تكون أمامهم فرصة متاحة للأنحراف . .

وقد مضى منهج الإسلام في هذا السبيل . .

يقول عمر ـ رضى الله عنه ـ:

«علموا أولادكم العوم والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا، ورووهم ما يجمل من الشعر».

● للأولاد حقوق على آبائهم، فمن حقهم أن يجلسوا معهم يتبادلون الأفكار والتوجيه والمناقشة في شئون الحياة على ضوء من هدي شريعتنا الحنيفية السمحة . .

* * *

● **تربية الفتاة:**

نحتاج في هذا المقام إلى نوع من التركيز على تربية الفتاة، فالموقف إليها يحتاج لمزيد من الرعاية والعناية، لأن المرأة التى تهز المهد بيمينها تهز العالم بشمالها . .

فالفتاة في سن المراهقة ـ شفافة بريئة . . قليلة الخبرة بالحياة، فهي تنظر إليها من خلال منظار وردي جميل، لأنها بالعاطفة تحيا . .

تنظر إليها على أنها حب، ووفاء، وانطلاق، وزينة وسعادة . . ولم تطلع بعد على جانبها المظلم المفعم بالخداع والمكر والدهاء والغدر . . فما هي إلا أن تسمع عبارات الغزل تنساب في آذانها حتى تتحرك عواطفها

وهنا دور الأب والأم خطير، ومصيبتنا أن الأبوين آخر من يعلم عن إنحرافات أولادهم، لأن عندهم نوعاً من التعامي والثقة العمياء في أولادهم ذكوراً واناثاً، وذلك بحكم العاطفة التي تحكم الكثير من شئون حياتنا . .

فالأب المخدوع في لهو كبير، وشغل شاغل بمطالب الحياة المادية والأم الغافلة قد يصل حنانها على أولادها إلى درجة الدبة التي أرادت أن تذب الذبابة عن وجه صاحبها فقتلته، أو القطة التي أرادت أن تحمي أولادها من الخطر فابتلعتهم!!

هذه الأم التي لا يمكن أن تتصور إبنتها إلا قطة مغمضة العينين من البيت إلى

المدرسة ومن المدرسة إلى البيت، وربما إلى بيت زميلتها «لتذاكر، معها الدروس» ولا شيء قبل ذلك أو بعده، أو فيه . .

وإلى كل أب وإلى كل أم نقول: إن مسئوليتهم في هذه الفترات التي نعيشها مسئولية ضخمة وثقيلة، حيث أن وسائل الإعلام تقوم بشحن جنسي مكثف، وإثارة رهيبة للغرائز، ولفت لأنظار الشباب إلى أساليب الأنحراف الجنسي الذي يسمونه حباً . . كل ذلك يضاعف من مسئولية الأسرة . .

إننا نعيش في عصر الفتن . .

ينبغى على الأب أن يناقش أولاده في المفاهيم التى تبثها وسائل الإعلام وخاصة مفهوم الحب الجنسي، والأم ينبغى عليها أن تقوم بتطعيم أولادها بالطعم الواقي ضد هذه الأفكار الخطيرة التي تقتحم البيوت عنوة لتنسف منها روح الفضيلة والشرف . .

ودور الأم خطير في توجيه بناتها إلى أن شرف البنت هو حياتها، وأن عفتها وسمعتها أغلى شيء في الوجود، وأن ما تسمع أو ترى من أغاني الحب وأفلام الحب إنما هو من عمل جماعة يتاجرون ليكسبوا كثيراً على حساب الأخلاق . .

ولتفهم الأم بناتها بأن الفتاة عندما تخرج ويخرج معها أخوها فإن ذلك ليس معناه عدم الثقة فيها، ولكن لحمايتها من ذئاب الطريق، وأنه عندما لا تنام مع أخواتها في مكان واحد، وعندما ترتدي السراويل في أثناء النوم إنما ذلك وقاية لها حتى لا تنكشف عورتها وهى نائمة، واستجابة لتوجيهات الإسلام في هذا السبيل . . وهكذا . .

ونسوق هذ التحذير الذي نشرته الصحف على لسان الأستاذ حسين نعمان مدير النيابة العامة في القاهرة:

يقــول:

«إن نسبة طالبات الثانوية المتهمات في جرائم الآداب في إرتفاع . . وهذا مرجعه في الأصل كما أسفرت التحقيقات إلى تفكك أسر هؤلاء الطالبات وانشغال رب الأسرة وانصرافه عن رعاية بناته . . حيث لوحظ أن الطالبات يخرجن في أوقات

متأخرة دون أن يتعرضن للسؤال عن كيفية قضاء هذا الوقت بعيداً عن منازلهن، وعند حضور ولي الأمر لأستلام إبنته من النيابة يصاب بالذهول عندما يجد إبنته في مثل هذا الموقف. . ويعلل ذلك بإنشغاله طوال الوقت، ويتعهد أن يتعهدها بعد ذلك بالإشراف والقسوة. .

«يضـاف إلى ذلـك عدم إشراف المدرسة على تلميذاتها الإشراف الكافي من حيث إخطار أهلهن بغيابهن وإنقطاعهن عن المدرسة. .

«وهنـاك نوع من الطالبات ابتعدن عن تعاليم الدين وقيم المجتمع الشرقي حيث يعتبرن قضاءهن الوقت مع بعض الشباب داخل مساكنهم نوعاً من الحرية الشخصية تتطلبه المدنية والحضارة، وللأسف يجدن إستجابة من أسرهن. وهؤلاء أكثر إنتشاراً في الأوساط الاجتماعية «الراقية». . وحتى نحد من هذه الظاهرة يجب تعديل قانون الأحداث بإرجاع سن الحدث كما كان ١٥ سنة بدلا من ١٨ سنة، لأن معظم الطالبات بالثانوى يعتبرن أحداثاً طبقاً للقانون الجديد مما تضطر معه النيابة لتسليمهن لأهلهن أو إحالتهن لنيابة الأحداث لعدم الأختصاص، وتخرج الفتـاة بدون عقاب. . والطباخات والعاملات في الشقق المفروشة يلعبن الدور الرئيسي في التغرير بالطالبات».

ونحن نعلق على هذا فنقول: إن الذي سلك هذا السلوك قلة من الفتيات اللائي نشأن في بيوت لا تلتزم بالإسلام، وإننا لا نشك لحظة في القاعدة العريضة من فتياتنا إبتداء بالصفوف المتوسطة وانتهاء بالجامعة إنهن في طهارة ماء السماء، وفي حالة رجعة عظيمة إلى الإسلام والإحتشام. ولكننا سقنا هذا التصريح من قبيل وضع الاشارة الحمراء لتنبيه بعض الآباء الغافلين والأمهات الغافلات. .

والعلاج ليس كما ذكره مدير النيابة، وإنما العلاج يكون بأن يترجم شرع الله ديناً ودولة وسلوك مجتمع، ويكون أيضاً بتأديب وتهذيب وسائل الإعلام، وحسبنا الله ونعم الوكيل. .

* * *

التقليد ومركب النقص

جعل الله هذه الأمة خير أمة اخرجت للناس، لأن دورها ليس على هامش الحياة، وإنما دورها دور إيجابي قيادي يؤثر في مسار البشرية، ولذلك فإن الله أتبع هذه الخيرية بقوله:

﴿تأمرون بالمعروفِ وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾(١).

ولن يستطيع القيام بهذا الدور الإيجابي في قيادة الدنيا قوم نيام تسلوا عن الحقيقة بالأحلام، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح . .

وقد ركز رسول الله ـ ﷺ ـ على هذا الدور وهو يخاف على شخصية أمته، أن تفني وتتلاشي وتذوب في شخصيات الأمم غير المسلمة، فتذل بعد عز، وتصير تابعة بعد أن كانت متبوعة، فيقول ـ ﷺ ـ:

«من تشبه بقوم فهو منهم»(٢).

وحذرنا الحق من السير في ركاب أهل الكتاب فقال:

﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل ان هدى الله هو الهدى، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا نصير﴾(٣).

ونظرة على حال المسلمين اليوم وموقع شخصيتهم على المسرح الدولي تثير الأسى والأسف، وتستبكى العيون الجامدة على المجد الذي ضاع، وعلى البنيان الشامخ الذي انهار . .

فقلد أصبح الشرق الإسلامي الذي كان يصدر النور إلى أوربا . . يستورد منها الشموع، وبات الغرب مدرسة نحن فيها تلاميذ، وقبلة نحن إليها المتوجهون، ومحراباً نحن فيه المتعبدون، وكاد الإنسان لا يفرق بين بعض العواصم العربية والأوربية فيما يغضب الله، وسيطر علينا مركب النقص، فصارت أزياؤنا باريسية،

---

(١) آل عمران: ١١٠. (٢) رواه أبو داوود.

(٣) البقرة: ١٢٠.

وبيوتنا أمريكية، وعاداتنا أوربية، وعقولنا شرقية غربية.. وكأن رسول الله ـ ﷺ ـ كان ينظر من وراء الغيب حين قال:

«لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم» قيل يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»؟(١).

نعم سرنا وراء الغرب شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى صرنا نقلد بعمى في البصر والبصيرة، وحتى ظهر في بلاد المسلمين من ينادي بفصل الدين عن الدولة، ولم يستطع أن يفهم أن طبيعة الإسلام غير طبيعة المسيحية الغربية التي اصطدمت بالعلم فنحيت إلى الأبد عن ميدان الحياة..

لم يستطيع أن يفهم أنه ليس عندنا ما لقيصر وما لله، بل إن الأمر كله لله..

ولكن ماذا نقول في تقليد كتقليد القرود؟

ورحم الله الشاعر محمد مصطفى حمام حين قال:

كل من قلد الفرنجة منا
قد أساء التقليد والتمثيلا
نشروا الرجس مجملا
فنشرناه كتاباً مفصلا تفصيلا

ويعلق الأستاذ أحمد أمين ساخراً من هذه التبعية العمياء فيقول:

«... فليس في الشرق كله ما يسر، قد جرده الله من كل حسن.. فلا الطبيعة جميلة، ولا المناظر جذابة، ولا شيء فيه يأخذ باللب، ويدعو إلى الاعجاب، والقمر في الغرب أنور منه في الشرق، والبحر الأبيض قد جمل منه ما لامس الغرب، وقبح ما لامس الشرق، وكل شيء في عادات الشرق وتقاليده تعافه النفس، وينفر منه الطبع، وعلى الجملة فالله ـ تعالي ـ الواهب ما شاء لمن شاء قد جمع الحسن كله في ناحية، وقال له: كن الغرب فكان، وجمع القبح كله في ناحية، وقال له كن الشرق فكان، وهم إذا لم يقولوا ذلك كله جهاراً آمنوا به إيماناً،

(١) متفق عليه.

وصدرت عنه أفعالهم، واتجهت إليه حياتهم»(١).

«ويقول الشيخ أبو الأعلى المودودى:

«وكل ما يأتي إليهم من الغرب يعتبرونه مقياساً للحق، ومعياراًللتقدم، ويقلدونه في كل صغير وكبير مستطر وغير مستطر، مع الفارق، أن الغرب مجتهد فيما يعمل، وهم مقلدون لا رأي لديهم ولا تفكير، وأن الغرب يهلك عن بينة، وهم يهلكون عن عمى.. خسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين»(٢).

وهنا سؤال يطرح نفسه: ما موقفنا من حضارة الغرب المادية؟ هل ندفعها جملة ونبقى قابعين بعيداً عن حركة الحياة؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول:

إن الحضارة المادية التى وصل إليها الغرب اليوم لا يرفضها الإسلام، فما هي إلا ثمرة من ثمار العقل البشري على مر العصور، وهي لم تخرج إلى الدنيا طفرة واحدة، بل هي كالبناء الشامخ الذي يساهم فيه كل جيل بوضع لبنات فيه حتى يعلوا البناء ويصبح جميل الرواء.. ولقد كان لعقلية الباحثين من علماء المسلمين ـ ولا أقول العرب ـ نصيب عظيم في تشييد هذا البناء الشامخ للحضارة كما سنرى فيما بعد..

ومن الصعب على أي مجتمع أن يتقوقع، أو يعزل نفسه، فكل إنسان يستطيع الآن أن يطوف العالم كله وهو جالس في بيته أو مسترخ على فراشه بعد أن طوت وسائل الإعلام الزمان والمكان عبر موجات الأثير.

فالإسلام لا يرفض أن تركب سيارة، أو طائرة، فهذه الصناعات الحديثة في مجال النقل السريع هي المشار اليها بقوله تعالى: ﴿**ويخلق ما لا تعلمون**﴾. في سياق الحديث عن الخيل والبغال والحمير، يقول تعالى:

﴿**والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة، ويخلق ما لا تعلمون**﴾(٣).

---

(١) فيض الخاطر ـ للأستاذ أحمد أمين ج ١ ص ٥٤.

(٢) واجب الشباب المسلم اليوم ص ٨.

(٣) النحل: ٨.

والإسلام لا يقف حجر عثرة في طريق صنع صاروخ أو سفينة فضاء، بل هو قد أمر بذلك، قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾(١) .

إذن فالإستفادة من إيجابيات الحضارة المادية شيء مطلوب دينا، لأنه الحكمة التى أشار إليها الرسول ـ ﷺ ـ بقوله:

«الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها»(٢).

وفي رواية ابن حبان:

«الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها، ولا يبالي من أي وعاء خرجت» .

ولقد طبق الرسول ـ ﷺ ـ هذا المبدأ علمياً في هجرته، فكان عبد الله بن أريقط دليل الرسول ـ ﷺ ـ في متاهات الصحراء، وكان الرجل على دين قومه . .

وهذا الكتاب الذي بين يديك استشهدنا فيه بأفكار صائبة لعدد من الكتاب والمفكرين، وربما بيننا وبين الأفكار الأخرى لبعضهم بعد المشرقين . .

نعم . . نستورد الآلات والمصانع والخبرات، ولكن لا نستورد معها الأفكار إلا إذا كانت تنسجم مع الفكر الإسلامي ومنهجه . . فهناك بون شاسع بين ديننا ودينهم، ومناهجنا الفكرية ومناهجهم، وأوضاعنا الاجتماعية وأوضاعهم . .

● **دور علماء المسلمين في بناء الحضارة:**

ألف في هذا الموضوع مجلدات، ولذلك فإننا سنعرض عليك شهادات من أهل هذه الحضارة المادية الذين أعجبوا بالعقلية المسلمة الفذة، فلم يملكوا سوى أن ينسبوا الحق لأهله . .

يقول المستشرق «سخاو»:

«إن البيروني من أضخم العقول التي ظهرت في العالم، وإنه أعظم علماء عصره، ومن أعظم العلماء في كل العصور» (٣) .

---

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) تاريخ العلم للدكتور عبد الحليم منتصر ص ١٥٤.

ويقول المستشرق الأمريكي «أريو بوب»:

«في أية قائمة تحوى أسماء أكابر العلماء، يجب أن يكون لإسم البيرونى مكانه الرفيع، ومن المستحيل أن يكتمل أي بحث للرياضيات أو الفلك أو الجغرافيا أو علم الإنسان أو المعادن دون الاقرار بمساهمته العظيمة في كل علم من تلك العلوم..

«انه لفي الإمكان تجميع عدد كبير من الاقتباسات من مؤلفات البيروني كتبها من ألف سنة، وهي تسبق كثيراً من المناهج والمواقف العقلية التى يفترض أنها حديثة»(١) .

عندهم اصطدم العلم بالكنيسة، فكفر الناس بالدين.. لم يحدث هذا عندنا..

عنـدهم أساطير يونانية أثرت في طريقة تفكيرهم، وفي تصورهم للألوهية.. لم يحدث عندنا شيء من هذا القبيل..

حرفت كتبهم المقدسة.. عندنا كتاب الله لم يبدل فيه حرف..

إذن ففلسفتهم مرفوضة، وأخلاقهم مرفوضة، وعقائدهم مرفوضة، ونظمهم الاجتماعية مرفوضة، وعلى الجملة كل ما يمس العقيدة من قريب أو بعيد محظور في أرض الإسلام، ومرة أخرى «الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها، ولا يبالي من أى وعاء خرجت».

* * *

ولقـد أصـدرت أكـاديمية العلوم السوفييتية سنة ١٩٥٠ مجلداً علمياً بعنوان «البيروني» نشر تحت اشراف المستشرق تولستوف بمناسبة مرور ألف سنةهجرية على مولـده، كما صدر في الهنـد المجلد التـذكـارى للبيروني سنة ١٩٥١ يحوي عشرات البحوث، والمقالات عن البيروني وذلك احتفالاً بذكراه. واعترافاً بفضله»(٢) .

(١) تاريخ العلم ص ١٥٤.

(٢) ص ١٦٤ المرجع السابق ص ١٥٥.

ويقول العلامة «أرنولد توينبي في كتابه «دراسة في التاريخ»:

«وضع ابن خلدون في مقدمة تاريخه، فلسفة للتاريخ، ولا شك في أنها أعظم عمل من نوعه ابتكره عقل في أي زمان ومكان» (١).

ويقول العلامة «ول ديورانت» في كتابه «قصة الحضارة»:

«ولما مات الواقدى، ترك ستمائة صندوق من الكتب يحتاج كل منها الى رجلين لحمله، وربما ملك الصاحب بن عباد من الكتب في القرن العاشر ما يقدر حينئذ بما كان في مكتبات أوربا مجتمعة. وبلغ الإسلام في ذلك الوقت أوج حياته الثقافية، وكنت تجد في ألف مسجد منتشر من قرطبة إلى سمرقند، علماء لا يحصيهم العدد، كانت تدوي أركانها بفصاحتهم» (٢).

ويقول «مايرهوف» في كتابه «تراث الإسلام»:

«وفي ذلك العصر.. عصر القوة العظمي، وجلال الحكم الإسلامي ورخائه، أشرف رجل مسلم بهامة الجبار، وألقي بظله على العالم في القرون الوسطى في الشرق والغرب، هو ذا جابر بن حيان».

وقال الدكتور «جوستاف لوبون» في كتابه «حضارة العرب»:

أما الأبحاث التى أجراها المسيو «رينو» والمسيو «فافيه» والتي سبقهم إليها «كاسيرى»، و «أندريه» و «فياردو»، فأثبتت بوضوح أن البارود ذا القوة الدافعة باعتباره مادة متفجرة تعمل على دفع القذائف.. اختراع عربي أصيل لم يشارك العرب فيه أحد» (٣).

ويقول «سيديو» في «تاريخ العرب العام»:

«ولقد رأينا أنه منذ القرن التاسع حتى القرن الخامس عشر، قد تكونت مجموعة من أكبر المعارف الأدبية في التاريخ، وظهرت مصنوعات ومنتوجات متعددة، واختراعات ثمينة تشهد بالنشاط الذهني المدهش في هذا العصر، جميع ذلك تأثرت

(١) مآثر العرب على الحضارة الأوربية لجلال مظهر ص ١٦٤.

(٢) المرجع السابق ص ٤٢.

(٣) المرجع السابق ص ١٧٨.

به أوربا بحيث يؤكد القول بأن العرب كانوا أساتذتنا في جميع فروع المعرفة» (١).

تلك أمجاد المسلمين.. وهؤلاء آباؤنا

أولئك آبائي فجئني بمثلهم
اذا جمعتنا يا جرير المجامع

ولقد أستعرضت هنا هذه الشهادات كمحاولة لأخراج عقدة النقص التي ابتلينا بها، فإذا شخص الداء سهلت معرفة الدواء..

إن العالم الإسلامي اليوم مازال قادراً بعقول بنيه على انتزاع مركز القيادة والتوجيه ليصبح محور الدنيا كما كان في أمسه المجيد..

لا ينقصنا شيء من مقومات الحضارة المادية:

عندنا العقول.. عندنا الثروة البشرية.. عندنا المال.. عندنا الخبرات.. عندنا الموقع الاستراتيجي..

إذن لماذا تخلف العالم الإسلامي عن أمم الأرض؟!..

لأنه ينقصنا أهم شيء وأخطر شيء ألا هو الإيمان بالله بالمعنى الحقيقي.. نعم الإيمان بالله وحده هو الذي يستطيع أن يفجر هذه الطاقات، ويومها سيعود المسلمون خير أمة أخرجت للناس..

يقول «مرماديوك بكتل»:

«إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في الدنيا الآن بنفس السرعة التى نشروها سابقاً إذا رجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول، لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم».

ولله الأمر من قبل ومن بعد..

* * *

(١) المرجع السابق ص ١٨٥، ١٨٦.

تربية الضمير

لا يتم بناء الأمم إلا ببناء الرجال، وبناء الرجال لا يأتي بدون ضمير حي يقظ، ولا يربى الضمير إلا في ظل العقيدة. .

إن الضمير هو المحكمة الالهية في النفس البشرية. . المحكمة التي تصدر أحكاماً فورية لا تقبل نقضاً ولا استئنافاً. .

فإذا ما أحس الإنسان وأجاد كان الأجر راحة فى النفس، وسعادة في القلب، ورضا وسروراً ولذة وحبوراً. . وإن كانت الأخري كان الجلد بدون جلاد، ولذع السياط بلا سياط. . قلق. . أرق. . تمزق. . شعور بالذنب يقض المضاجع، ويمنع لذة الكرى عن الأجفان. .

إنه النفس اللوامة التي أقسم بها الحق ـ عز وجل ـ في كتابه فقال:

﴿لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾(١).

إنه القلب الذي عناه الرسول ـ ﷺ ـ في قوله:

«البر ما اطمأنت إليه النفس، وأطمأن إليه القلب، والأثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك»(٢).

ويخطيء من يعتقد أن للضمير مدرسة يربي فيها غير مدرسة العقيدة، ولذلك نجد أن محمداً ـ ﷺ ـ ربي الرجال على مراقبة الله وخشيته، ثم فتح بهم الدنيا بعد ذلك. .

لم يربيهم في منظمات ولا أحزاب، ولا معاهد للأشتراكية، وإنما رباهم على مائدة القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم.

﴿يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير﴾(٣).

---

(١) القيامة: ١ ، ٢.

(٢) من حديث رواه أحمد والدرامي بأسناد حسن.

(٣) لقمان: ١٦.

علمهم أن الله مطلع على خفايا النفوس وأسرار القلوب، فهو بكل شيء محيط، ولو كان هذا الشيء مثقال حبة من خردل في داخل صخرة صماء ملساء فعلمها عند الله . .

ولقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن المجتمعات التي تظن أنها بالقوانين الأرضية ورجال الشرطة، وشرطة الآداب تستطيع أن تجعل المجتمعات في حالة أنضباط دائم . . هذه المجتمعات واهمة . .

فما من يوم ينشق فجره إلا وتطالعك صفحات الصحف وهي تسيل بأخبار الإختلاسات والسرقات والعمولات والكسب غير المشروع، واحصاءات رهيبة للشركات التابعة للدولة والتي حققت بجدارة أبشع أنواع الخسارة . .

عصابات خطف النساء لهتك أعراضهن . . لن تعالج بالشرطة . .

عصابات حرق المصانع والعهد . . لن تعالج بالقوانين الأرضية . .

عصابات التزوير والنصب على البسطاء والسذج . . لن تعالج بالتشريعات الوضعية . .

شبكات السرقة المنتشرة في طول البلاد وعرضها . . لن يجدي تتبع رجال الاستخبارات لها . .

ويكون مثلنا في معالجة هذه الظواهر المدمرة كمريض بالزائدة الدودية يحتاج إلى مبضع الجراح . . فتعمل له كمادات ساخنة عساها أن تخفف الألم . . إن المريض سيموت قبل التفكير في إستدعاء الطبيب!!

والعلاج . . هو الإسلام . . والإسلام وحده . .

ماذا يصنع التشريع الوضعي في:

المدرس الذي لا يراقب الله في عمله، ويهمل إجادة عرض دروسه، ليجد التلميذ نفسه مضطراً إلى درس خاص . . ؟

والطبيب الذي يهمل فحص مرضاه في المستشفي ليضطرهم إلى الذهاب اليه في عيادته الخاصة . . ؟

والموظف الذي يتقاضى الرشوة لينجز أعمال المراجعين؟

والعامل الذي يخرج العمل من بين يديه مختلا وفي استطاعته الإتقان والإحسان؟

والمحامي الذي يستغل ثغرة في القانون الوضعي ليلبس الباطل ثوب الحق؟

و. . . . و . . . . والواوات لا تنتهي . .

ولا ترجع الأنفس عن غيها
ما لم يكن منها لها زاجر

وضعنا الخطط الخمسية والعشرية، وكتبنا المواثيق والورقات، وركزنا على الإنسان كجسد. . كطين. . ككم من اللحم، لا كيف من العقل والروح والخلق، وظننا أننا بالاعداد الغفيرة التي تفرخها المدارس والجامعات قد أصبحنا شيئاً في دنيا الناس. . ولم نعلم أن العلم وحده بلا خلق، بلا ضمير، بلا مراقبة الله وخوف من عقابه، يصبح أسرع وسائل الهدم والخراب والتفنن في صنع الجريمة، ويصبح دور معاهد التعليم تخريج أفواج مشوهة، منحرفة عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها. .

ولقد صدق «تيودور روزفلت رئيس أمريكا الأسبق حين قال:

«إن الرجل الذي لم يذهب إلى مدرسة قط قد يسرق عربة قطار، أما إذا كان قد استوفى حظه من التعليم الجامعي، فإنه يسرق الخط الحديدي كله».

ولقد قرأنا جميعاً منذ سنوات عن الجريمة الشنعاء التي ارتكبها رجل إنجليزى قتل خليلته الحسناء بعد أن عاشرها خمس سنوات ثم قطع جسدها إرباً إرباً ووضعه في حوض مملوء بحمض الكبريت، ليذوب جسدها تماماً. .

فانظر ماذا يصنع العلم بلا ضمير؟

ولننظر إلى الضمير في أوربا وكيف خربته حضارة المال والجنس، وأقرب مثل على هذا الخراب عندما انقطع التيار الكهربائي ساعة عن نيويورك. . لقد حدث انفجار في السلب والنهب والسطو في أعماق الظلام، وكأن جموع الشعب قد تحولت إلى عصابات من اللصوص وقطاع الطرق. .

أين حدث هذا؟ إنه حدث في عاصمة الدنيا وقمة الحضارة . . في «نيويورك»!!

ولعلك قرأت عن «بي بي» بريجيت باردو التي تزعمت الدعوة المقامة في مرسيليا ضد الدكتور «شارل» الذي يجري التجارب على الحيوانات وهي ما زالت حية: «يقوم بأفعاله - حسب أقوال بريجيت - في ظروف فظيعة، وهي تتساءل في ألم: هل يجب التضحية بالحيوان في سبيل الإنسان»؟.

هل رأيت الرقة؟ هل رأيت العذوبة؟

هل رأيت إلى أي مدى وصل خراب الضمير الذي لا يستيقظ لقتل آلاف البشر - لا أقول المسلمين - في أنحاء المعمورة، ولا يستيقظ لتشريد الملايين الذين يفترشون الجليد ويلتحفون البؤس والمسغبة. وفي الوقت نفسه يذوب من رهافة الحس على الحيوان»(١).

﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾(٢).

وبعد . .

فإنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . . لقد كانت تبلغ يقظة الضمير في المسلم إلى درجة لا يمكن أن يوجد لها نظير إلا في مجتمع يتربى على الإسلام منهجاً وسلوكاً . .

عن ابى هريرة - رضى الله عنه - قال: أتى رجل رسول الله - ﷺ - وهو في المسجد، فناداه فقال: يا رسول الله، إني زنيت، فأعرض عنه . . ردد عليه أربع مرات . . فلما شهد على نفسه أربع شهادات . . دعاه النبي - ﷺ - فقال: «أبك جنون» قال: لا ، قال: «فهل أحصنت»؟ قال نعم، فقال النبي - ﷺ -: «اذهبوا به فارجموه»(٣).

وعن أبى نجيد عمران بن الحصين الخزاعي - رضى الله عنه - أن امرأة من جهينة أتت رسول الله - ﷺ - وهي حبلى من الزنا، قالت: يا رسول الله ، أصبت

(١) نعم يأمرنا الاسلام بالرفق بالحيوان ولكن الإنسان أولى.

(٢) الكهف: ١٠٣ ، ١٠٤ (٣) متفق عليه.

حداً فأقمه على، فدعا نبي الله ـ ﷺ ـ وليها فقال: «أحسن اليها، فإذا وضعت فأتني. ففعل، فأمر نبي الله ـ ﷺ ـ فشدت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها، فقال له عمر: تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت؟ قال: «لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم. وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله ـ عز وجل ـ»(١).

صور مشرقة للضمير الحي اليقظ الذي تربى في مدارس الايمان..

فمتـــى نفقه؟

متـــى نتعـلم؟

متى نعلم أن المجتمع الذي تخضعه الأساليب «البوليسية» هو مجتمع من العبيد؟

* * *

(١) رواه مسلم.

تعليم الجنس

«علموا أولادكم الجنس» آخر صيحة في العالم الإسلامي وفاء بالعهود التي قطعها الشرق على نفسه بأن يترسم خطى الغرب شبراً بشبر وذراعاً بذراع . .

وعندما أسمع واقرأ هذه الصيحات، فانني أتذكر ـ على الفور ـ أبا نواس حين رفع عقيرته قائلا:

دع عنك لومي فإن اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء

وقول الأعشى إذ يقول:

وكأس شربت على لذة
وأخرى تداويت منها بها

فالشفاء من الخمر مزيد من الخمر، والشفاء من الجنس مزيد من الجنس، وعلاج المريض بالتخمة مزيد من الطعام حتى يموت . .

هذا هو منطق سدنة الجنس في بلاد المسلمين. ومعاذ الله أن تكون هذه الصيحة من بنات أفكار علمائنا الكبار، ولكنها للأسف أفكار مستوردة من الغرب المنهار، والمسألة بالنسبة اليه مسألة وقت لتذهب حضارته المادية إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم . .

والشيء العجيب والمذهل حقاً أن أية «مودة» في العالم سواء أكانت فكرية أم مادية يتلقفها سدنة الغرب عندنا بعد أن تصبح «مودة قديمة» لنبدأ من حيث بدأوا لا لنبدأ من حيث انتهوا، وكأننا ـ في وضعنا الراهن ـ قد غزونا الفضاء، وصنعنا القنابل الذرية، وصرنا في مقدمة ركب البشرية، ولم يبق إلا «تعليم الجنس».

وهاكم النتائج في بلاد الجنس:

في السويد يتعلم الأطفال الجنس من السابعة حتى السادسة عشرة، فماذا كانت المحصلة؟ كل فتاة هناك تستطيع ان تدعو أي شاب تريده في بيتها وعلى مسمع

ومـرأى من أبيهاوإخوتها، وأخواتها، وبالتالي.. انخفضت نسبة الزواج.. عدد ضخم من المواليد غير الشرعية.. إحصـاءات مروعة عن الإنتحار والجنون.. تحولت مصحات الأمراض الصدرية إلى مستشفيات للأمراض النفسية والعقلية..

فهل نجح تعليم الجنس - يا سادة - في إنقاذ الشباب من الضلال الجنسي، وصحح عندهم المفاهيم الجنسية، ووضع الطاقة الجنسية على طريقها الصحيح.. أم كان تعليم الجنس هو الوقود الذي يلقى به في جحيم الشهوة لنقول هل من مزيد..

«كتب القاضي بن لندسى « Ben Lindsey » الذي أتيح له الأطلاع الواسع على أخلاق النشء الأمريكي، لكونه رئيس لمحكمة جنايات الصبيان « Juvenile Court » بدنفر « Denver »يكتب في كتابه «تمرد النشء الجديد» « Revolt of modern youth » : «إن الصبية في أمريكا قد أصبحوا يراهقون قبل الأوان، ومن السن البـاكرة جداً يشتد فيهم الشعور الجنسي». وبحث هذا القاض عن أحوال ٣١٢ صبية على سبيل النموذج.. فعلم أن ٢٥٥ صبية منهن - كن -دركن البلوغ فيا بين الحادية عشرة والثالثة عشرة من سنى أعمارهن - يوجد فيهن من أمارات الشهوة الجنسية والمطالب الجنسية والمطالب الجسدية ما لا يكون عادة في بنات الثامنة عشرة فمن فوقهن سناً»(١).

وكـذلـك يذكر الدكتور أديث هوكر« Edith Hooker » في كتابه: القوانين الجنسية. « Lows of Sex »: انه ليس من الغريب الشاذ حتى في الطبقة المثقفة أن بنات سبع أو ثمان سنين منهن يخادن لذاتهن من الصبية تلوثن معهم بالفاحشة... (٢).

ويعلق كاتب أمريكي على هذا فيقول:

«إن الأوضاع التي يعيش فيها معظم أناسنا في هذه الأيام تبعد عن الفطرة بعداً يجعل الفتية والفتيات يشعرون بدبيب الحب في نفوسهم من سن الخامسة عشرة،

(١) الحجاب ص ١٠٠ وما بعدها. (٢) المصدر السابق..

وساء ذلك مصيراً، لأن الولوع بالأمور الجنسية الناشيء فيهم قبل الأوان قد يعود عليهم ـ بل هو دائما يعود ـ بأسوأ ما يكون من النتائج، وأهونها ان البنات في سن الصبا يفررن مع أخدانهن، أو يتزوجن في السن الباكرة، وينتحرون إن هن لقين في غرامهن الخيبة والفشل»(١).

وعن كتب الجنس المقررة في بعض مدارس بريطانيا تقول صحيفة «تريبيون»:
«إن الأطفال في سن الثامنة أصبحوا يتلقون التربية الجنسية في بعض مدارس مختارة من المدارس الإنجليزية..

«وهناك خمسة من الكتب الجنسية يختلف بعضها عن بعض في المستوى ويتعلم منها التلاميذ والتلميذات منذ هذه السن: الحمل عند الإنسان والحيوان..
«والكتابان الثاني والثالث منها مخصصان لتلاميذ وتلميذات السنة العاشرة إلى الرابعة عشرة، ويعلمان الفروق بين الذكورة والأنوثة..
«والكتابان الرابع والخامس يعلمان الأمراض السرية، والمسئولية الإجتماعية الجنسية والأنحراف الجنسي، ثم لمن هم فوق السادسة عشرة يعلمان «طرق الوقاية من الحمل»(٢).

هذه النوعية من الثقافة الجنسية التي يريد بعضهم منا أن نزود بها أبناءنا بل يذهب بعضهم الآخر إلى أبعد من هذا فيقول للآباء: بأنه لا مانع من أن يبدل الأب ملابسه أمام ابنته الصغيرة المميزه التى تدرك معنى العورة..
تعالوا بنا إلى بريطانيا التي طبقت المناهج السابقة لنرى دراسة نسائية من قلب بريطانيا تهاجم تعليم الجنس وترفضه بشدة لمردوده الخطير على النشء هناك..
تقول الصحيفة التي قامت بعرض الكتاب:
«صدر في لندن كتاب جديد أثار ضجة بين الآباء والأمهات.. الكتاب يدعو

(١) الحجاب ص: ١٠٠، وما بعدها.
(٢) الفكر الإسلامي ص ٢٥٧.

إلى رفض تعليم أولادهم الجنس في المـدارس، وإلى العـودة إلى الفضيلة وإلى التقاليد، وإلى إحترام الفتيات لأنفسهن، والبعد عن موجة الإباحية التي سادت لسنوات طويلة في دول الغرب . .

يقول الكتاب :

«إن الرجل مهما كان تفكيره يفضل أن يتزوج من فتاة لم تجعل نفسها في متناول الآخرين، وإن القول بأن «الموضة» هو تعلم الجنس وإباحة الحديث عنه وإطلاق الواقعية عليه، هذا الأسلوب هو مجرد هراء ولغو فارغ . .

«وضع هذا الكتاب سيدتان هما الدكتورة «مارجريت وايت» و «جانيت كيد» وقد طلبتا من كل فتاة رفض دعوة أي رجل تشم منه رائحة ممارسة حياة الفوضى . . وطالبتا الآباء بأن يعلموا أولادهم منذ الصغر على الحياء في مناقشة الأمور الجنسية، والابتعـاد عن المـوجة المدمرة التي تطالب باسم «المودة بنشر التعليم الجنسي في المدارس، والذي بدأ فعلاً في العديد من المدارس الأوربية . .

ويعالج الكتاب مرحلة خطيرة في حياة الفتيات هي مرحلة المراهقة . .

«فعندما تبلغ الفتاة من العمر ١٦ عاماً . . يكون من الصعب عليها اتخاذ قرار حازم تجاه هذه الأمور . . وغالباً ما تجد نفسها مضللة وتتحرك وفقاً لعواطفها وليس وفقاً لعقلها . .

وتقول المؤلفتان في كتابهما الذي يحمل عنوان «التعاليم الحقيقية للجنس» : إن الآباء والأمهات يجب أن يتقربوا من الأبناء بشكل يجعل من السهل توافر الثقة والإقتناع العقلي، ويجب أن يزرعوا فيهم بدلا من الخوف من الجنس . . حب النقاء والطهارة تمهيداً لحياة زوجية نظيفة . . وعليهم أيضاً أن يقنعوهم بأن التحرر من القيم والأخلاق لا يمكن أن يجعل أياً من الجنسين يثق في الآخر . .

«وذكر الكتاب : أنه قد تقع الفتاة في تجربة حب مع شاب ما، وقد تبلغ والدتها هذه القصة، ولكنها تخفي عليها فيما بعد التفاصيل الأخرى، وتكون بذلك وقعت في مشكلة وحـدهـا . . وتجـد نفسها تنخرط في حياة تفقد فيها احترامها لنفسها واحترام الآخرين لها . .

وهكذا نجد أن رسول الله ـ ﷺ ـ يلقي على مسامع الأمة وأعينها درساً عملياً في أن الشباب المسلم لابد أن نحقق له ذاته، ونفسح له المجال ليعبر عن نفسه من خلال أخطر الأعمال وأجلها . .

ولقد وعى خلفاء رسول الله ـ ﷺ ـ الدرس فكرموا الشباب، واحترموا فكرهم، وأشركوهم بالرأى والفعل في أعظم الأمور وأخطرها . .

يقول ابن شهاب الزهرى موجها حديثه الى الشباب:

«كان مجلس عمر ـ رضى الله عنه ـ غاصا بالعلماء والقراء كهولا وشباباً، وربما استشارهم. فكان يقول: «لا يمنعن أحدكم سنه أن يشير برأيه، فان الرأى ليس على حداثة السن، ولا على قِدَمه، ولكنه أمر يضعه الله حيث يشاء».

وكان يقول: «عليكم بأراء الاحداث، ومشاورة الشباب فان لهم أذهانا تفل الفواصل، وتحطم الزوامل».

نعم ـ ولا عجب فى ذلك . .

فرأي الفتـــى ، وعقول الفتيان هي العقول الصافية الثاقبة التي لم تنل منها مثبطات الحياة . .

والشباب بفكره البكر، وبروح الإيمان المتوقد بين جوانحه لا تختلج في نفسه معاني الخوف والتردد . . فروحه ـ دائما ـ هي روح الإقدام لا الإحجام، والإقبال لا الإدبار، ومنازلة مخاطر في الحياة دونها الموت . .

ومن ثم فإن فكر الشباب وعقيدته هي التي توقظ الأمة من سباتها، وتحرك فيها الآمال إلى مستقبل أفضل . .

ومـا كانت ثورة «الفتى» ابـراهيم على الأصنام المعبودة وتحطيمه لها إلا فكراً جديداً أيقظ النائمين، ونبه السكارى والمخمورين . . أن لا معبود الا الله . .

وما تمرد فتية الكهف على الطواغيت الحاكمة إلا رفضاً لأفكار عفنة، وإحياء للفطرة المتجددة التي حمل لواءها الشباب.

﴿لن ندعوا من دونه الها لقد قلنا اذن شططا﴾(١).

(١) الكهف: ١٤.

﴿فطرة الله التى فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾(١).

وأظن أن دعاة الجنس والداعين الى تعليمه بالأساليب الغربية ـ اقتنعوا تماماً بأنهم يستوردون «المودات» بعد أن تصبح قديمة، وبعد أن تثبت فشلها الذريع. .

وجل هؤلاء عندما يكتبون عن الجنس فانهم ينقلون نقلاً عن كتب الغرب، أو يستلهمون روحه على الأقل، وما دام الكاتب قد وضع صورة عارية على الغلاف، وعدة مناظر تصف أعضاء الرجل والمرأة، وغشاء البكارة، ووسائل منع الحمل فإنه بذلك يكون قد أنقذ الشباب من دياجير الجهل الجنسي، وحل لهم مشكلات الجنس. .

وتراهم يعرضون في كتبهم ومجلاتهم نماذج من الرسائل توضح أن الشباب في ضلال جنسي مبين، وأن المجتمع قد جنى عليهم، وأنهم ضحية الجهل الجنسي. .

وإننا ننصح الداعين إلى تعليم الجنس بالصورة السابقة، وبالذات «دكاترة» المجلات الجنسية، بأنهم سيقعون فيما وقع فيه «سيجموند فرويد» عندما عمم حكم المرضى على الأصحاء. .

نعم. . هناك شباب عنده أمراض تتصل بالجنس، وهي حالات فريدة تعالج عند المتخصصين، وليس بسبب هذه القلة أن يصبح شبابنا ـ عن بكرة أبيه ـ مصاباً بالأمراض الجنسية. .

ولو أننا درّسنا «التربية الجنسية» بالصورة المزعومة، وعلمناها للتلاميذ والتلميذات، فهل يستطيع أحد جهابذة الدعاة إلى الجنس وتعليمه أن يضمن لنا أن الفتى والفتاة لن تحدثهم أنفسهم بالتجربة، ليكشفوا سراً من الأسرار التي طالما شحنت بها عقولهم، وغذى بها خيالهم خاصة في هذا الجو الرهيب الذي كل شيء فيه يدعو إلى الجنس، ويحض عليه، وييسر سبل الوصول إليه. .

---

(١) الروم: ٣٠.

وقد أدركنا مما سلف ماذا كانت نتيجة البيئات المهيجة، وكيف أنّ الأطفال قد أصبحوا يبلغون الحلم قبل أوان البلوغ، وذلك من شدة الطرق الرهيب.. والمثيرات الجنونية والفضائح التي تملأ أسماع وأبصار وأفئدة الصغار والكبار..

فما بالكم لو أنه درس.. ؟! ..

* * *

لم يترك الله ـ عز وجل ـ الإنسان يتخبط في أي شأن من شئون الحياة. . يستوي في ذلك الحقير فيها والجليل، وكيف ذلك وهو الذي شمله بعنايته ورعايته، منذ أن نطفة في ظلمات الرحم إلى أن يصير في ظلمات القبر؟

﴿من نطفة خلقه فقدره. ثم السبيل يسره. ثم أماته فأقبره﴾(١).

والعجيب حقاً ـ وأكثر ما نحن فيه يدعو إلى التعجب ـ أنني قرأت طائفة من كتب علم النفس، وركزت فيها على موضوع التربية الجنسية، وانتظرت أن يشير أحد إلى توجيهات الإسلام ـ فيما يتصل بالجنس ـ كافية لكل ما يمكن أن يلقن من معارف متكاملة متسلسلة في مراحل حياة الإنسان من الطفولة إلى الرجولة ـ فأرجع بغصة في حلقي اللهم إلا القليل من وعاة الباحثين الذين يدركون أن الإسلام ليس جملة من المواعظ تدعو إلى الأخلاق فحسب، وإنما هو منهاج حياة كامل. .

وغالب ظني أن هؤلاء الذين لم يشيروا إلى منهج الإسلام في التربية الجنسية ـ لم يقرأوا أصلا في الإسلام، وليس عندهم أية خلفيات عنه. . وهو جهل لا يعذرون به!!

إن الإسلام متمثلاً في الكتاب والسنة، تحدث عن أصل الإنسان، وأطوار خلقه في بطن أمه فقال ـ تعالى:

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين﴾(٢).

وعن مواضع إفراز المني:

﴿فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب﴾(٣).

(١) عبس: ١٩ ـ ٢١. (٢) المؤمنون: ١٢ ـ ١٤. (٣) الطارق: ٥ ـ ٧.

وتحدث عن كل ما يحتاجه الإنسان من معارف في هذا السبيل، وليس هناك داع لأن نكرر ما ذكرناه مبثوثاً بين صفحات هذا الكتاب . .

ومن الأدب الرفيع الذى ربى الله به المؤمنين ليربوا به أبناءهم قوله تعالــي ـ:

﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات، من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشـاء، ثلاث عورات لكم، ليس عليكم ولا عليهم جنـاح بعدهن طوافـون عليكم بعضكم على بعض، كذلـك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم. واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم، كذلك يبين الله لكم آياته، والله عليكم حكيم﴾(١).

ففى هاتين الآيتين أدب الله ـ عز وجل ـ المسلمين بآداب حكيمة، وهو أنه لا بد للأطفال المميزين الذين لم يبلغوا الحلم أن يستأذنوا على أهليهم في هذه الأوقات الثلاثة، لأنها مظنة رؤية العورات، إذ هي أوقات الراحة، وخلع الثياب أو تبديلها أو قضاء الحاجات بين الرجل وزوجته . .

فالعليم الخبير بخفايا النفوس يضع هذه الموانع والضوابط، حتى لا نستلفت أفكار الأطفال، ونشغلهم قبل الأوان بمثل هذه المعاني، والطفل في هذه السن تنشط عنده غريزة حب الاستطلاع، وإكتشاف العالم من حوله، وقد مر بنا كيف أن الأطفال يبلغون قبل الأوان نتيجة لمخالفة آداب الإسلام في التربية والتوجيه . .

وعنـدمـا يبلغ الـطفـل الحلم، لايتركـه الإسلام يتخبط في الأمور المتعلقة بالجنس، والتي لا بد له من الإحاطة بها كواقع يعيش في النفس البشرية وتعيش فيه، فالطفل قبل البلوغ يتعلم(٢) نواقض الوضوء، ويتعلم ـ كتهيئة لمرحلة البلوغ ـ ان البلوغ هو مناط التكليف، والمؤاخذة من الله وتحمل المسئولية . . مسئولية الإنسان نحو

---

(١) النور: ٥٨ ، ٥٩.

(٢) قال الامـام الشافعي والأصحاب: على الاباء والأمهات تعليم أولادهم الصغار ما سيتعين عليهم بعد البلوغ، فيعلمه الولي الطهارة والصلاة والصوم ونحوها، ويعرفه تحريم الزنا واللواط والسرقةوشرب المسكر والكذب والغيبة، ويعرفه أنه بالبلوغ يدخل التكليف ويعرفه ما يبلغ به . .

نفسه ومجتمعه، ويتعلم ان الأحتلام من موجبات الغسل، والأحتلام أمر طبيعي يحدث للرجل والمرأة على السواء، وهو ليس خطيئة ولا جريمة تترك مخلفاتها في نفس الفتي أو الفتاة، وتتعلم الفتاة أن انتهاء الحيض من موجبات الغسل، وأنه علامة على اكتمال الأنوثة وتحمل المسئولية. وليس سبباً في تكوين العقد النفسية أو المخلفات الوهمية كما يدعي المروجون لتعليم الجنس. .

ونجد النبي ـ ﷺ ـ يلقن هذه المعلومات التي لا بد من معرفتها لسلامة الدنيا والآخرة ـ يلقنها دون تحرج أو تعقيد. .

روى أبو داوود: «أن أم سليم الأنصارية أم أنس بن مالك قالت: يارسول الله، إن الله لا يستحى من الحق، أرأيت المرأة إذا رأت في المنام ما يرى الرجل أتغتسل أم لا؟ قالت عائشة: فقال النبي ـ ﷺ ـ «فلتغتسل إذا وجدت الماء»، قالت عائشة: فأقبلت عليها فقلت: أف لك: وهل ترى ذلك المرأة؟ فأقبل عليّ رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «تربت يمينك يا عائشة، ومن أين يكون الشبه»؟!

وهكذا كان رسول الله ـ ﷺ ـ يسأل ويجيب دون حرج منه أو من السائل أو السائلة في هذه الشئون حتى أن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ في حديث أسماء بنت يزيد عندما سألت النبي عن الغسل وعن كيفية تتبع أثر دم المحيض بالتطهير ـ قالت السيدة عائشة: «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين».

وإذا رجعنا إلى كتب الفقه الإسلامي، وجدنا أن علماء الإسلام تحدثوا عن آداب المعاشرة الجنسية بين الرجل وزوجته وذكروا هدى رسول الله ـ ﷺ ـ في هذه الأمور وما ذكره العلماء في هذا المجال قد يملأ كتباً كاملة. . وعلى سبيل المثال: «يقول ابن قدامة في مختصره على منهاج القاصدين لجمال الدين بن الجوزى في معرض الحديث عن آداب معاشرة الزوجة:

«أن يداعبها ويمازحها، وقد سابق ـ عليه السلام ـ عائشة ـ رضى الله عنها ـ وكان يداعب نساءه ـ ﷺ ـ وقال لجابر: «هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك» وأن يكون ذلك بقدر، ولا يتبسط في الدعابة إلى أن تسقط هيبته بالكلية عند المرأة، بل ينبغى

عليه أن يقصد طريق الأقتصاد . .

ويتحدث عن آداب الجماع مستمداً ذلك من الكتاب والسنة فيقول :

يستحب البداءة بالتسمية ، والأنحراف عن القبلة ، وأن يتغطى هو وأهله بثوب . . وألا يكونا متجردين وأن يبدأ بالملاعبة بالضم والتقبيل . . ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة ، ثم إذا قضي وطره فليتمهل لتقضي وطرها فإن إنزالها ربما تأخر . .

ومن الآداب أن تأتزر الحائض بازار من حقويها إلى ما بين الركبة اذا أراد الاستمتاع بها ، ولا يجوز وطؤها في الحيض ولا في الدبر . . (١) .

وفي نفس الوقت الذي يتدرج الإسلام فيه في تنمية هذه المعارف الجنسية لدى المسلم ، فإنه يربي فيه العفة والحياء ويدعوه إلى حفظ الفرج من أي أنحراف ، وينبغى ألا يغرب عن بالنا أن الإسلام يخطط لمجتمع نظيف خال تماماً من المثيرات والمهيجات . .

ونخلص من ذلك إلى أن التربية الدينية هي الدائرة الوحيدة المأمونة التي يلقن في محيطها هذه المعلومات متدرجة مع المستوى العقلي والزمني للشاب المسلم ، وليس هناك ما يمنع من أن تتدخل العلوم الأخرى كعامل مساعد في شرح الآيات ، والقاء الاضواء على الأمراض الجنسية التي يسببها الأنحراف الجنسي ويراعي في ذلك الضوابط التي عرضناها في موضوع «دور المسجد في بناء الشباب» .

يقول موريس بوكاى الطبيب الفرنسي في كتابه «دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة» :

«يعتقد عصرنا أنه قام بمكتشافات كثيرة في كل الميادين ، ويظن أنه قدم جديداً فيما يتعلق بالتربية الجنسية ، وأن فتح أبواب الشباب لمعرفة مشكلات الحياة من مكتسبات العصر الحديث ، وأن القرون الماضية كانت تتميز ، فيما يخص هذا الموضوع بظلام دامس . . يقول الكثيرون ان الأديان دونما تحديد هي المسئولة عنه ،

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ٧٤ .

غير أن ما عرضنا ـ يشير إلى التناسل الإنساني في القرآن ومقارنته بالعلم ـ لهو دليل على أنه منذ أربعة عشر قرناً تقريباً سبقت إلى معرفة الناس مسائل نظرية، إذا جاز القول، عن التناسل الإنساني، وذلك بقدر المستطاع، حيث أنه لم تكن هناك معلومات تشريحية فسيولوجية تسمح بالإفاضة، كان استخدام لغة بسيطة في متناول فهم مستمعي الرسالة ضرورياً حتى يمكن أن يفهموا ما يقال». .

يقول: «لم تمر الرسالة على الجوانب العلمية مر الكرام، بل إننا نجد في القرآن حشداً من التفاصيل عن الحياة العلمية وفيما يختص بالسلوك الذي يجب أن يتبعه الناس في عديد من ظروف حياتهم، ولم يستبعد القرآن الحياة الجنسية. . هناك آيتان قرآنيتان تخصان العلاقة الجنسية، ويذكر القرآن ذلك بألفاظ تربط بين الرغبة في الدقة والاحتشام اللازم. .

ويستطرد الباحث في الحديث عن قوله تعالى: **﴿خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾**(١) وكيف أن هذا التعبير أدق من التعبيرات الفرنسية والانجليزية التى تريد أن تصل إلى هذا المعنى، ثم يتحدث عن الحيض، وأهداف العلاقة الجنسية من خلال قوله تعالى:

﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى. . . ﴾(٢).

وبعد أن استعرض المؤلف جوانب العظمة في منهج الإسلام في التربية الجنسية خلص إلى القول:

«وبناء على كل هذا فالمقولات النظرية الخاصة بالتناسل والتوجيهات العلمية التي يصوغها القرآن فيما يختص بحياة الأزواج الجنسية، نلاحظ أنه ليس هناك أية مقولة من المقولات التي سقناها أعلاه تتعارض مع معطيات المعارف الحديثة، ولا مع ما يمكن أن يخرج منطقياً عنها». .

ويقول الدكتور «صموئيل مغاريوس» في كتابه «المراهق المصري» في معرض حديثه عن مصادر المعلومات الجنسية عند الشباب (بحث ميداني) يقول:

---

(١) الطارق: ٦، ٧.

(٢) البقرة: ٢٢٢.

«وقد قرر طلاب المعاهد الدينية أنهم وجدوا الإجابة عن كثير من الأسئلة حول مضوعات الجنس في المناهج الدراسية المقررة عليهم، وفي كتب الفقه التي تعالج موضوعات الانزال والإيلاج ومتى يجب الغسل، والمسائل المتفرعة من هذه الأصول والحواشي» . .

إذن لن يستطيع أى منهج أن يعطينا في هذا المجال كما يعطينا الإسلام، وكما يعطينا الله ـ عز وجل ـ الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . .

وقبل أن ننهي الحديث في هذا الموضوع الخطير نود أن نقول لأساتذة الطب النفسي الذين يجتمعون في مؤتمرات من أجل الصحة النفسية، والذين دعوا في واحد من مؤتمراتهم إلى نشر الثقافة الجنسية نقول لهم: كان يجدر بكم أن يكون من بين توصياتكم توجيه نداء إلى الحكومات المسلمة لتهذيب وسائل الإعلام فيها لأنها ـ وأنتم أول من يعرف ـ أعملت معاول التخريب في النشء وقتلت فيه كل معاني التوافق النفسي والتكيف الاجتماعي . .

انه بمثل ما نكتب وبمثل ما نوصي لن يعالج الفساد الجنسي، فلنأت البيوت من أبوابها، وقبل المطالبة بنشر الثقافة الجنسية نطالب بترفيع الجنس وتطهير المستنقعات التي تتسلل منها جراثيم الفساد لتقتل في الشباب روح العفة والسمو . .

المشكلة ليست في حاجة إلى مهدئات مؤقتة لو طالت معالجة المريض بها ستجعل الداء يسري في دمه ليورده موارد الهلاك . .

عالجوا هذه الأمراض التي أصابت الشعوب كباراً وصغاراً . . ارفعوا أصواتكم في وجوه الحكام المسلمين بأن يعودوا بمجتمعاتهم إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها . . إلى الإسلام . . إلى تطبيق شريعة الله، والعيش في ظلها الوارف . . فإن المجتمعات التي تتنكب طريق الله هي التي يفوح منها رائحة العفن الجنسي، أما المجتمعات المؤمنة، فهي التي ينتشر شذى الطهر في جنباتها . . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . .

* * *

على من تقع المسئولية ؟

وتسألني : على من تقع مسئولية الفساد في أي مجتمع؟

أقول لك : إن المسئولية عن الفساد في أي مجتمع ، يشترك فيها الحكام والعلماء والشعوب ، ولن يفلت أحد من الثلاثة بأي عذر من الأعذار في يوم العرض العظيم على الله . .

فالحاكم هو السلطة التنفيذية التي تمتلك التغيير مهما تلاعبنا بالألفاظ ورفعنا الشعارات بعكس هذا المفهوم «كلكم راع ومسئول عن رعيته» ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، وهذا مفهوم بديهي . .

والعلماء هم ورثة الأنبياء ، وهم الذين عليهم محاربة الفساد مهما كلفهم ذلك أنطلاقاً من قوله تعالى :

﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ، وكفى بالله حسيبا﴾(١) .

﴿ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾(٢) .

والشعوب تسأل أيضاً أمام الله هل أنكروا الفساد وغيروا أم عاشوا قطعاناً تسوقها عصا الحاكم . . وقد صور القرآن جملة من مشاهد يوم القيامة التي يتبرأ فيها الحكام الذين استكبروا من شعوبهم الذين استضعفوا . .

وقد عقدنا هذا المبحث لنرد على المتشدقين من المتفلسفين والمتنطعين الذين ضلواويعملون على إضلال الجماهير المسلمة عن حقيقة دور الحاكم في إصلاح المجتمع ، فيقول أحدهم : إن المرأة عندما تلبس الملابس القصيرة ، فإن ذلك من صميم حريتها الشخصية ، وان «التخنفس» و «التهبيز» والتحلي بالعقود والسلاسل هو من صميم التفكير الحر للشباب ، وليس لأحد أن يحجر عليه فيه . .

---

(١) الأحزاب : ٣٩ .   (٢) البقرة : ١٥٩

والإسلام يجيب هؤلاء جميعاً بأن الحاكم هو المسئول الأول عن الأنحراف المعلن سواء أكان حقيراً أم عظيمًا من أي لون كان . .

أتى رسول الله ـ ﷺ ـ بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما بال هذا»؟ قالوا يتشبه بالنساء . . فأمر به فنفي إلى النقيع . . فقالوا: يا رسول الله، ألا تقتله؟ فقال: ـ ﷺ ـ: «إني نهيت عن قتل المصلين»(١) . .

وعن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: ـ «لعن رسول الله ـ ﷺ ـ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء، وقال: «أخرجوهم من بيوتكم»، فأخرج رسول الله ـ ﷺ ـ فلانة، وأخرج عمر فلاناً»(٢) .

وقد جعل الإسلام للحاكم «عقوبة التعزير» . . وهي عقوبة لم يعين فيها الشارع حداً أو عقوبة معينة، وجعلها مفوضة إلى رأى الحاكم، فله أن يعزر مرتكب المعصية بما يراه، وبما يتفق مع روح العصر من أنواع العقوبات حتى يستطيع صيانة المجتمع من عبث العابثين . .

وقد ثبت أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كان يعزر ويؤدب بحلق الرأس، والنفي، والضرب، كما كان يحرق حوانيت الخمارين، وحرق باب قصر سعد بن أبي وقاص بالكوفة، لما احتجب فيه عن الرعية، وقد اتخذ داراً للسجن، وضرب النائحة حتى بدا شعرها، ورأى رجلا يضع الأحمال الثقيلة فوق جمله فضربه قائلا له: «حملت جملك ما لا يطيق» . .

وسأسوق هذه القصة ليتبين شبابنا مدى حرص الإسلام على محاصرة الفساد والفتن والتي يمكن أن يؤدي تركها والتساهل في أمرها إلى تلويث البيئة المؤمنةونشر الأمراض الخلقية في المجتمع المسلم .

يذكر ابن الجوزى بسنده في كتابه «ذم الهوى» أنه بينما عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يطوف ذات ليلة في سكك المدينة، إذْ سمع امرأة وهي تهتف في خدرها وتقول:

---

(١) رواه أبو داوود . . النقيع غير البقيع .

(٢) رواه البخارى والترمذى وأبو داوود .

هل من سبيل إلى خمر فأشربها
أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتى ماجد الأعراق مقتبل
سهل المُحَيَّا كريم غير ملجاج

فقال عمر: لا أرى معي في المصر رجلا تهتف به العواتق في خدورهن. . عليّ بنصر بن حجاج. فأتى به، وإذا هو أحسن الناس وجهاً وأحسنهم شعرا، فقال: على بالحجام، فجز شعره فخرجت له وجنتان كأنهما شقتا قمر، فقال: أعتم، فأعتم، فأفتن الناس، فقال عمر: والله لا تساكنني بلداً أنا فيه. فقال: ولم ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال؛ هو ما قلت. . فسيره البصرة. .

وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع أن يبدر إليها بشيء، فدست اليه أبياتاً تقول فيها:

قل للإمام الذي تخشى بوادره
ما لي وللخمر أو نصر بن حجاج
إني غنيت أبا حفص بغيرهما
شرب الحليب وطرف فاتر ساج
إن الهوى زمه التقوى فقيده
حتى أقر بإلجام وإسراج
لا تجعل الظن حقاً أو ببيِّنة
إن السبيل سبيل الخائف الراجي

قال: فبعث اليها عمر: قد بلغني عنك خير، وإني لم أخرجه من أجلك ولكنه بلغني أنه كان يدخل على النساء، ولست آمنهن. وبكى عمر وقال: الحمد الله الذى قيد الهوى حتى أقر بالجام واسراج!!

ثم إن عمر كتب إلى عامله بالبصرة كتباً، فمكث الرسول عنده أياماً، ثم نادى مناديه: ألا إن بريد المسلمين يريد أن يخرج، فمن كانت له حاجة فليكتب،

فكتب نصر بن حجاج كتاباً ودسه في الكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله عمر أمير المؤمنين، سلام عليك، أما بعد يا أمير المؤمنين:

أن غنت الذلفاء يوماً بمنية
وبعض أماني النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس بعده
بقاء فما لي في النّدي كلام
ويمنعني مما تظن تكرمي
وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تظن صلاتها
وحال لها في قومها وصيام
فهذان حالان، فهل أنت راجعي
فقد جب مني كاهل وسنام

فقال عمر لما قرأ الكتاب: أما ولي سلطان فلا.. فما رجع المدينة الا بعد وفاة عمر(١).

وهكذا فالحاكم مسئول أمام الله - عز وجل - عن سد ذرائع الإنحراف، وإيصاد الطرق الموصلة إليه، فضلا عن محاربته بكل السبل طالما تستطيع يده أن تمتد بالتغيير والإصلاح وهي قادرة «كلكم راع ومسئول عن رعيته».

ومن ذلك يتبين لنا أنه لا أساس في الأسلام لشيء أسمه الفوضى والفساد تحت شعار الحرية الشخصية التي تمكن المستهترين من نشر الوباء الخلقي تحت هذه المفاهيم المزيفة والشعارات المضللة.. وما شرع الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا للضرب على أيدي هؤلاء العابثين الذين يريدون إغراق السفينة التي تقل المجتمع باسم «الحرية الشخصية».

(١) ذم الهوى ص ١٢٤، ١٢٥.

﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ (١).

* * *

(١) النور: ٦٣.

الدور الذي يلعبه الشباب المسلم في كل المجتمعات الإسلامية على مر العصور ـ هو نفس الدور الرائد الذي قام به الشباب من صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ في حمل هذه الرسالة حتى دانت لهم مشارق الأرض ومغاربها . .

ومن سمات المجتمع المسلم أن لكل فرد فيه دوراً ايجابياً فعالاً . . هذا الدور هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . .

وهذه الايجابية التي هي من صميم الإسلام إذا أهملت في مجتمع، فعلا فيه نباح المنكر، وصمتت فيه ألسنة الحق نزلت اللعنة من السماء لا تفرق بين صالح وطالح . .

﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، واعلموا أن الله شديد العقاب﴾(١) .

وابرازاً لهذا المعنى ولهذا الدور الذي يوجبه الإسلام على كل مسلم ـ يصور رسول الله ـ ﷺ ـ المجتمع المسلم بالسفينة التي لو ترك للحمقى والسفهاء حرية العبث بها لابتلعتها الأمواج بمن فيها وما فيها :

فيقول ـ ﷺ ـ :

«مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها . . فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا؟ فان يتركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»(٢) .

وشبابنا عندما يقوم بهذا الدور سيجد الطريق وعراً وشاقاً مليئاً بالأشواك والصخور الدامية، وسيرون الحياة تسودها شريعة الغاب، فالقوي يدوس الضعيف، والغني يحاول إذلال الفقير، والدول الكبرى تحاول احتواء الدول

(١) الأنفال : ٢٥ .

(٢) أخرجه البخارى والترمذى .

الصغرى أو ابتلاعها، والنفاق والرياء والتملق هو العملة الرائجة، والحصول على الأموال هو الهم المقعد والمقيم، وهكذا سيجدون المفاهيم منقلبة والأوضاع منكسة، والمجتمعات تمشي مكبَّة على وجهها بدلا من أن تمشي على صراط مستقيم. .

وسيسمع شبابنا أن بعض الحكام يحاولون أن ينطحوا جبل الإسلام الشامخ بقرونهم الواهية، فهذا طاغوت يقول: إن الصيام يعطل الإنتاج، وحاكم مراهق يلغي السنة ولا يعترف بها، ولم يقرأ قوله تعالى:

﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (١).

وثالث متعلم يقول عن الدين بأنه فلسفة وينادى بفصل الدين عن الدولة. . إلى آخره، وأعظم هؤلاء فقهاً في الدين لا يعرف نواقض الوضوء، ومجمل ثقافتهم فيه لا تساوى الثقافة الدينية لطالب في الصفوف المتوسطة وذلك على أحسن تقدير «والحكم على الشيء فرع عن تصوره»

سيجد شبابنا أن بعض الزعامات تضحك على شعوبها بادعاء الإسلام وتضلل هذه الشعوب المسكينة من خلال أبواق دعايتها. .

﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك، وما أولئك بمؤمنين. واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون. وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين. أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله، بل أولئك هم الظالمون. إنما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا، وأولئك هم المفلحون﴾ (٢).

وهؤلاء لا يملكون من الشجاعة أن يعلنوا عن حقيقتهم أمام شعوبهم وإلا لسحب بساط الحكم من تحت أقدامهم، كما تتهاوى العلمانية التي فرضت نفسها قسراً على بلاد المسلمين. .

(١) الحشر: ٧.
(٢) النور: ٤٧ - ٥١

نعم . . سيرى شبابنا نفسه غريباً بين هذه التيارات التي تحاول مسخه واحتواءه . . ولكنها غربة الإسلام، وغربة الطائفة الثابتة على الحق التي عناها الرسول ـ ﷺ ـ بقوله :

«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»(١)

«بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء قيل: ومن هم يا رسول الله ؟ . . قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس» .

وفي رواية ثانية «الذين يفرون بدينهم من الفتن» .

وفي رواية ثالثة «الذين يصلحون ماأفسد الناس من سنتى» .

وفي رواية رابعة: قال: «قوم قليل في ناس سوء كثير، ومن يعصيهم أكثر ممن يطيعهم» (٢).

«قوم قليل في ناس سوء كثير» وهذه القلة التي نصر الله بها هذا الدين . . هذه القلة لا تدخل في حسابها لغة الأرقام . .

﴿ومن آمن وما آمن معه قليل﴾(٣).

﴿وقليل من عبادى الشكور﴾(٤) .

﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقليل ما هم﴾(٥) .

﴿بل كانوا لا يفقهون الا قليلا﴾ (٦) .

. . هذه هي القلة المؤمنة . .

﴿وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ (٧) .

وهذه هي الكثرة الضالة المضلة التي تشبه غثاء السيل . .

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم والترمذى.
(٣) هود: ٤٠ .
(٤) سبأ: ١٣ .
(٥) سورة ص : ٢٤ .
(٦) الفتح : ١٥ .
(٧) الأنعام: ١١٦ .

فالشاب المسلم عندما يدعو إلى الله عن عقيدة، قد يكون أمة في شخص أو جماعة في واحد . .

ولـرب فرد في الـكـريهـة واحـد
بالـصـدق والإيمان يعـدل عسـكـرا

«وليس الشجاعة أن تقول كل ما تعتقده فقط بل الشجاعة أن تعتقد كل ما تقـول». والإيمان ليس بالتمني، وليس برفـع الشعارات ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل.

الإيمان الذي جعل سيد المرسلين يرسلها قوية مدوية:

«ياعم . . والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته».

الإيمان الذي جعل أبا الأنبياء ابراهيم يصبر على الإلقاء في النار فتكون العاقبة:

﴿قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم. وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين﴾ (١).

الإيمان الذي جعل إسماعيل يصبر على الذبح أمتثالا لأوامر الله فيكون الجزاء:

﴿وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا، انا كذلك نجزى المحسنين. ان هذا لهو البلاء المبين. وفديناه بذبح عظيم. وتركنا عليه في الآخرين. سلام على ابراهيم﴾ (٢) .

الإيمان الذي جعل يوسف يفضل السجن على المتعة والجمال والفراش الوثير، فكانت نهاية المطاف:

﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، نصيب برحمتنا من نشاء، ولا نضيع أجر المحسنين. ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ (٣) .

---

(١) الأنبياء: ٦٩ : ٧٠ . (٢) الصافات: ١٠٤ ـ ١٠٩.

(٣) يوسف: ٥٦ ، ٥٧.

الإيمان الـذي جعل سحرة فرعون يهزأون من وعيد طاغية مصر لهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وأطلقوها من قلوبهم:

﴿قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذى قطرنا، فاقض ما أنت قاض، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا. إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر، والله خير وأبقى﴾ (١).

الإيمان الـذي جعـل فتية الكهف يتمردون على عبادة الطاغوت، ولم يرضوا لأنفسهم أن يصبحوا أفراداً في قطيع ضال يهتف ويسبح باسمه، ففضلوا ـ بعد ان انكشف امرهم ـ الفرار بدينهم والانزواء به في كهف خشن يستروحون فيه رحمة الرحمن. .

الإيمان الذي جعل صبياً صغير السن كبير الإيمان يقوم بعمل فدائي ليكون اعلاماً للدين الحق، فتكون قصة أصحاب الأخدود. .

ويصف لك ابن القيم وُعورة الطريق حتى توطن نفسك على سلوكه بزاد الإيمان واليقين فيقول:

«يا مخنث العزم أين أنت والطريق. . طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورمي في النار الخليل، وأضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داوود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ـ ﷺ ـ . . . .» (٢).

هذا هو الإيمان الذي ربى الشباب. .

وإننا نريد شباباً من هذا الطراز الفذ العملاق. .

نريد من شبابنا أن ينتشروا مبشرين بهذا الدين العظيم. . نعرض إسلامنا على النـاس على انه سفينة النجاة التي ستنقذ البشرية الضالة الحائرة، وتوصلها إلى

---

(١) طه: ٧٢، ٧٣.

(٢) الفوائد ـ لابن القيم ص ٥٦.

شاطىء الأمان . . نعلم الناس أن جميع الهزائم التى أبتلى بها المسلمون كانت في غيبة الإسلام عن مسرح الحياة . .

وهذا لن يكون إلا بعرض الإسلام حياً مترجماً في سلوكنا نحن الشباب ، فذلك أعظم دعاية للإسلام . .

وما أحرانا أن نلقى السمع إلى شيخنا أبي الأعلى المودودى، وهو يضع لنا المعالم على طريق الدعوة إلى الله ، فيقول في ملخصا الأمور التي يجب على الشباب الأخذ بها للقيام بعمل جدي للإسلام في ظروفه الحاضرة:

«أولا: لا بد لكم، قبل كل شيء من معرفة دقيقة بحقيقة الإسلام، لتكونوا مسلمين علماً وتفكيراً كما أنتم مسلمون قلباً وعاطفة، ولتكونوا على قسط كبير من القدرة الكافية والكفاءة اللازمة لتسيير الشئون الاجتماعية في العصر الحاصر وفقاً لأحكام الإسلام ومصالحه وقواعده.

«ثانياً: عليكم ان تبادروا إلى تقويم ما أعوج، وإصلاح ما فسد، من أخلاقكم وعاداتكم حتى تشهدوا بذلك شهادة عملية للإسلام الذي شهدتموه من قبل شهادة قولية، ولتعلموا بأن التناقض في قول الإنسان وعمله يزرع بذور النفاق في النية، والصدق في العزيمة وعلى أن توافق أعمالكم أقوالكم. إن الرجل الذي يقول ما لا يفعل يضر بدعوته أكبر ضرر.

﴿يا أيها الذين أمنوا لم تقولون مالا تفعلون. كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (١).

«ثالثاً: ألا تدخروا جهداً في بذل كل ما تستطيعون من قوة فكرية وعملية أودعها الله اياكم في سبيل الدعوة بالكتابة والخطابة، وأن تقوموا بدراسة أسس الحضارة الغربية وانتقادها وتمييز خبيثها من طيبها حتى تحرروا بذلك عقول المسلمين وقلوبهم من التبعية للغرب، وحتى تحطموا أصنام النظريات الغربية التي استحوذت على قلوب جماعة من المسلمين من زمن طويل. هذا في جانب، وفي

(١) الصف: ٢ ، ٣.

الجانب الآخر عليكم أن تقوموا بتدوين وعرض قوانين الإسلام للحياة الانسانية، بطريقة علمية ترغم الجيل الجديد على الاعتقاد بصحة هذه القوانين وتقنعه بأنه نظام الإسلام من شأنه أنه إذا أخذ به شعب من شعوب العالم لا يتقدم فحسب، بل يسبق الآخرين في كل ناحية من نواحي الحياة. إن هذا العمل بقدر ما يتسع نطاقه ويتجه إلى خطوط مستقيمة يزداد عدد العاملين للدعوة الإسلامية وأنصارها والمتأثرين بها في كل شعبة من شعب الحياة. ولا بد من إطالة هذا العمل لمدة غير يسيرة حتى يأتي على الدعوة يوم ينضوي تحت لوائها مجموعة كبيرة من المؤمنين بها، الذين تحتاج اليهم لتشيد صرح البلاد على دعائم النظام الإسلامي . . ومن العبث أن نتوقع انقلاباً إسلاميا شاملاً قبل أن تسبقه عملية الاعداد والتحضير وإذا حصل هذا، بطريقة صناعية وبدون إعداد كامل فلن يدوم ولن تتأصل له في الأرض جذور . .

«رابعاً: أن تضموا إلى أسرتكم كل من يتأثر بدعوتكم الإسلامية وتكونوا منهم جماعة قوية ذات نظام متين ودستور محكم حتى لا يمكن للضعف والخور أن يأخذا إلى صفوفها سبيلاً . إن مجرد تكوين جماعة من الناس الذين أبدوا اتفاقهم على مبدأ معين دون تنظيم دقيق محكم يقوم أمره على السمع والطاعة عمل مبتور لا يجدي بشيء، هذا ما تؤكده التجارب الماضية ـ ولا ينبئكم مثل خبير . .

«خامساً: عليكم أن تهتموا كذلك بنشر الدعوة بين صفوف العوام حتى تبددوا ظلام جهلهم، وتجعلو هم على بينة من أمر دينهم، وحتى يتبين لهم الخبيث من الطيب. كما يجب عليكم ان تهتموا بإصلاح أخلاقهم ورفع مستوى تفكيرهم ووعيهم الإسلامي ليقفوا سداً منيعاً في وجه السيل العارم من الإلحاد والفسوق الذي ينتشر بسرعة في البلاد الإسلامية بمساعدة وتشجيع من حكومتها الفاسدة. وذلك لأن الشعوب التي ألهتها شهواتها وملذاتها لا يمكنها أن تكون أرضاً طيبة لأن تقوم فيها دولة إسلامية، ولأنه بقدر ما تفشوا الميوعة وتنتشر الخلاعة بين عامة الناس يصبح من المستحيل إقامة نظام إسلامي فيهم. وإن الكذابين والخونة والفسقة والفجرة بقدر ما يصلحون لنظام كافر لا يصلحون لنظام إسلامي . .

«سادساً: لا تحاولوا إقامة نظام إسلامي على أسس غير سليمة، وعلى دعائم ضعيفة وقواعد متزلزلة، بل يجب عليكم الصبر في هذا الشأن لأن الأهداف التي نريد تحقيقها إنما هي أهداف ضخمة كبيرة تهدف إلى تصحيح القيم الإنسانية في أفهام الناس، وإلى إعادتهم إلى حظيرة الإسلام بعد الردة التي هم عليها منذ زمان طويل. ومثل هذا العمل الجليل يحتاج إلى مثابرة ومصابرة وإلى تفكير عميق. كما انه يجب عليكم أن تخطوا كل خطوة بحساب وبحكمة وتبصير، ولا تخطوا خطوة جديدة إلا بعد أن تراجعوا نتائج خطواتكم السابقة وتدرسوا ثمارها: هل هي سارت في الطريق المرسوم، وهل جاءتكم بالنتائج المرجوة. ومن المشاهد المسلم بها أن الاستعجال أمر غير مأمون العاقبة. فاشتراكنا مثلا ـ في وزارة غير صحيحة وغير مؤمنة بمبادئنا ـ على رجاء مشاركتنا فيها خطوة تقربنا إلى غايتنا لأمر خاطىء، لأن التجارب العملية تؤكد بأن مثل هذا العمل لا يجني منه الثمار الطيبة، إذ أن الذين يسيطرون على الحكم هم الذين يتولون رسم سياستها الداخلية والخارجية ويقومون بتنفيذها حسب ما توحي مصالحهم وأهواؤهم. وأما الذين يشاركونهم بغية تحقيق الأهداف النبيلة التي يضعونها نصب أعينهم، لا بد لهم من مسايرتهم. ومعنى ذلك أنهم يصبحون آخر الأمر أبواقاً لهم في أيديهم يفعلون بهم ما يشاءون، ويستغلونهم كما يريدون. .

«أيها الأخوة الكرام. . وأود أن أوجه اليكم نصيحة، في الختام، وهي: ألا تقوموا بعمل جمعيات سرية لتحقيق الأهداف، وأن تتحاشوا إستخدام العنف والسلاح لتغيير الأوضاع، لأن هذا الطريق أيضاً نوع من الاستعجال، الذي لا يجدى بشيء، ومحاولة للوصول إلى الغاية بأقصر طريق. إن هذا الطريق أسوأ عاقبة وأكثر ضرراً من كل صورة أخرى. وان الانقلاب الصحيح السليم قد حصل في الماضي ـ وسيحصل كذلك في المستقبل ـ بعمل علني واضح وضوح الشمس في رابعة النهار. فعليكم أن تنشروا دعوتكم علناً، وتقوموا بإصلاح قلوب الناس وعقولهم بأوسع نطاق، وتسخروا الناس لغايتكم المثلى بسلاح من الخلق العذب والشمائل الكريمة والسلوك الحسن والموعظة الحسنة والحكمة البالغة، وأن تواجهوا

كل ما يقـابلكم من المحن والشـدائد مواجهة الأبطال. هذا هو الطريق الذي سيمكننا من عمل انقلاب عميق الجذور، راسخ الأسس قوى الدعائم كبير النفع في حق هذه الأمة المسكينة، ومثل هذا الأنقلاب لا يمكن لأى قوى معادية أن تقف في وجهه. وأقول أن هذه الأمة لا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها..

أما إذا استعجلتم في الأمر وقمتم بعمل الانقلاب بوسائل العنف، ثم نجحتم في هذا الشأن إلى حد ما، فسيكون مثله كمثل الهواء الذي دخل من الباب ليخرج من النافذة..

«هذه هي النصيحة التي أحببت توجيهها لكل من يقوم بأمر الدعوة الإسلامية وان في ذلك لذكري لمن كان له قلب، أو القى السمع وهو شهيد..

وأقول كما قال الشاعر:

فدت نفسي ومـا ملكـت يمـيني
فوارس صدقـوا فيهـم ظنـوني (١)

* * *

(١) واجب الشباب المسلم اليوم ـ للشيخ ابى الأعلى المودودى.

من فتاوى الشباب

وهذه أسئلة يكثر توجيهها من الشباب المسلم، سنجيب عنها ـ إن شاء الله ـ على هدى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

● السؤال: ما حقيقة الأحتلام؟

ـ الجواب: الاحتلام عند الرجل، والحيض عند المرأة هما دليلا النضج الجنسي وهما مناطا التكليف الشرعى، والاحتلام ظاهرة صحية يقوم بها الجسم للتخلص من فائض الخلايا التناسلية المختزنة عند الرجل، وحدوثه يكون لا ارادياً، وينبغى على الشاب المسلم ألا يفزع من ذلك، وألا يشعر بالأثم أو الذنب اذا حدث له شيء من هذا، فإن مما علمه لنا نبينا ـ ﷺ ـ أن القلم رفع عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يبلغ، وعن المجنون حتى يفيق.. والاحتلام يكثر عادة عند الشباب المتعفف في فترة المراهقة، وكمحاولة للاقلال منه ينبغى على الشاب ألا يشغل تفكيره قبل النوم بالأمور الجنسية، وأن يتعود على قضاء حاجته قبل النوم، لأن امتلاء المثانة والأمعاء بمخلفات الجسم، يضغط على الحويصلات المنوية فيثيرها، فيترتب على ذلك كثرة الإحتلام..

● السؤال: ما الفرق بين المني، والمذي، والودي؟ وما الذى يجب في خروجه غسل الجنابة؟

ـ الجواب: المنى: هو الماء الغليظ الدافق، الذي يخرج عند اشتداد الشهوة.. وحكمه: الطهارة، ويستحب غسله إن كان رطباً، وفركه إن كان يابساً، ومن خصائصه أنه يتفاعل مع الهواء، ولذا يستحب الاسراع في غسله بالماء البارد حتى لا يترك آثاراً على الثياب، ويجب في خروجه الغسل اذا خرج على الصفة المذكورة في تعريفه..

المذي: هو ماء أبيض لزج يخرج عند التفكير الجنسي، أو المداعبة وهو نجس، فإذا أصاب البدن، وجب غسله، وإذا أصاب الثوب اكتفى فيه بتعميم موضعه

بالماء. . ولا يجب فيه الغسل بل يغسل ذكره وأنثييه ويتوضأ. .

الودي: ماء أبيض يخرج ـ عادة ـ بعد التبول، وهو نجس أيضاً، ولا يجب في خروجه الغسل، بل يغسل ذكره وأنثييه ويتوضأ وضوءه للصلاة كالمعتاد. .

● السؤال: ما الحكم اذا خرج المني على سبيل المرض: بدون شعور بالشهوة، أو خرج المنى من الشاب عقب التبول؟

ـ الجواب: إذا خرج المني على الصفة المبينة في السؤال، فلا يجب في خروجه الغسل، ويحسن بنا أن نذكر إجابة حبر الأمة «عبدالله ابن عباس» عن هذا السؤال. . قال مجاهد: «بينما نحن ـ أصحاب ابن عباس حلق في المسجد:ـ طاوس، وسعيد بن جبير، وعكرمة ـ وابن عباس قائم يصلي ـ اذ وقف علينا رجل فقال: هل من مفت؟ فقلنا: سل، فقال، إنى كلما بلت تبعه الماء الدافق؟ قلنا: الذي يكون منه الولد؟ قال: نعم، قلنا: عليك الغسل، قال: فولى الرجل وهو يرّجع ـ أي يقول: إنا لله وإنا اليه راجعون ـ قال: وعجل ابن عباس في صلاته، ثم قال لعكرمة: عليّ بالرجل، وأقبل علينا فقال: أرأيتم ما افتيتم به هذا الرجل، عن كتاب الله، قلنا: لا. قال: فعن رسول الله ـ ﷺ ـ قلنا: لا . قال: فعن أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ قلنا: لا. قال: فعَمَّه؟ قلنا: عن رأينا. قال: فلذلك قال رسول الله ـ ﷺ ـ «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد». قال: وجاء الرجل فأقبل عليه ابن عباس فقال: أرأيت إذا كان ذلك منك، أتجد شهوة في قبلك؟ قال: لا ، قال: فهل تجد خدراً في جسدك؟ قال: لا . قال: انما هي ابرده، يجزيك منها الوضوء».

● السؤال: ما الحكم اذا احتلم الشاب ولم يجد أثراً للمنى في ثيابه؟

ـ الجواب: لا غسل عليه إلا إذا مشي فخرج المني. .

● السؤال: ما الحكم اذا رأى منياً في ثوبه ولم يذكر احتلاماً؟

ـ الجواب: وجب عليه الغسل. . قالت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ:

سُئِل رسول الله ـ ﷺ ـ عن الرجل الذي يجد البلل، ولا يذكر احتلاماً؟ قال: «يغتسل» . . وعن الرجل الذى يرى أنه قد أحتلم، ولا يجد بللا، فقال: «لا غسل عليه»(١).

● السؤال: إذا اجتمع شيئان يوجبان الغسل، كالحيض والجنابة، أو الجنابة والجمعة . . فهل يجزىء عنهما غسل واحد؟

ـ الجـواب: نعم يجزء عن الموجبين للغسل، غسل واحد، إذا نوى الكل، وكذلك إذا كان جنباً واغتسل ولم يتوضأ أجزأه ذلك الغسل عن الوضوء، إذا نواهما على ان يبدأ في الغسل بالقبل والدبر حتى لا ينتقض وضوءه بمس عورته في أثناء الغسل وذلك بخلاف ما اذا كان يغتسل للتنظيف أو التبرد، فيجب عليه في هذه الحالة أن يتوضأ وضوءاً كاملا . . مرتباً.

● السؤال: ما صفة الغسل الواجب: ؟(٢).

ـ الجواب: هناك ركنان لا يتم الغسل الواجب الا بهما: الركن الأول تقديم النية، والركن الثاني تعميم الجسد بالماء، فيجب على المغتسل أن يوصل الماء إلى جميع البشرة بعد إزالة النجاسة، وإزالة ما يمنع وصول الماء إلى البشرة كعجين، وشمع ، وغَمَص في عينيه، و (طلاء أظافر)، وعليه أن يتعهد إبطيه، وطبقات بطنه، وداخل سرته، وأثر جرح غائر ولا يتكلف إدخال الماء إلى ظاهر الجلد، وإذا كان على رأس المرأة طيب يمنع من وصول الماء الى جذور الشعر وجب عليها أن تزيله، وان كان شعرها مضفوراً وكان الماء يصل الى أصل الشعر وهو مضفور فلا يجب عليها نقضه. واذا كان المغتسل متحلياً بخاتم وجب عليه تحريكه ليصل الماء الى ما تحته(٣). ولا بأس من تأخير غسل الرجلين الى نهاية الغسل.

(١) رواه ابو داوود وابن ماجة.

(٢) اقتصرنا هنا على ما يجب مراعاته في الغسل، وأما السنن التتعلقة به فيرجع فيها الى كتب الفقه.

(٣) ثبت بالأدلة القاطعة حرمة تحلى الرجال بالذهب.

● السؤال: هل يجب على الحائض قضاء صلاتها؟

ـ الجواب: الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة، ولكنها اذا حاضت في أول وقت الصلاة أو في اخر الوقت، ولم تكن صلت تلك الصلاة سقطت عنها. . وا طهرت في آخر وقت الصلاة بمقدار يتسع للغسل تلزمها تلك الصلاة والا فلا تلزمها تلك الصلاة ولا قضاؤها.

* * *

ومسك ختامنا هذه البشرى التي يسوقها الي الشباب سيدنا أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن البشير النذير. .

عن ابي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال:

سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول:

« سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله:

الامـــام العـــادل. .

وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل. .

ورجل قلبه معلق بالمساجد. .

ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه. .

ورجل دعته إمرأة ذات منصب وجمال. . فقال: إني اخاف الله. .

ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. .

ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه. . ». (متفق عليه)

وصل الله على سيدنا محمد إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وشفيع المذنبين ـ ما كر الجديدان، وما لاح النَيِّران ـ وعلى آله وصحبه وسلم. .

وآخر دعوانا: أن الحمد الله رب العالمين. .

* * *

ثبت بالمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ صحيح البخارى، للأمام محمد بن اسماعيل البخاري.

٣ ـ صحيح مسلم، للامام مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابوري.

٤ ـ الجامع للترمذى، للامام محمد بن عيسى الترمذي.

٥ ـ سنن أبي داوود، للامام أبى داوود السجستاني.

٦ ـ سنن النسائى، للامام أحمد بن شعيب بن على النسائي.

٧ ـ سنن ابن ماجة، للامام محمد بن يزيد بن ماجة القزويني.

٨ ـ الموطأ، للامام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي.

٩ ـ المسند، للامام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني.

١٠ ـ السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي الشافعي.

١١ ـ احياء علوم الدين، للامام أبى حامد الغزالي.

١٢ ـ أخبار النساء، للإمام ابن قيم الجوزية.

١٣ ـ الإنسان ذلك المجهول، الكسيس كاريل.

١٤ ـ ادفعى زوجك إلى النجاح، ، دوروثى كارنيجى.

١٥ ـ تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه، دكتور عبد الحليم منتصر.

١٦ ـ تاريخ العرب العام، هـ . أ سيديو ترجمة عادل زعيتر.

١٧ ـ تعدد الزوجات لا تعدد العشيقات . د . عبد الحليم عويس، ومصطفى مشهور.

١٨ ـ بروتوكولات صهيون، ترجمة أحمد عبد الغفور عطار.

١٩ ـ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية.

٢٠ ـ جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر النمري القرطبي.

٢١ ـ الحجاب، ابو الأعلى المودودي.

٢٢ ـ حقوق النساء في الإسلام، السيد محمد رشيد رضا.

٢٣ ـ حضارة العرب، جوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر.

٢٤ ـ دع القلق وابدأ الحياة. ديل كارنيجى. ترجمة عبد المنعم الزيادى.
٢٥ ـ دفاع عن الزوجات، الصحفى محسن محمد.
٢٦ ـ ذم الهوى، أبو الفرج بن الجوزى.
٢٧ ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية.
٢٨ ـ زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن قيم الجوزية.
٢٩ ـ الزواج، عمر رضا كحالة.
٣٠ ـ الزنا ومكافحته، عمر رضا كحالة.
٣١ ـ شباب في الشيخوخة، دكتور أمين رويحة.
٣٢ ـ الشيطان يحكم، دكتور مصطفى محمود.
٣٣ ـ الصحة العامة والرعاية الصحية، دكتور فوزى على جاد الله.
٣٤ ـ الصديقة بنت الصديق، عباس محمود العقاد.
٣٥ ـ صفحات مضيئة من تراث الإسلام، أنور الجندى.
٣٦ ـ الصلاة الخاشعة، عبد الرحمن واصل.
٣٧ ـ طبيبك معك، دكتور صبرى القباني.
٣٨ ـ الطب النفسي المعاصر، دكتور أحمد عكاشة.
٣٩ ـ ظلام من الغرب، محمد الغزالي.
٤٠ ـ عبقرية الامام علي، عباس محمود العقاد.
٤١ ـ عاطفة الحب بين الإسلام ووسائل الإعلام، عبد الرحمن واصل.
٤٢ ـ العقيدة والقوة معاً، محمد عبد الله السمان.
٤٣ ـ علم النفس التربوى، دكتور فاخر عاقل.
٤٤ ـ الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر، مشكلات الأسرة والتكافل. الدكتور محمد البهي
٤٥ ـ الفوائد، الامام ابن قيم الجوزية.
٤٦ ـ فيض الخاطر، أحمد أمين.
٤٧ ـ القرآن والطب، دكتور أحمد محمود سليمان.

٤٨ ـ القرآن والطب، دكتور محمد وصفي .
٤٩ ـ قوة الارادة، جون كيندى، ترجمة صلاح مراد .
٥٠ ـ مآثر العرب على الحضارة الأوربية، جلال مظهر .
٥١ ـ مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي .
٥٢ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ابو الحسن الندوي .
٥٣ ـ المرأة بين الفقه والقانون، دكتور مصطفى السباعي .
٥٤ ـ المرأة والصراع النفسي، دكتورة نوال السعداوي .
٥٥ ـ المستطرف من كل فن مستظرف، محمد بن أحمد الابشيهي .
٥٦ ـ المضيفات والممرضات في الشعر المعاصر، عبد الرحمن المعمر .
٥٧ ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر العسقلاني .
٥٨ ـ الموسوعة الطبية الحديثة، ٦ مجلدات، سجل العرب .
٥٩ ـ نظام التجريم والعقاب في الإسلام مقارناً بالقوانين الوضعية، المستشار على على منصور .
٦٠ ـ نظرية داروين بين المؤيدين والمعارضين، قيس القرطاس .
٦١ ـ واجب الشاب المسلم اليوم، أبو الأعلى المودودي .
٦٢ ـ وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي .
٦٣ ـ اليهودي العالمي، هنرى فورد. ترجمة خيرى حماد

* * *

فهرس محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
الاهـــداء	٥
المقـــدمة	٧

الفصل الأول: الجنس وسقوط الحضارات

١١ ـ ٥٠

الموضوع	الصفحة
الجنس وسقوط الحضارة اليونانية	١٣
الجنس وسقوط الحضارة الرومانية	١٦
النصرانية والعلاج الأخرق	١٨
الجنس وهزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية	٢١
اسباب الانفجار الجنسي في أوربا	٢٤
نافذة على الأنحلال الجنسي في دول الغرب	٣٣
الشذوذ الجنسي جريمة مشروعة	٣٣
المعاشرة الجنسية قبل الزواج	٣٣
آخر صيحة في عالم الطب النفسي في أمريكا	٣٤
نواد لتبادل الزوجات	٣٥
التلقيح الصناعي	٣٦
أرقام قياسية في الزنا	٣٦
ومجلس العموم أيضاً	٣٧
الجنس أربح أنواع التجارة	٣٧
الحصاد المر	٣٨
١ ـ تخريب الجسم	٤٠
٢ ـ تخريب النفس	٤٢

الموضوع	الصفحة
٣ ـ تخريب النسل	٤٤
العلاج الأعرج	٤٥
٤ ـ العنف	٤٥
العنف بالأرقام	٤٦
الصحوة والمنهج الحق	٤٨

الفصل الثاني: منهج الاسلام في بناء المجتمع النظيف

٥١ ـ ١٠٢

الموضوع	الصفحة
الجنس في التصور الإسلامي	٥٣
منهج الإسلام في تجفيف منابع الفتن	٦٣
الإسلام وحرمة العرض	٦٥
فتنة النظر	٧٠
فتنة الخلوة بالأجنبية	٧٣
فتنة الصوت	٧٦
فتنة الجوار	٧٨
فتنة سفر المرأة وحدها	٨٠
فتنة القرابة	٨٣
فتنة اللمس	٨٤
فتنة التبرج	٨٦
فتنة الاختلاط	٩٦

الفصل الثالث : مشكلات الشباب العاطفية

١٠٥ ـ ١٣٠

الموضوع	الصفحة
عاطفة الحب في التصور الإسلامي	١٠٧
احترام الإسلام لعاطفة الحب بين الزوجين	١٠٩

الموضوع	الصفحة

المرحلة الحرجة في مرحلة الشباب ١١٠
الشباب وجنون العاطفة ١١٢
الفتاة التي تلعب بالنار ١١٦
الحب الناضج ١٢١
الحب بعد الزواج ١٢٣
شهيد الحب ١٢٧
الماضي ١٢٩

الفصل الرابع: الأمراض الخلقية

١٣١ - ١٦٣

الشذوذ الجنسي ١٣٣
قوم لوط ١٣٤
التحذير من عمل قوم لوط ١٣٧
حتى الزوجة ١٣٨
حكم الإسلام في جريمة الشذوذ الجنسي ١٣٩
الأضرار الجسمية والنفسية للشذوذ الجنسي ١٤٠
الزنا ١٤٤
علماء الطب والنفس وجريمة الزنا ١٤٨
الزهري ١٤٨
السيلان في الذكور ١٥٠
السيلان في الإناث ١٥٠
القرحة الرخوة ١٥٠
الجرانيولوما الأربية ١٥١
الجرانيولوما الليمفاوية السرية ١٥١
العادة السرية ١٥٣

حكم الإسلام في العادة السرية ١٥٣
الطب والعادة ١٥٧
العلاج الحاسم ١٦٠
العلاج المؤقت ١٦١
الشعور بالذنب ١٦٥

الفصل الخامس: منهج الاسلام في استثمار طاقات الشباب

١٦٩ - ٢١٨

الشباب في ميزان الإسلام ١٧١
روح القوة في الإسلام ١٧٦
الرياضة ومكانتها في الإسلام ١٨٠
الرمي ١٨١
المصارعة ١٨٢
الفروسية ١٨٣
العدو ١٨٤
رياضة النساء ١٨٦
الرياضة بين الإسلام والعلم ١٨٨
للإسلام كلمة في كرة القدم ١٩٢
فضل العلم وشرفه ١٩٥
القراءة والبحث ١٩٧
القراءة والبحث ومسئولية المؤسسات التعليمية ٢٠٠
ماذا تقرأ وكيف تقرأ ٢٠٣
القراءة والطب ٢٠٩
الفراغ ومنهج الإسلام في استثماره ٢١٠
الإسلام وتربية الارادة ٢١٥

الفصل السادس: العوامل المؤثرة فى الشباب هدماً وبناء

٢١٩ - ٣٠٠

الموضوع	الصفحة
وسائل الإعلام	٢٢١
بيت المهمل يخرب قبل بيت الظالم	٢٢٥
احذروهم ياشباب	٢٢٦
الصحـــافة	٢٢٩
من بركات الإعلام فى مصر	٢٣٢
الازدواج والتناقض فى أساليب التربية والتعليم	٢٣٥
مدرس الدين	٢٤٠
المسجد ودوره فى إعداد الشباب	٢٤١
ما الذى يمكن أن يقدمه الداعية إلى الشباب	٢٤٣
المسجد ومشكلات الشباب الجنسية والعاطفية	٢٤٥
دور الأسرة فى تربية الأجيال	٢٤٧
معاملة الأبناء	٢٥١
تربية الفتاة	٢٥٥
التقليد ومركب النقص	٢٥٨
دور العلماء المسلمين فى بناء الحضارة	٢٦١
تربية الضمير	٢٦٥
تعليم الجنس	٢٧٠
منهج الإسلام فى التربية الجنسية	٢٧٧
على من تقع المسئولية ؟	٢٨٣
الشباب المسلم بين تيارات الفتن	٢٨٨
من فتاوى الشباب	٢٩٧
ثبت بالمراجع العربية	٣٠١
فهرس محتويات الكتاب	٣٠٥

* * *